www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

ف . سكوت فيتزجرالد

جاتسبى العظيم

** معرفتي **
www.liilas.com/vb3

محمد مستجير مصطفى

me3refaty.blogspot.com

دار المعارف بمصر

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

جاتسبى العظيم

** معرفتي **
www.liilas.com/vb3
me3refaty.blogspot.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

جاتسبي العظيم

فارتد عندئذ قبعتك الذهبية ، إذا كان هذا سيحرك قلبها . . وإذا كان فى وسعك أن تثب عالياً ، فاقفز من أجلها أيضاً . . حتى تصيح بك « حبيبي ياذا القبعة الذهبية . . حبيبى ياذا الوثبة العالية . . لا بد أن أنالك » .

توماس بارك دنفيلييه

تأليف

ف . سكوت فيتزجرالد

ترجمة

محمد سمير مصطفى

دار المعارف بمصر

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

** معرفتي **

www.liilas.com/vb3

me3refaty.blogspot.com

الناشر : دار المعارف بمصر – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة ج. ع. م.

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

إلى زيلـــدا

. . . من جديد

** معرفتي **

www.liilas.com/vb3

me3refaty.blogspot.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

الفصل الأول

فى سنوات صباى الغض أسدى لى أبى نصيحة ما زالت تدور فى ذهنى حتى الآن .

قال لى أبى : «كلما شعرت بالرغبة فى انتقاد أحد ، فحسبك ان تذكر أن المزايا التى أتيحت لك ، لم تتح لكل الناس» .

لم يقل أبى أكثر من هذا ، لكننى أدركت أنه يعنى أكثر منه : فقد كنت وأبى متفاهمين بشكل غير عادى وبطريقة متحفظة ، وفيما بعد أصبحت أميل إلى التحفظ فى أحكامى ، وهى عادة كشفت أمامى كثيراً من الطبائع الغريبة ، كما أوقعتنى ضحية لكثير من ثقال الظل المتمرسين ، فالذهن غير الطبيعى سريع فى اكتشاف هذه الصفة والارتباط بها حالما تبدو لدى شخص طبيعى ، وهكذا اتهمت ظلماً فى الكلية بأننى سياسى ، إذ كنت مطلعاً على الأحزان الخفية لأناس مغمورين نافرين . ولم أكن أسعى وراء غالبية هذه المكاشفات ، بل كثيراً ما تصنعت النوم ، أو الانشغال ، أو الاستخفاف العدائى ، حين كانت تكشف لى أمارة لا يخطئها الظن أن ثمة مصارحة قلبية تهتز فى الأفق . . . فاعترافات الشبان هذه ، أو على الأقل تلك الصيغ التى يعبرون بها عنها ، عادة ما تكون منتحلة ، تحيط بها مظاهر كبت واضحة . إن التحفظ فى إصدار الأحكام مسألة تثير آمالاً لا تنتهى ، ولا أزال

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

حتى اليوم أخشى أن يفوتنى شئ لو أننى نسيت ما قاله لى والدى فى تعاظم ، وما أكرره بنفس التعاظم ، من أن الإحساس بالآداب الأساسية قد وزع فى غير تكافؤ عند الميلاد .

وبعد أن تفاخرت على هذه الصورة بتسامحى ، لا بد لى أن أعترف بأن لهذا التسامح حدوداً . فقد يقوم السلوك على صخور صلدة أو على مستنقعات ضحلة ، لكننى عند نقطة معينة لم يعد يهمنى الأساس الذى يقوم عليه هذا السلوك ، فحين عدت من شرق أمريكا فى الخريف الماضى كنت أحس بأننى أريد أن يكون العالم موحد الطراز ، وأن يقف معنوياً وقفة الانتباه إلى الأبد ، لم أعد أريد مزيداً من تلك الرحلات العاصفة إلى القلب الإنسانى وما تكشف عنه من لمحات رائعة ، ولم أستثن من هذا الموقف سوى « جاتسبى » ، الرجل الذى يعطى لهذا الكتاب اسمه . . جاتسبى الذى يمثل كل ما أحمل له من ازدراء خالصا ، وإذا كانت شخصية الإنسان سلسلة متصلة من اللفتات الموفقة ، فلقد كان يتمتع بشىء رائع ، بحساسية بالغة الحدة لوعود الحياة ، وكأنه يلتصق بإحدى تلك الآلات المعقدة التى تسجل زلزلة الأرض على بعد عشرة آلاف ميل . ولم تكن هذه الحساسية نوعاً من ذلك الانطباع الرخو الذى نمجده باسم « المزاج الخلاق » ، بل كانت موهبة غير عادية لتلمس الأمل ، واستعدادا رومانسياً لم أجد له مثيلا لدى شخص آخر ، وليس من المحتمل أن أجد له مثيلا . كلا ، لقد كان جاتسبى على حق فى النهاية ، وكان ما ينوء به جاتسبى ، وذلك الغبار العفن الذى يطفو فى إثر أحلامه هو الذى أبعدنى

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

عن الاهتمام بأحزان البشر المجهضة ، وأفراحهم قصيرة الأجل .

طيلة أجيال ثلاثة كانت أسرتى أسرة بارزة ميسورة الحال فى هذه المدينة من مدن الغرب الأوسط . كنا — آل كاراواى — أقرب إلى العشيرة ، ويجرى بيننا عرف شائع بأننا من نسل دوقات « باكلوخ » . لكن المؤسس الفعلى لفرعنا فى العائلة كان شقيق جدى ، الذى جاء إلى هنا عام واحد وخمسين وأرسل بديلا له إلى الحرب الأهلية وافتتح محل تجارة الحدايد بالجملة الذى ما يزال أبى يديره إلى اليوم .

ولم أر شقيق جدى هذا ، ولكنهم يقولون إنى أشبهه ، ويشيرون بشكل خاص إلى تلك اللوحة حادة القسمات المعلقة فى مكتب أبى . وقد تخرجت من نيوهافن فى عام ١٩١٥ ، أى بعد تخرج أبى بربع قرن تماماً ، وبعد ذلك بقليل اشتركت فى تلك الهجرة التيوتونية المتأخرة المسماة بالحرب العظمى ، واستمتعت تماماً بتلك الغارة المضادة حتى لقد عدت قلقاً غير مستقر . فبعد أن كان الغرب الأوسط هو قلب العالم النابض أصبح يبدو لى الآن حافة الكون المهملة ، ولهذا قررت أن أذهب إلى الشرق ، وأتعلم تجارة الأوراق المالية ، فكل من أعرفه كان يعمل فى الأوراق المالية ، ولهذا قدرت أنها تستطيع أن تتحمل فرداً آخر ، وناقشت كل عماتى وأعمامى الموضوع وكأنهم يختارون لى مدرسة أولية ، وأخيراً قالوا : « حسناً — ن — نعم » ، وقد اكتست وجوههم بطابع الجدية والتردد ، ووافق أبى على أن يمولنى عاماً . وبعد عدد من التأجيلات جئت إلى الشرق لأقيم فيه إلى الأبد — كما دار بذهنى حينئذ — فى ربيع عام اثنين وعشرين .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

وكانت المسألة العملية هى أن أجد لى مسكناً فى المدينة ، لكن الفصل كان حاراً ، وكنت قد تركت ورائى لتوى إقليماً من الحدائق الواسعة والأشجار الودودة ، ولهذا فحينما اقترح شاب يزاملنى فى المكتب أن نشترك معاً فى سكنى منزل بإحدى الضواحى بدت لى الفكرة رائعة ، وقد وجد هو المنزل — كوخاً من الخشب المقوى أبلته الأيام — بثمانين دولاراً فى الشهر ، ولكن الشركة نقلته إلى واشنطون فى اللحظة الأخيرة وسافرت وحدى إلى الريف . وكان لدى كلب — أو على الأقل ظل لدى بضعة أيام حتى فر هارباً — وعربة « دودج » قديمة وامرأة فنلندية كانت تعد لى سريرى وتطهو إفطارى وتتمم لنفسها بالحكم الفنلندية وهى واقفة أمام الموقد الكهربائى .

وشعرت بالوحدة يوما أو بضعة أيام ، حتى كان ذات صباح ، حين استوقفنى فى الطريق رجل جاء إلى المدينة بعدى .

سألنى فى حيرة : « كيف أصل إلى قرية وست إيج ؟ » .

فأخبرته . وإذ سرت بعد ذلك لم أعد أشعر بالوحدة ، لقد أصبحت مرشداً ، ودليلاً ، وواحداً من السكان الأصليين . لقد أضفى على سؤاله العارض حرية الجيرة .

وهكذا ، فمع إشراقة الشمس ، ومع طفرات الأوراق التى تنمو فوق الأشجار كما تنمو الأشياء فى السينما ، استولى على ذلك الإيمان المألوف بأن الحياة تبدأ من جديد مع الصيف .

كان أمامى — من ناحية كثير مما ينبغى أن يقرأ ، ورصيد من ..

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

الصحة الجيدة يمكن أن يمتص من الهواء الفتى المنعش ، فاشتريت عشرة مجلدات عن البنوك والائتمان وضمانات الاستثمار تراصت كلها فوق الرف فى آلوانها الحمراء والذهبية كأنها نقود جديدة خرجت لتوها من دار الصك ، واعدة بأن تكشف أمامى الأسرار المشرقة التى لم يعرفها سوى ميداس ومورجان ومايكيناس ، كما عزمت على قراءة كتب كثيرة غيرها ، فقد كنت فى الكلية أقرب إلى الروح الأدبية — وذات سنة كتبت سلسلة من الافتتاحيات الرصينة الواضحة لجريدة ييل نيوز — وها أنا الآن عازم على أن أستعيد كل هذه الأشياء ، وأن أصبح من جديد واحداً من أضيق الاختصاصيين حدوداً ، « الرجل المستنير » ، وليس هذا مجرد قول طريف — فمن الأوفق على أى حال أن تنظر إلى الحياة من نافذة واحدة .

وكان من قبيل المصادفة أننى استأجرت منزلاً فى بقعة من أغرب بقاع أمريكا الشمالية ، عند تلك الجزيرة الصاخبة النحيلة التى تمتد شرقى نيويورك حيث يوجد بين الغرائب الطبيعية الأخرى تكوينان من الأرض غير عاديين ، فعلى بعد عشرين ميلا من المدينة تقوم بيضتان هائلتان متطابقتان فى الشكل ولا يفصلهما سوى شئ يشبه الخليج ، فى أهدأ بقعة للماء المالح فى نصف الكرة الغربى . فى ساحة خليج لونج أيلاند المائية الكبيرة . وهما ليستا بيضتين كاملتى الاستدارة بل هما أشبه ببيضة قصة كولومبس ، فكلتاهما مستوية عند طرفها — لكن تشابههما لا بد أن يكون مصدر حيرة دائمة لطيور النورس التى

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

تحلق فوقهما ، أما بالنسبة لغير ذوات الأجنحة فان الظاهرة التى تسترعى النظر هى عدم تشابههما فى كل ما عدا الشكل والحجم .

وقد عشت فى الويست إيج — وهى . . . حسناً . . . أقل الاثنتين بذخاً ، وإن كان من السطحية أن نعبر بهذه الطريقة عن ذلك التباين الصارخ ، بل والخبيث ، بينهما . وكان منزلى عند طرف البيضة تماماً ، ولا يبعد سوى خمسين ياردة عن الخليج ، محشوراً بين منزلين هائلين يبلغ إيجار كل منهما اثنى عشر أو خمسة عشر ألفاً فى الموسم ، وكان الذى على يمينى شيئاً هائلا إذا نظرنا إليه بأى مقياس — كان تقليداً متقناً لبعض قلاع نورماندى ، له برج فى أحد جوانبه ويبدو جديداً مشرقاً تحت لحية خفيفة من العليق ، وحوض سباحة من الرخام ، وحديقة تزيد مساحتها على أربعين فداناً . . كان هذا منزل جاتسبى ، أو بالأحرى إذ لم أكن قد عرفت المستر جاتسبى بعد — كان منزلا يقيم فيه سيد بهذا الاسم . أما منزلى أنا فكان قذى للعين ، لكنه كان قذى صغيراً لم ينتبه إليه أحد ، وهكذا أصبحت أتمتع بمنظر المياه ، وبمنظر جانبى لحديقة جارى ، وبذلك الشعور اللطيف بجيرة المليونيرات . . وكل هذا مقابل ثمانين دولارا شهرياً .

وعبر الخليج البشوش كانت قصور « الإيست إيج » تتلألأ على طول المياه . ويبدأ تاريخ الصيف بالنسبة لى فعلاً فى تلك الأمسية التى ذهبت فيها إلى هناك لأتناول العشاء مع آل بوكانان ، فقد كانت ديزى ابنة عمى ، كما عرفت توم بوكانان أيام الكلية ، وبعد الحرب

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

مباشرة أمضيت معهما يومين فى شيكاغو .

وكان زوجها — من بين مختلف إنجازاته البدنية — من أقوى المهاجمين الذين لعبوا الكرة فى نيوهافن . كان بصورة ما شخصية قومية ، واحداً من أولئك الذين يبلغون ذروة حادة ومحدودة فى سن الواحدة والعشرين حتى ليصبح كل شئ بعد هذه السن انحداراً . وكانت عائلته شديدة الثراء . فحتى فى الكلية كان إسرافه محلاً للانتقاد ، لكنه الآن قد غادر شيكاغو وجاء إلى الشرق بطريقة تكاد تنتزع أنفاسك ، فهو مثلا قد أحضر معه من ليك فورست سلسلة من خيول البولو ، وكان من الصعب على أن أفهم كيف يكون رجل من جيلى بهذا القدر من الثراء .

ولا أعرف لماذا جاءوا إلى الشرق ، فقد قضوا عاماً فى فرنسا دون سبب خاص ، ثم تنقلوا دون استقرار هنا وهناك ، حيثما يلعب الناس البولو ويعيشون أثرياء معاً ، لكن هذا الانتقال سيكون نهائياً — هكذا قالت لى ديزى فى التليفون ، لكنى لم أصدق — لم أكن أطلع على خفايا قلب ديزى . لكنى كنت أشعر أن توم سيظل يتنقل على الدوام فى اشتياق باحثاً عن النشوة العارمة لمباراة كرة لم يعد يستطيع أن يستعيدها .

وهكذا حدث ذات أمسية دافئة عليلة أن ذهبت إلى إيست إيج لأرى صديقين قديمين لا أكاد أعرفهما على الإطلاق ، كان منزلهما أروع حتى مما قدرت ، كان منزلاً من الطراز الجيورجى بلونيه الأحمر والأبيض ، يطل على الخليج مباشرة ، وتمتد حديقته من الشاطئ لتجرى نحو الباب الأمامى طيلة ربع ميل قافزة فوق الساعات

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

الشمسية والمماشى الحجرية والشجيرات المزهرة — وأخيراً عندما تصل إلى المنزل ترتفع إلى جانبيه فى عرائش كروم مشرقة كأنما بفعل حركتها هذه نفسها ، أما مدخل المنزل فيقطعه صف من النوافذ الفرنسية كانت تتوهج عندئذ بالذهب المنعكس عليها ، وهى مفتوحة على مصاريعها لتستقبل الأمسية العليلة الدافئة ، وتوم بوكانان فى ملابس الركوب يقف بقدميه مفتوحتين فوق السقيفة الأمامية .

لقد تغير عن أيام نيوهافن ، وأصبح الآن رجلاً متين البنيان ذهبى الشعر فى الثلاثين من عمره ذا فم تبدو عليه الحدة وطباع متعجرفة ، سيطرت على وجهه عينان لامعتان متكبرتان لتعطيه مظهر انحناءة عدوانية دائمة إلى الأمام ، وما كان فى وسع ملابس ركوبه ذات اللمسة النسائية أن تخفى قوة جسده الهائلة ، فقد كان يبدو وكأنه يملأ حذاءه اللامع ليزحم رقبة هذا الحذاء . وكنت تستطيع أن ترى حزمة كبيرة من العضلات تتحرك عندما يحرك كتفه تحت معطفه الرقيق ، لقد كان جسدا قادراً على أعمال هائلة . . . كان جسداً قاسياً .

وكان صوت حديثه ، ذلك الصوت الخفيض الأجش ، يضيف شيئاً إلى انطباعة الشراسة التى ينقلها إلى من حوله ، كان فى صوته لمسة من الاحتقار الأبوى حتى نحو أولئك الذين يحبهم . . . وكان ثمة أناس فى نيوهافن يكرهون منظره .

كان يبدو وكأنه يقول : « لا تظن أن رأيى فى هذه المسائل هو الرأى الأخير لمجرد أننى أقوى منك وأكثر رجولة » . ولقد كنا معاً فى نفس

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

جمعية الطلبة الكبار ، ورغم أننا لم نكن حميمين أبداً إلا أننى كنت آشعر على الدوام بأنه يستلطفنى ، وأنه يريدنى أن أحبه بنوع من اللهفة الجافة المتعالية.

وتحدثنا بضع دقائق فوق السقيفة المشمسة .

قال وعيناه تلتمعان فيما حولنا فى قلق « إن لدى مكاناً طيباً هنا » . وأدارنى بإحدى ذراعيه بينما حرك كفه العريضة لتشمل إشارتها واجهة المنزل والحديقة الإيطالية ونصف فدان من الورود اليانعة اللاذعة ، وقارباً بخارياً أفطس يهدهده المد قرب الشاطئ . قال :

ــ لقد كان ملكاً لديمين رجل البترول . » ثم أدارنى من جديد فى أدب وجفاف ليقول : « فلندخل » . .

وسرنا عبر ممر طويل إلى ساحة مشرقة بلون الورد ، تلتصق برقة بالمنزل بواسطة نوافذ فرنسية فى كل ناحية ، كانت النوافذ مفتوحة حتى آخرها ، وهى تلتمع بيضاء فى مواجهة الحشائش اليانعة خارجها والتى تمتد قليلا داخل المنزل . ونسمة رقيقة تهب عبر الغرفة ، فتحرك الستائر إلى الداخل من ناحية وإلى الخارج من ناحية أخرى كأنها رايات شاحبة ، وتطير بها نحو سقف كأنه كعكة زفاف ، ثم تهبط بها لتهفهف فوق سجادة نبيذية اللون ، لتلقى فوقها ظلالاً كتلك الظلال التى تلقيها الرياح على مياه البحر .

وكان الشىء الثابت الوحيد فى الغرفة أريكة هائلة تطفو فوقها فتاتان كأنهما فوق بالون ألقى مرساته ، كانتا ترتديان ملابس بيضاء تهفهف وتتموج ، وكأنهما قد هبطا لتوهما من رحلة قصيرة حول المنزل ، ولا بد

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

أننى توقفت بضع لحظات أصغى إلى خفق الستائر وأنين الصورة المعلقة على الحائط . ثم هبط السكون حينما أغلق توم بوكانان النوافذ الخلفية وبدأ الهواء الحبيس يتهادى فى الغرفة ، والبالون يهبط بالستائر والسجاجيد والفتاتين إلى أرضها .

كانت أصغر الفتاتين غريبة بالنسبة لى ، وكانت تتمدد فى ناحية من الأريكة بلا حراك تماماً ، وقد رفعت ذقنها قليلا وكأنها تحافظ على توازن شىء فوقها يكاد يسقط ، وإذا كانت قد رأتنى من زاوية عينيها فان شيئاً ما لم يبد عليها . . . والحق أنى دهشت وأخذت أتمتم معتذراً عن إزعاجى لها .

أما الفتاة الأخرى — ديزى — فقد بذلت محاولة للوقوف ، فانحنت قليلا إلى الأمام وقد اكتسى وجهها بتعبير حيى — ثم ضحكت ، ضحكة صغيرة حمقاء ، وضحكت بدورى وأنا أتقدم داخل الحجرة .

— إنى . . مشلولة من السعادة . .

وضحكت ثانية كأنها قالت شيئاً فكهاً للغاية ، وأمسكت بيدى لحظة وهى تتطلع إلى وجهى ، ووجهها ينبئ بأنها لم تكن ترغب فى رؤية أحد قدر ما كانت تريد رؤيتى ، كان هذا أحد طباعها ، وهمست مشيرة إلى أن اسم الفتاة التى تقوم بعملية التوازن هو « بيكر » (وقد سمعتهم يقولون إن همس ديزى إنما يستهدف أن ينحنى الناس نحوها ، وهو نقد فى غير محله ، ولا يقلل من سحر هذا الهمس) .

وعلى أية حال فقد ارتعشت شفتا مس بيكر وأومأت لى إيماءة لا تكاد تحس ، ثم أسرعت فأعادت رأسها إلى الخلف ثانية — وواضح أن الشىء

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

الذى كانت تحافظ على توازنه قد اهتز قليلاً فسبب لها بعض الفزع — ومرة ثانية صعدت إلى شفتى تمتمة اعتذار ، فقد كان كل مظهر للسيطرة على النفس ينتزع منى إعجاباً مذهولا .

وعدت أنظر ثانية إلى ابنة عمى التى بدأت توجه لى بعض الأسئلة بصوتها الخفيض المثير ، كان صوتها واحداً من تلك الأصوات التى تتابعها الأذن صاعدة هابطة ، كأنما كل كلمة مجموعة من النغمات لن تعزف ثانية ، كان وجهها حزيناً حلوا تلمع به أشياء مشرقة ، عينان مشرقتان وفم عاطفى مشرق ، لكن ثمة إثارة فى صوتها لم يكن من السهل أن ينساها من كانت تعنى بالنسبة لهم شيئاً : كان نغمة آمرة ، همسة تقول « اصغ » ، وعدا بأنها قد صنعت أشياء بهيجة مثيرة منذ لحظة وأن ثمة أشياء بهيجة ومثيرة تحوم فى الساعة التالية .

وأخبرتها بأننى توقفت يوما فى شيكاغو وأنا فى طريقى إلى الشرق ، وكيف أن عشرات الناس قد أرسلوا معى حبهم لها .

صاحت فى نشوة : « هل يفتقدوننى ؟ » .

— المدينة بأسرها بائسة ، وكل السيارات قد طليت عجلاتها الخلفية إلى اليسار باللون الأسود رمزاً للحداد ، ويتصاعد العويل طوال الليل على طول الشاطئ الشمالى . .

— يا للروعة . . فلنعد إلى هناك يا توم . . من الغد . . . .

ثم أضافت دون اهتمام : « يجب أن ترى الطفلة » .

— لكم أحب ذلك .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

ـ لكنها نائمة . إنها فى الثالثة من عمرها ، ألم ترها أبداً .

ـ أبداً . . .

ـ حسناً ، يجب أن تراها ، إنها . . .

وكان توم بوكانان يتجول فى الغرفة فى غير استقرار فتوقف ووضع يده على كتفى .

ـ ماذا تعمل يا « نك »

أعمل فى الأوراق المالية .

ـ مع من ؟

فأخبرته .

قال بحسم : « لم أسمع عنهم أبداً » .

وضايقنى هذا .

فأجبته باختصار : « ستسمع إذا ظللت فى الشرق » .

قال وهو ينظر إلى ديزى ثم يعود فينظر إلى وكأنه يعنى أكثر مما يقول : « أوه ، سأبقى فى الشرق فلا تقلق ، فسأكون أحمق تماماً لو عشت فى مكان آخر » .

وعند هذه النقطة قالت مس بيكر : « قطعاً . . » قالتها فجأة حتى لقد فزعت . . . فقد كانت هذه أول كلمة تفوه بها منذ دخلت الحجرة ، ويبدو أن الكلمة قد أدهشتها هى الأخرى كما أدهشتنى ، فقد تثاءبت ، وبسلسلة من الحركات السريعة الرشيقة وقفت فى وسط الغرفة .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

قالت تشكو : « لقد تيبس جسدى ، فقد ظللت أرقد على هذه الأريكة منذ تعى ذاكرتى » .

أجابتها ديزى : « لا تنظرى إلىّ ، فقد حاولت طيلة الظهيرة أن آخذك إلى نيويورك . . . » .

وقالت مس بيكر وهى ترى الكئوس الأربعة تدخل : « كلا ، أشكرك فانى فى فترة تدريب كلى » .

فنظر إليها مضيفها غير مصدق .

ــ حقاً . . . وشرب كأسه كأنه قطرة فى قاع الزجاجة : « لا أستطيع أن أفهم كيف تفعلين أى شىء » .

ونظرت إلى مس بيكر وأنا أعجب ما هو الشئ « الذى فعلته » . والحق أنى استمتعت بالنظر إليها ، كانت فتاة نحيلة صغيرة النهدين ذات قامة ممشوقة ، زادتها وضوحاً بأن قذفت بجسمها إلى الخلف عند الكتفين كأنها صبى ، أما عيناها الرماديتان اللتان أجهدتهما الشمس فقد أطلتا إلىّ فى فضول مؤدب متبادل من وجه ساحر شاحب ماول ، وعندئذ خطر لىّ أننى رأيتها ، أو رأيت صورتها ، من قبل .

قالت فى ازدراء : « أنت تعيش فى ويست إيج . . إنى أعرف بعض الناس هناك » .

ــ أنا لا أعرف شخصاً . . .

ــ لا بد أنك تعرف جاتسبى . . .

فتساءلت ديزى : « جاتسبى ؟ أى جاتسبى ؟ » .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

وقبل أن أستطيع القول بأنه جارى أعلن العشاء ، ودس توم بوكانان ذراعه بحزم تحت ذراعى ، ودفعنى خارج الغرفة كأنه ينقل قطعة لعب من مربع إلى آخر .

وفى رشاقة واسترخاء سبقتنا الفتاتان — وقد وضعتا أيديهما بخفة على أردافهما ، إلى سقيفة وردية اللون مفتوحة نحو الشمس الغاربة ، حيث كانت أربع شمعات ترتعش فى الريح المتثاقلة .

اعترضت ديزى مقطبة : « لماذا الشموع ؟ » وأطفأتها بأصابعها . « خلال أسبوعين سنصل إلى أطول نهار فى السنة » ونظرت إلينا مشرقة : « هل تظلون تنتظرون أطول نهار فى العام ثم يفوتكم ؟ إنى دائماً أترقب أطول نهار فى العام ثم يفوتنى » .

وتثاءبت مس بيكر وهى تجلس إلى المائدة وكأنها تستعد للاستلقاء على سريرها : « لا بد أن نضع خطة لشئ ما . » .

قالت ديزى : « حسناً وماذا سنضع له خطة ؟ » . ثم استدارت إلىّ فى حيرة : « ماذا يخطط له الناس ؟» .

وقبل أن أستطيع الإجابة تركزت عيناها فى فزع على إصبعها الصغير .

— انظر ، لقد جرحته . .

فنظرنا جميعاً ، كانت عقلة أصبعها سوداء زرقاء .

قالت فى اتهام : « لقد فعلتها يا توم ، أعرف أنك لم تقصد ولكنك فعلتها . هذا جزائى لأنى تزوجت وحشاً من فصيلة ضخمة بدينة من . . »

واعترض توم قائلاً فى ضيق : « إنى أكره كلمة بدين حتى فى المزاح » .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

وأجابت ديزى فى إصرار : « بد ين . . . » .

وفى بعض الأحيان كانت هى والمس بيكر تتحدثان فى نفس الوقت — دون فضول — حديثاً فكهيًا غير متطابق لا يبلغ حد الدردشة ، حديثاً بارداً كأرديتهما البيضاء ، وعيونهما اللامبالية الخالية من كل رغبة . لقد كانتا هنا ، ولقد تقبلتا وجودى ووجود توم ، دون أن تبذلا سوى جهد لطيف مؤدب للترحيب . كانتا تعرفان أن العشاء قد أوشك على الانتهاء ، وبعده بقليل ستنتهى الأمسية أيضاً لتطرح جانباً . كان الأمر مختلفاً تماماً عنه فى الغرب ، حيث تُدفع الأمسية فى عجلة نحو نهايتها من مرحلة إلى مرحلة ، فى ترقب دائماً ما يمنى بخيبة الرجاء ، أو فى فزع عصبى من اللحظة ذاتها .

قلت وأنا أحتسى كأساً ثانية من نبيذ أحمر قوى وإن كانت به رائحة الفلين : « أنت تجعلينى يا ديزى أشعر بعدم التمدين ، ألا تستطعين الحديث عن المحصول أو عن أى شئ آخر . » .

فانفجر توم بعنف قائلا : « المدنية تتمزق ، لقد أصبحت متشائماً للغاية ، هل قرأت « نشأة الإمبراطوريات الملونة » الذى كتبه هذا الرجل جودار » .

أجبت مستغرباً لهجته : « كلا » .

— حسناً ، إنه كتاب جيد يجب أن يقرأه كل فرد ، وفكرته هى أننا ما لم ننتبه فإن الجنس الأبيض سيـ — سينهار . هذا أمر علمى تماماً أثبته بالبراهين . . .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

قالت ديزى وقد اكتسى وجهها تعبيراً من الحزن غير المبالى : « إن توم يزداد تعمقاً ، إنه يقرأ كتباً عميقة ذات كلمات طويلة . ما هى الكلمة التى . . . . » .

وأجاب توم فى إصرار وهو ينظر إليها بصبر نافد : « حسناً ، إنها كلها كتب علمية ، لقد درس هذا الرجل الموضوع كله ، وعلينا نحن الجنس المسيطر أن نحذر وإلا سيطرت الأجناس الأخرى » .

همست ديزى وهى تغمز بعينها بحدة تجاه الشمس الحارة : « علينا أن نسحقهم . . » . وبدأت المس بيكر تقول : « يجب أن تقطنوا كاليفورنيا . . . » ، ولكن توم قاطعها بحركة خشنة على مقعده .

ــ الفكرة هى أننا من الجنس الشمالى ، أنا وأنت وأنت و . .

ثم بعد تردد قصير أشار إلى ديزى كذلك بهزة من رأسه فغمزت لى ثانية : « . . . وقد صنعنا كل ما يلزم لخلق المدنية . . . العلم والفن وكل ما إلى ذلك . أتفهمنى ؟ » .

ثمة شىء شجى فى إصراره على الموضوع ، كأنما ملاطفاته التى أصبحت أكثر حدة عنها فى الماضى لم تعد تكفيه . وفى هذه اللحظة رن جرس التليفون . وانتهزت ديزى لحظة المقاطعة هذه فانحنت نحوى .

همست بحماس : « سأقول لك سراً عائلياً . إنه يدور حول أنف الخادم ، هل تريد أن تسمع عن أنف الخادم ؟ » .

ــ هذا ما جئت من أجله الليلة » .

ــ حسناً ، إنه لم يكن ساقياً . لقد كان يلمع فضيات بعض الناس

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

فى نيويورك ، وكانت لديهم أوان فضية تكفى مائتى شخص ، فكان عليه أن يلمعها من الصباح حتى المساء ، وأخيراً أثر هذا على أنفه . . .

وأضافت المس بيكر : « وسارت الأمور من سيئ إلى أسوأ » .

ــ نعم سارت الأمور من سيئ إلى أسوأ حتى كان عليه فى النهاية أن يترك عمله .

وللحظة سقطت أشعة الشمس الغاربة على وجهها المتورد مضفية عليه طابعاً رومانسياً ، وأجبرنى صوتها على الانحناء إلى الأمام وقد تقطعت أنفاسى وأنا أصغى إليها ، ثم ذبل التوهج ، وكل شعاع من الضياء يغادرها متعلقاً بها فى أسى كما يغادر الأطفال شارعاً بهيجاً عند الغسق .

وعاد الخادم وتمتم شيئاً على مقربة من أذن توم ، فقطب توم جبينه ودفع مقعده إلى الخلف ، ومضى إلى الداخل دون أن يتفوه بكلمة ، وانحنت ديزى نحوى ثانية وكأنما غيابه يسرع بشئ ما داخلها ، وصوتها يتوهج ويغرد .

ــ أحب أن أراك على مائدتى يا « نك » ، إنك تذكرنى بـ ــ بزهرة ، زهرة خالصة ، أليس كذلك ؟ » . واستدارت إلى المس بيكر باحثة عن تأكيد لكلماتها : « زهرة خالصة » .

ولم يكن هذا صحيحاً ، فأنا لا أشبه الزهرة أدنى شبه ، وإنما كانت تقول ما يرد إلى خاطرها ، لكن ثمة دفء مثير يفيض منها ، وكأنما قلبها يحاول أن يصل إليك ملفوفاً فى إحدى تلك الكلمات المثيرة المتقطعة الأنفاس ، وفجأة قذفت فوطتها على المائدة واستأذنت ودخلت المنزل .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

وتبادلت مع مس بيكر نظرة قصيرة ندرك أنها خالية من المعنى ، وكنت على وشك أن أتكلم حين جلست متحفزة وقالت محذرة : « هس! » وكانت تمتمة غيظ مكتوم تبدو مسموعة فى الغرفة المجاورة ، فانحنت مس بيكر إلى الأمام دون استحياء محاولة أن تسمعها ، وارتعشت الهمسات عند حافة الوضوح ثم هبطت ، وارتفعت فى انفعال لتتوقف كلية .

قلت : « مستر جاتسبى الذى تحدثت عنه هو جارى . . . » .

ـ لا تتحدث . . . أريد أن أسمع ما يحدث » .

تساءلت ببراءة : « أثمة شئ يحدث ؟ » .

أجابتنى وقد بدت عليها دهشة صادقة : « أتعنى أنك لا تعرف؟ كنت أظن كل الناس يعرفون » . .

ـ أنا لا أعرف . . .

ـ حسناً . . . . إن لتوم امرأة فى نيويورك .

رددت وراءها فى دهشة : « له امرأة ؟ » .

فأومأت مس بيكر برأسها :

ـ كان يجب أن تكون من اللياقة بحيث لا تطلبه أثناء تناول الطعام . ألا تعتقد ذلك ؟

وحتى قبل أن أدرك معنى ما تقوله سمعت حفيف ثوب ودقات حذاء جلدى ، وعاد توم وديزى إلى المائدة .

صاحت ديزى فى ابتهاج متوتر : « لم يكن فى الوسع تجنب ذلك .. » .

وجلست ، وتطلعت بنظرة فاحصة إلى مس بيكر ثم إلىّ ، وواصلت

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

حديثها : « تطلعت إلى الخارج لحظة ، إن المنظر فى الخارج رومانسى جداً ، وهناك طائر فى الحديقة أعتقد أنه عندليب جاء على خط كونارد أو النجمة البيضاء ، إنه يغرد . . . ». وغرد صوتها : « شىء رومانسى ، أليس كذلك يا توم ؟ »

أجابها : « رومانسى جداً» . ثم وجه حديثه إلىّ فى لهجة بائسة : « أريد أن آخذك إلى الحظيرة إذا ظلت الدنيا مضيئة بعد العشاء » .

ورن جرس التليفون فى الداخل فجأة ، وإذ هزت ديزى رأسها بحسم لتوم تبخر فى الهواء موضوع الحظيرة ، بل كل المواضيع فى الواقع ، ومن بين الشذرات الممزقة للدقائق الخمس الأخيرة على المائدة أذكر أن الشموع قد أضيئت ثانية بلا سبب ، وشعرت أننى أريد أن أنظر فى وجوه الآخرين وأن أتجنب كل العيون فى نفس الوقت ، وما كان فى وسعى أن أخمن ما يفكر فيه توم وديزى ، لكنى أشك فى أن أحداً قد استطاع — حتى مس بيكر التى يبدو أنها تتمتع بلا مبالاة شديدة — أن يبعد عن ذهنه هذا الإلحاح المعدنى الصارخ للضيف الخامس ، كان الموقف يبدو لبعض ذوى الطبائع المعينة ملبداً ، وكان إحساسى الغريزى يدعونى لأن أتصل تليفونياً بالشرطة !! .

ولست فى حاجة لأن أقول إن أحداً لم يذكر الخيول ثانية ، وسار توم ومس بيكر إلى المكتبة تفصل بينهما عدة أقدام من ضياء الغسق ، كأنما يسيران ليسهرا إلى جوار جدث بين أيديهما ، بينما حاولت أن يبدو علىّ الاهتمام والسرور وقليلا من الصمم وأنا أتبع ديزى فى سلسلة من

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

الشرفات تفضى إلى بعضها بعضاً حتى السقيفة الأمامية ، وهناك جلسنا فى ظلمتها جنباً إلى جنب على إحدى أرائك القش .

ووضعت ديزى وجهها بين يديها كأنما تتحسس محياها الجميل ، وتحركت عيناها ببطء فى الغسق المخملى ، وأدركت أى عواطف ثائرة تتملكها ، فحاولت أن أهدئها بتوجيه بضع أسئلة عن ابنتها .

وفجأة قالت ديزى : « إننا لا نعرف بعضنا جيداً يا « ناك» رغم أننا أبناء عمومة . أنت لم تحضر زفافى . . . »

ــ لم أكن قد عدت من الحرب . . .

قالت فى تردد : « هذا صحيح ، حسناً ، لقد مرت بى أوقات قاسية يا « نك » وأنا أنظر إلى كل شىء فى تشاؤم . . . »

كان واضحاً أن لديها من الأسباب ما يدفعها إلى ذلك ، وانتظرت ولكنها لم تزد . وبعد لحظة عدت فى وهن إلى موضوع ابنتها .

ــ أعتقد أنها تتكلم و . . . تأكل وكل شئ .

نظرت إلىّ كالغائبة : « أوه ، نعم . اصغ إلى يا « نك » ، دعنى أخبرك بما قلته عندما ولدت ، أتحب أن تسمع؟ » .

ــ كثيراً .

ــ سيريك ذلك كيف أصبحت أنظر إلى . . . كل الأمور ، حسناً كان عمرها أقل من ساعة . وكان توم حيث لا يعلم إلا الله ، وأفقت من تأثير المخدر بشعور كامل بالضياع ، وسألت الممرضة على الفور : « أهو ولد أم بنت؟ » فأخبرتنى أنها بنت ، فأدرت رأسى وبكيت.

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

ثم قلت : « حسناً ، إنى سعيدة بأنها بنت ، وآمل أن تكون حمقاء . . . فهذا أفضل ما تكونه الفتاة فى هذا العالم ، حمقاء صغيرة جميلة » .

وواصلت حديثها وقد كسا الاقتناع صوتها : « أنت ترى أنى أعتبر كل شىء فظيعاً على أى حال ، فكل الناس يفكرون هكذا . . . أكثر الناس تقدماً . وأنا أعرف ، فقد ذهبت إلى كل مكان ، ورأيت كل شىء ، وفعلت كل شىء » ، والتمعت عيناها وهى تنظر حولها متحدية بطريقة تشبه طريقة توم ، وضحكت فى احتقار مثير : « متحذلقة ، يالله ، إننى متحذلقة ! »

وفى اللحظة التى انقطع فيها صوتها وكف عن أن يرغمنى على الانتباه والتصديق ، أحسست بعدم إخلاصها فيما قالته . وجعلنى هذا أحس بالقلق ، وكأنما الليلة بأسرها كانت خدعة لانتزاع شئ من التعاطف منى . وانتظرت ، وبالفعل نظرت إلىّ بعد لحظة وابتسامة مصطنعة تماماً تعلو وجهها الجميل ، كأنها قد أكدت انضمامها إلى جمعية سرية بارزة تنتمى إليها هى وتوم .

وفى الداخل كانت الغرفة القرمزية تتوهج بالضوء ، وجلس كل من توم ومس بيكر عند أحد أطراف الأريكة الطويلة ، وهى تقرأ له بصوت مرتفع جريدة « ستارداى إيفننج بوست » . . . والكلمات المهموسة غير الصحيحة تتجمع معاً فى نغمة مهدئة ، وضوء المصباح الذى يشرق على حذائه ويعتم على شعرها الأصفر صفرة أوراق الخريف

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

يلتمع على طول الصحيفة وهى تقلب صفحاتها ، وعضلات ذراعها تهتز هزة خفيفة .

وصمتت حين دخلنا لحظة ويدها مرفوعة .

ثم قالت وهى تقذف الصحيفة على المائدة : « البقية فى العدد القادم » .

وتحرك جسدها بحركة قلقة من ركبتها ووقفت .

قالت : « الساعة العاشرة » ، وكانت كأنها تقرأ الوقت فى السقف : « لقد حان الوقت لهذه الفتاة الطيبة كى تذهب إلى فراشها » .

وشرحت ديزى الأمر : « إن جوردان ستلعب مباراة غداً فى وتيشيستر » .

« أوه — أنت جوردان . . بيكر » .

وعرفت الآن لماذا بدا وجهها مألوفاً — إن ملامحها اللطيفة المتكبرة قد طالعتنى من عديد من الصور الفوتوغرافية عن الحياة الرياضية فى آشيقيل وهوت سبرنجز وبالم بيتش ، كما سمعت قصة عنها أيضاً ، قصة انتقادية كريهة ، لكننى نسيت عم تدور منذ فترة طويلة .

قالت فى هدوء : « أسعدتم مساء ، أيقظونى فى الساعة الثامنة » . . .

— هذا إذا استيقظت . . .

— سأستيقظ . أسعدت مساء يا مستر كاراواى ، عسى أن أراك قريباً . . .

أكدت ديزى : « ستفعلين بالطبع ، فأنا أعتقد أنى سأدبر بينكما

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

زواجاً ، تعال إلينا كثيراً يا « نك » وأنا سأ — سأجمعكما سوياً ، أنت تعرف . . . سأغلق عليكما صدفة فى أدراج الملابس ، وأدفعكما إلى البحر فى قارب ، وكل هذا النوع من الأمور . . .

صاحت مس بيكر من فوق السلم : « أسعدت مساء ، لم أسمع كلمة واحدة » .

وبعد لحظة قال توم : « إنها فتاة طيبة ، ويجب ألا يتركوها تسير فى البلاد هكذا» .

تساءلت ديزى فى برود : « من الذى يجب ؟ . . . »

— عائلتها .

— إن عائلتها عبارة عن عمة تبلغ من العمر حوالى الألف عام ، ثم إن « نك » سيعنى بها ، أليس كذلك يا « نك» ؟ إنها ستمضى كثيراً من أيام الأجازات هنا هذا الصيف ، وأعتقد أن الجو العائلى سيكون مفيداً لها . . .

وتبادلت ديزى وتوم النظرات فى صمت .

سألتُ بسرعة : « أهى من نيويورك ؟ » .

— من لويزفيل ، لقد قضينا معاً سنوات صبانا الجميلة . . .

سأل توم فجأة : « هل تبادلت مع « نك » حديثاً من القلب إلى القلب فى الشرفة ؟ » . فتطلعت إلىّ وقالت : « هل فعلت ؟ لا أكاد أذكر ، ولكنى أعتقد أننا تحدثنا عن الجنس الشمالى ، نعم إنى متأكدة

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

أننا قد فعلنا ، فقد زحف الموضوع وكان أول ما . . . » .

قال لى توم ناصحاً : « لا تصدق كل ما تسمع يا « نك » .

فأجبت بأننى لم أسمع شيئاً على الإطلاق . وبعد بضع دقائق وقفت لأنصرف . فأوصلانى حتى باب المنزل ، ووقفنا متجاورين فى مربع بهيج من الضياء . وحين دار محرك سيارتى نادت ديزى فى لهجة قاطعة « انتظر . . ! .

— لقد نسيت أن أسألك عن شىء هام، سمعنا أنك خطبت فتاة فى الغرب . . .

— هذا ادعاء ، فأنا فقير جداً . . . .

قالت بإصرار مثيرة دهشتى إذ أخذت تتفتح ثانية كالزهرة : « لقد سمعنا ذلك من ثلاثة أشخاص فلا بد أن يكون الأمر صحيحاً » .

وكنت أعرف بالطبع ما يشيران إليه ، لكنى لم أكن قد خطبت ولو من بعيد . ولقد كانت الشائعات التى أعلنت عن هذا الزواج أحد أسباب مجيئى إلى الشرق . فأنت لا تستطيع الانقطاع عن صديقة قديمة بسبب شائعات ، وفى نفس الوقت لم أكن أنوى أن تدفعنى الشائعات إلى الزواج .

وأثر فىّ اهتمامهما ، وجعلهما أقل بعداً وثراء ... ورغم هذا شعرت وأنا أسير بالارتباك وبنوع من الاشمئزاز ، وبدا لى أن خير ما تفعله

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

ديزى هو أن تندفع خارجة من البيت ، وطفلتها فى ذراعها . . . لكن من الواضح آن شيئاً من هذا لم يكن يدور فى رأسها . أما عن توم فان حقيقة أن « لديه امرأة فى نيويورك » كانت فى الواقع أقل إثارة للدهشة من «أن كتاباً ما قد جعله يحس بالانقباض» ، إن شيئاً ما كان يجعله يقرض حافة أفكار مبتذلة ، كأنما كبرياؤه الفظ لم يعد قادراً على إنعاش قلبه العنيد .

كان الصيف قد غدا حاراً فوق أسقف المنازل وآمام الجراجات الجانبية حيث وقفت مضخات وقود جديدة فى بحيرات من الضياء ، وحين وصلت منزلى فى ويست إيج ، وضعت السيارة فى الجراج وجلست بعض الوقت فوق هراسة حشائش مهجورة فى الفناء . وكانت الريح قد هدأت ، تاركة خلفها ليلة لامعة صاخبة ، تضرب أجنحتها فى الأشجار ، وينبعث فيها صوت أرغن لحوح إذ تنفض أحشاء الأرض الضفادع مليئة بالحياة . وتأرجح ظل قطة تتحرك فى ضوء القمر ، وحين أدرت رأسى لأرقبها اكتشفت أنى لست وحدى — فعلى بعد خمسين قدماً خرج شبح من ظلال منزل جارى ، ووقف ويداه فى جيوبه ينظر إلى فضة النجوم المبعثرة . وكانت فى حركاته المتمهلة ووضع قدميه الثابت فوق حشائش الحديقة ما يوحى بأنه هو المستر جاتسبى نفسه ، جاء ليحدد نصيبه من سماواتنا المحلية .

وقررت أن أناديه . فقد ذكرته مس بيكر فوق مائدة العشاء وهذا يكفى للتعارف . لكنى لم أفعل ، فقد صدرت عنه فجأة حركة توحى

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

بأنه سعيد بوحدته . . . إذ مد ذراعه نحو المياه المظلمة بطريقة غريبة . ورغم بعدى عنه كنت أستطيع أن أقسم أنه يرتعش . ورغما عنى نظرت نحو البحر . . . فلم أر شيئاً إلا ضوءاً أخضر وحيداً ، دقيقاً وبعيداً ، ربما كان نهاية أحد أرصفة الميناء . وحين أدرت نظرى ثانية نحو جاتسبي كان قد اختفى ، وعدت وحيداً من جديد فى الظلمة غير الهادئة .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

الفصل الثانى

عند منتصف الطريق بين ويست إيج ونيويورك كان طريق السيارات يلتقى بشريط السكك الحديدية ويجرى إلى جواره حوالى ربع ميل لكى يبتعد عن قطعة أرض مهجورة هى وادى الرماد . . . مزرعة غريبة ينمو فيها الرماد كالقمح فى خطوط وتلال وحدائق ضخمة ، ويأخذ فيها الرماد شكل المنازل والمخازن والمداخن والدخان الصاعد منها وأخيراً — وبعد جهد بالغ — شكل رجال يتحركون فى العتمة ثم ينهارون فى الهواء الملىء بالغبار ، وبين فترة وأخرى كان خط من السيارات الرمادية يزحف فى طريق خفى ، ثم يصدر عنها صرير خافت وتتوقف ، وفى الحال يتجمع رجال الرماد الشاحب بفئوسهم المعدنية ليثيروا سحابة قاتمة تحجب عن الرؤية أعمالهم الغامضة .

لكنك تستطيع بعد لحظة أن ترى عينى الدكتور ت . ج . إيكلبورج فوق الأرض الجرداء وتقلصات الرماد الكئيب التى تتكوم فوقها على الدوام . وكانت عينا الدكتور ت.ج. إيكلبورج زرقاوين — يبلغ ارتفاع كل حدقة ياردة . ولم يكونا يتطلعان من وجه ما ، بل من زوج من النظارات الصفراء الضخمة تمر فوق أنف غير مرئى ، ويبدو أن طبيب عيون ماجن قد أقامها هناك ليزيد زبائنه فى مقاطعة كوينز ، ثم انحدر هو نفسه إلى العمى المطلق ، أو نسيهما وانتقل بعيداً . لكن عينية

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

اللتين أعتمتهما أيام طويلة عديمة اللون تحت الشمس والمطر ، ظلتا تحملقان فى الأرض الجرداء .

ويحد وادى الرماد من أحد جوانبه نهر عكر صغير ، وحين كان (الكوبرى) يفتح لتمر السفن ، كان فى وسع ركاب القطارات المنتظرة أن يحدقوا فى المشهد الموحش ما يقرب من نصف ساعة ، ويضطر كل العابرين أن يتوقفوا هناك دقيقة على الأقل .

وبفضل هذا التقيت للمرة الأولى بعشيقة توم بوكانان .

وفى كل مكان يعرفونه فيه كانوا يؤكدون أن له عشيقة ، وكان معارفه يستاءون من أنه يذهب معها إلى المطاعم المعروفة ، فيتركها على المائدة ويتلكأ حولها متحدثاً مع كل من يعرفه . ورغم أننى كنت أتطلع لرؤيتها فلم تكن لدى رغبة فى مقابلتها . . . لكنى قابلتها . فقد ذهبت إلى نيويورك بالقطار مع توم ، وحين توقف القطار عند وادى الرماد قفز توم واقفاً ، وجذبنى من مرفقى ، ودفعنى بالقوة خارج العربة .

قال فى حسم : « سنغادر القطار ، أريدك أن تقابل فتاتى . . » .

وأعتقد أنه كان قد شرب كثيراً أثناء الغداء ، وكان تصميمه على مرافقتى له يكاد يصل حد العنف ، مفترضاً فى استعلاء أنه ليس لدى ما أفعله أفضل من ذلك مساء يوم الأحد .

وتبعته عبر حاجز شريط السكك الحديدية المنخفض المطلى بالجير ، وعدنا مائة ياردة تحت وقع نظرة الدكتور إيكلبورج الملحة . وكان المبنى الوحيد الذى يقع عليه البصر بناء صغيراً من الطوب الأصفر

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

يقف على حافة الأرض المجدبة ، وثمة طريق رئيسى يقود إليه ثم يلاصقه ليقود إلى لا شئ على الإطلاق ، وأحد الحوانيت الثلاثة التى يحتويها البناء معروض للإيجار ، والآخر مطعم من تلك المطاعم التى تظل مفتوحة طيلة الليل، وعلى مقربة منه ذيل من الرماد . أما الثالث فكان (جراجاً) — ورشة چورج ب . ويلسون ؛ مبيع ومشترى العربات — وتبعت توم إلى الداخل .

وكان الداخل مقفراً فارغاً ، والعربة الوحيدة الظاهرة حطام لسيارة « فورد » علاها الغبار تجثم فى زاوية معتمة . وخطر لى أن هذا الجراج ليس سوى واجهة ، وأن شققاً رومانسية فاخرة لا بد تختفى فوقه حين ظهر المالك نفسه أمام باب مكتبه يمسح يديه فى خرقة بالية ، كان أشقر بلا روح ، تبدو عليه مظاهر الأنيميا وبقايا وسامة . وحين رآنا قفزت إلى عينيه الزرقاوين الشاحبتين لمعة أمل رطب .

قال توم وهو يضربه على كتفه بود : « هالو ويلسون أيها الصديق العجوز ، كيف حال العمل ؟» . .

أجاب ويلسون بلهجة ليس فيها اقتناع بما يقول : « ليس ما يدعو إلى الشكوى . متى ستبيعنى تلك السيارة ؟ » .

— فى الأسبوع القادم . إن رجلى يقوم باصلاحها الآن .

— إنه يعمل ببطء للغاية ، أليس كذلك ؟ .

قال توم فى برود : «كلا . وإذا كان هذا شعورك فربما كان من الأفضل أن أبيعها فى مكان آخر» .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

فأسرع ويلسون يقول : « لم أقصد هذا ، كل ما قصدته . . » .

وذبل صوته ، بينما أخذ توم يقلب نظره فى أنحاء الجراج بصبر نافد . ثم سمعت وقع خطوات على السلم ، وبعد لحظة حجب الضوء الصادر عن المكتب قوام امرأة غليظة . . . كانت فى منتصف عقدها الثالث ، مليئة نوعا ما ، لكنها — كبعض النساء — كانت تكتسب من هذا الامتلاء جمالاً حسيًّا ، ولم يكن وجهها — فوق ردائها الأسود المنقط المصنوع من الكريب دى شين — يحوى لمعة أو ومضة جمال ، لكن ثمة حيوية تحيط بها ، وكأن أعصاب جسدها كلها تتوهج على الدوام . وابتسمت ببطء ، وسارت مخترقة زوجها كأنه شبح ، وصافحت توم وهى تنظر فى عينيه وقد تورد وجهها ، ثم بللت شفتيها . ودون أن تستدير خاطبت زوجها فى صوت رخيم خشن .

— أحضر عدداً من المقاعد ، حتى يستطيع بعض الناس الجلوس . .

أجابها ويلسون مسرعاً : « طبعاً بالتأكيد» . واتجه نحو المكتب الصغير ، ليمتزج فوراً بلون الجدران الأسمنتى ، وغبار أبيض يغطى رداءه القاتم وشعره الشاحب كما يغطى كل ما يجاوره . . . إلا زوجته التى اقتربت من توم .

قال توم بحذر : « أريد أن أراك ، استقلى القطار التالى » .

— حسناً . . .

— سأقابلك عند كشك الجرائد عند الرصيف السفلى .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

وهزت رأسها ، وابتعدت عنه فى اللحظة التى ظهرا فيها جورج ويلسون على باب مكتبه حاملاً مقعدين .

وانتظرناها عند أول الطريق بعيداً عن الأنظار . . . كان ذلك قبل الرابع من يوليو ببضعة أيام ، وطفل إيطالى ضامر يصف كبسولات التنبيه على طول الخط الحديدى .

قال توم وهو يبادل دكتور إيكلبورج تقطيبه : « مكان رهيب ، أليس كذلك ؟ » .

— فظيع . .

— من المفيد لها أن تغادره . . .

— ألا يعارض زوجها ؟ .

— ويلسون ؟ إنه يظن أنها تذهب لزيارة أختها فى نيويورك ، إنه من الغباء حتى لا يدرك أنه يعيش . .

وهكذا ذهبت مع توم بوكانان وفتاته إلى نيويورك معاً . . أو ليس معاً تماما ، فقد جلست مسز ويلسون من باب الاحتياط فى عربة أخرى ، وأذعن توم فى ذلك لمشاعر سكان إيست إيج ممن قد يكونون فى القطار .

كانت قد استبدلت بثوبها رداء بنيًّا من الموسلين التصق بجسدها عند ردفيها — الأقرب إلى الاتساع — عندما ساعدها توم على النزول على رصيف المحطة فى نيويورك . وعند كشك الجرائد اشترت نسخة من جريدة « تاون تاتل » وصحيفة سينمائية ، كما اشترت من الصيدلية

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

بعض الكولد كريم وزجاجة عطر . وعندما صعدنا إلى الممر ذى الصدى المهيب ، تركت أربع سيارات أجرة تمر قبل أن تنتقى واحدة جديدة بلون اللاڤندر ذات مقاعد رمادية ، وفى هذه السيارة انزلقنا من ظلمة المحطة إلى إشراقة الشمس المتوهجة ، لكنها سرعان ما استدارت عن النافذة فجأة وانحنت إلى الأمام لتدق على الزجاج الأمامى .

قالت فى حماس : « أريد واحداً من هذه الكلاب ، أريد واحداً منها لشقتى ، فإنه لشئ جميل أن يكون لك . . كلب ! » .

ورجعنا لنقف أمام عجوز أشيب يحمل شبهاً أحمق بجون د. روكفلر وتزدحم فى سلة مدلاة من عنقه (دستة) من الجراء الصغيرة المولدة .

وعندما وصل الرجل إلى نافذة العربة سألته مسز ويلسون فى شغف : « من أى نوع هى؟ » .

— من كل الأنواع . أى نوع تريدين يا سيدتى ؟ . .

— أحب أن أشترى كلباً بوليسيًّا ، لا أظن أن لديك واحداً من هذا النوع .

وتطلع الرجل فى شك إلى السلة ، ثم غاص بيده فيها ليجذب واحداً منها من عنقه .

قال توم : « ليس هذا كلباً بوليسيًّا » .

قال الرجل وقد ظهرت فى صوته رنة من خيبة الأمل : « كلا ، إنه ليس بالدقة كلباً بوليسياً ، إنه أقرب إلى الأيريديل » . ومر بيده على فروة ظهره البنية : « انظر إلى هذا المعطف ، أى معطف ! مثل هذا الكلب لن يصاب بالبرد » .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

قالت مسز ويلسون بحماس : « أعتقد أنه رائع ، كم ثمنه ؟» .

قال الرجل وهو ينظر إلى الكلب بإعجاب : « هذا الكلب ؟ هذا الكلب يكلفك عشرة دولارات » .

وغير « الأيريديل» مكانه — لا شك أن ثمة « إيريديل» عند نقطة ما من سلالته رغم أن أقدامه كانت ناصعة البياض — واستقر فى حجر مسز ويلسون التى أخذت تداعب فروته السميكة بنشوة .

سألت فى رقة : « أهو ولد أم بنت؟» .

« هذا الكلب ؟ هذا الكلب ولد . . »

قال توم بصوت قاطع : « إنها كلبة ، ها هى نقودك فاذهب واشتر بها عشرة كلاب أخرى. .» .

وسرنا حتى الشارع الخامس ، كان دافئاً ناعماً يكاد يشبه المرعى ظهيرة يوم الأحد ، حتى لم يكن ليثير دهشتى أن أرى عند انحناءة الطريق قطيعاً كبيراً من الأغنام البيضاء .

قلت : « قف . يجب أن أترككما هنا . . » .

فأجاب توم بسرعة : «كلا ، لا يجب أن تتركنا ، فستجرح شعور «ميرتل» إذا لم تصعد معنا إلى الشقة،ألن يضايقك هذا يا ميرتل؟».

قالت مشجعة : « هلم معنا وسأتصل بأختى كاترين ، لقد وصفه بالجمال أناس يعرفون ما يتحدثون عنه . . » .

— كم كان هذا يسرنى ولكن . . .

وواصلنا السير ، وعدنا ثانية عبر الحديقة نحو ويست هاندريدز ،

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

وعند شارع ١٥٨ توقفت العربة أمام شريحة فى قرص أبيض كبير من العمارات السكنية ، وألقت مسز ويلسون فيما حولها نظرة العائد إلى الوطن ، وجمعت كلبها ومشترياتها الأخرى وسارت إلى الداخل فى خيلاء .

قالت ونحن فى المصعد : « سأستدعى آل ماكى ، وبالطبع سأتصل بأختى أيضاً » .

كانت الشقة فى الطابق الأعلى — حجرة معيشة صغيرة ، وحجرة طعام صغيرة ، وحجرة نوم صغيرة وحمام . وحجرة المعيشة مكتظة حتى أبوابها بطاقم من الأثاث الموشى كبير للغاية بالنسبة لها ، بحيث كانت الحركة داخلها تعنى تعثراً مستمراً فى مشاهد نساء يرقصن فى حدائق ڤرساى ، أما الصورة الوحيدة فكانت صورة مكبرة جداً لما يبدو أنه دجاجة ترقد فوق صخرة ، فإذا نظرت إليها من بعيد تحولت الدجاجة إلى قبعة ، وأطل على الحجرة وجه امرأة عجوز بدينة . وعلى المائدة بضع نسخ من جريدة « تاون تاتل ، ونسخة من رواية « سيمون المدعو بيتر» ، وعدداً من مجلات الفضائح فى برودواى . وكان أول ما اهتمت به مسز ويلسون هو الكلب ، فذهب عامل المصعد على مضض ليحضر صندوقاً مليئاً بالقش وبعض اللبن ، الذى أضاف إليه من جانبه علبة من بسكويت الكلاب الجاف الكبير . . أخذت واحدة منها تتحلل طيلة المساء فى طبق من اللبن ، وفى هذه الأثناء أخرج توم زجاجة ويسكى من مكتب مغلق .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

لم أسكر فى حياتى سوى مرتين ؛ كانت المرة الثانية منهما فى تلك الأمسية ، ولهذا فثمة ضباب معتم يغلف كل ما حدث فيها ، رغم أن الشقة ظلت مليئة بالشمس الساطعة حتى بعد الساعة الثامنة . وجلست مسز ويلسون فوق حجر توم وهى تتحدث بالتليفون مع بعض الناس ، ثم لم تعد هناك سجائر ، فخرجت لأشترى بعضها من محل عند زاوية الشارع . وحين عدت كانا قد اختفيا ، فجلست على استحياء فى حجرة المعيشة ، وقرأت فصلاً من « سيمون المدعوبيتر » . . وإما أنها كانت رواية فظيعة أو أن الويسكى قلل شوهها ، إذ لم يكن لها أى معنى فى نظرى .

وحالما عاد توم وميرتل . (فبعد الكأس الأولى كنت ومسز ويلسون ننادى بعضنا بأسمائنا الأولى) بدأ الأصدقاء يتوافدون على باب الشقة .

كانت الأخت — كاترين — فتاة نحيلة مجربة فى حوالى الثلاثين ، ذات شعر أحمر قصير لزج ، ووجه طلى حتى صار فى بياض اللبن ، وكان حاجباها قد انتزعا ثم رسما من جديد بصورة أكثر خلاعة ، لكن جهود الطبيعة لإعادة الخط القديم جعلت وجهها يبدو ملطخاً ، وحين كانت تتحرك كان يصدر عنها رنين لا يتوقف ، إذ تتحرك أعداد لا حصر لها من الأساور الزجاجية على طول ذراعيها ، لقد جاءت فى عجلة ، وأخذت تنظر حولها إلى الأثاث نظرة المالك ، حتى لقد تساءلت ما إذا كانت تعيش هنا ، ولكنى حين وجهت إليها هذا السؤال ضحكت فى مبالغة ، وأعادت السؤال بصوت مرتفع ، ثم أخبرتنى أنها تعيش مع صديقة لها فى أحد الفنادق .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

أما مستر ماكى فكان رجلا شاحباً أنثوى المظهر يسكن فى الشقة السفلى . كان قد حلق ذقنه لتوه ، فقد كانت على خده بقعة صابون بيضاء ، وكان يحيي كل من فى الحجرة باحترام بالغ . وأخبرنى أنه فى « الميدان الفنى » . وعرفت فيما بعد أنه مصور فوتوغرافى ، وأنه هو الذى قام بتكبير صورة أم مسز ويلسون المعتمة المعلقة على الجدار كأنها شبح ميت ، وكانت زوجته ثاقبة الصوت ، مترهلة ، جميلة ورهيبة ، أخبرتنى فى خيلاء أن زوجها قد صورها مائة وسبعا وعشرين مرة منذ أن تزوجا .

كانت مسز ويلسون قد غيرت رداءها منذ فترة ، ووضعت الآن رداء متقناً لبعد الظهر من شيفون بلون الكريم ، يصدر عنه حفيف مستمر وهى تتحرك داخل الغرفة . وتحت تأثير الرداء تغيرت كذلك شخصيتها ، وتحولت الحيوية الدافقة التى كانت ملحوظة فى الجراج إلى كبرياء مثيرة ، ولحظة بعد الأخرى أصبحت ضحكاتها وإيماءاتها وإشاراتها أكثر تكلفاً ، وإذ أخذت هى تتمدد أخذت الحجرة تزداد صغراً من حولها ، حتى لقد بدت فى النهاية وكأنها تدور حول محور ذى صرير صاخب عبر الهواء الملىء بالدخان .

قالت لأختها فى صيحة عالية مفتعلة : « معظم هؤلاء الناس يا عزيزتى سيغشونك كل مرة ، فكل ما يفكرون فيه هو النقود ، لقد كانت تمر علىّ هنا امرأة فى الأسبوع الماضى لتعنى بقدمى ، وحين قدمت لى الفاتورة كنت تتصورين أنها قد استأصلت لى الأعور » .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

سألت مسز ماكى : « ما اسم المرأة ؟ » .

ـ مسز إيرهارد . إنها تمر على الناس فى منازلهم لتعنى بأقدامهم .

قالت مسز ماكى : « يعجبنى رداؤك ، أعتقد أنه رائع » .

فردت مسز ويلسون على الثناء بأن رفعت حاجبها فى أنفة .

قالت : « إنما هو شىء قديم حقير أضعه فى بعض الأحيان حين لا أهتم بما يكون عليه مظهرى . . » .

فتابعت مسز ماكى حديثها : « لكنه يبدو رائعاً عليك لو أدركت ما أعنى ، لو أن « شيستر» أخذ لك صورة فى هذا الوضع لاستطاع أن يصنع منها شيئاً » .

ونظرنا جميعاً فى صمت إلى مسز ويلسون ، التى أزالت خصلة من الشعر من أمام عينيها وبادلتنا النظر بابتسامة مشرقة ، وحدق مستر ماكى فيها باهتمام ، وقد أحنى رأسه جانباً ، وأخذ يحرك يده أمام وجهه ببطء إلى الأمام وإلى الخلف .

وبعد لحظة قال : « يجب أن أغير الإضاءة ، فإنى أحب أن أبين دقائق الملامح وسأحاول أن أظهر كل الشعر خلفها » .

صاحت مسز ماكى : « ما كنت لأفكر فى تغيير الإضاءة ، وأعتقد أنه . . . » .

قال زوجها : « هس ! » ونظرنا جميعاً إلى موضوع الحديث مرة أخرى ، فى حين تثاءب توم بوكانان بصوت مسموع ونهض على قدميه .

قال : « فلتشربوا شيئاً يا آل ماكى ، احضرى بعض الثلج والمياه

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

المعدنية يا ميرتل قبل أن ينام الجميع . . » .

فرفعت ميرتل حاجبيها يأساً من إهمال أبناء الفئات الدنيا ، وقالت : « لقد قلت لهذا الولد عن الثلج ، يا لهؤلاء الناس ! إن عليك أن تراقبهم طيلة الوقت . . . » .

ونظرت لى وضحكت ضحكة غير ذات معنى ، ثم انتفضت واثبة نحو الكلب ، وقبلته فى نشوة ، واندفعت إلى المطبخ ، وكأنما عشرات الخدم ينتظرون أوامرها هناك .

وقال سستر ماكى : « لقد صورت بعض الصور الجيدة فى لونج أيلاند . . . » .

فنظر إليه توم ووجهه خال من أى تعبير .

ــ اثنان منهما علقناهما فى الطابق الأسفل .

فسأله توم : « اثنان من ماذا ؟ » .

ــ دراستان ، إحداهما سميتها « رأس مونتوك ــ طيور النورس والأخرى سميتها رأس مونتوك ــ البحر .

وجلست الأخت كاترين إلى جوارى فوق الأريكة .

سألتنى : « أتسكن أنت الآخر فى لونج آيلاند ؟» .

ــ أسكن فى ويست إيج .

ــ حقاً ؟ لقد حضرت هناك حفلاً منذ شهر مضى ، عند رجل يدعى جاتسبى . هل تعرفه ؟ .

ــ أسكن فى المنزل المجاور له .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

ـ حسناً ، يقولون إنه ابن أخ أو ابن عم القيصر ويلهلم ، وهذا هو مصدر كل أمواله .

ـ حقاً ؟ .

فأومأت برأسها .

ـ إنه يفزعنى ، وإنى لأكره أن يمسك على مأخذاً . .

وقطعت مسز ماكى هذه المعلومات الشيقة عن جارى إذ أشارت إلى كاترين فجأة وقالت :

ـ شيستر ، أعتقد أنك تستطيع أن تصنع منها شيئاً . . . . وتوقفت. ولكن مستر ماكى لم يزد عن أن يومئ برأسه متضجراً ، ثم يعود بانتباهه إلى توم .

ـ لكم أحب أن أقوم ببعض الأعمال الأخرى عن لونج أيلاند لو سمح لى بالدخول . إن كل ما أطلبه هو أن يعطونى فرصة .

قال توم وهو ينفجر فى ضحكة عالية قصيرة بينما مسز ويلسون تدخل حاملة صينية : « اطلب من ميرتل وستعطيك خطاب توصية ، ألن تفعلى يا ميرتل ؟» أجابت فى فزع : « ماذا أفعل ؟» .

« تعطين ماكى خطاب توصية لزوجك حتى يرسم بعض الدراسات له». وتحركت شفتاه لحظة فى صمت وهو يفكر : « **جورج ب. ويلسون عند مضخة البترول** . أو شىء من هذا القبيل» .

وانحنت كاترين تجاهى وهمست فى أذنى :

ـ إن أحداً منهما لا يطيق زوجه . . .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

ـ ألا يستطيعان ؟ .

ـ لا يطيقه . . . ونظرت إلى ميرتل ثم إلى توم : « إن رأيي هو ، لماذا يستمران فى العيش معهما ما داما لا يطيقانهما ؟ لو أنني كنت مكانهما لحصلت على الطلاق وتزوجنا فوراً ..» .

ـ ألا تحب هى ويلسون أيضاً ؟ .

وكانت الإجابة عن هذا السؤال غير متوقعة . فقد جاءت من ميرتل التى سمعت السؤال . وكانت إجابة عنيفة بذيئة .

صاحت كاترين فى لهجة منتصرة : « ها أنت ترى» . ثم خفضت صوتها ثانية : « إن زوجته هى التى تفرق بينهما ، فهى كاثوليكية ، والكاثوليك لا يؤمنون بالطلاق » .

ولم تكن ديزى كاثوليكية ،وقد صدمتنى قليلاً هذه الأكذوبة الصارخة .

وواصلت كاترين حديثها : « حينما يتزوجان فسيتجهان إلى الغرب ليعيشا هناك ريثما تهدأ العاصفة . . » .

ـ من الأفضل أن يذهبا إلى أوربا .

صاحت بشكل يدعو إلى الدهشة « أوه ، هل تحب أوربا ؟ لقد عدت لتوى من مونت كارلو . . »

ـ حقاً .

ـ فى العام الماضى فقط ، ذهبت إلى هناك مع فتاة أخرى .

ـ وهل بقيتما طويلا . . ؟ . .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

ـ كلا ، ذهبنا فحسب إلى مونت كارلو ثم عدنا ، ذهبنا عن طريق مارسيليا ، وكان معنا أكثر من ألف ومائتى دولار حين بدأنا الرحلة ، لكنها انتزعت منا كلها فى صالات القمار خلال يومين ، وأؤكد لك أننا قد عانينا كثيراً فى العودة ، يالله لكم أكره هذه المدينة ! ! » .

وأضاءت سماء المساء النافذة لحظة بضوء صاف صفاء زرقة البحر المتوسط ، ثم أعادنى صوت مسز ماكى الثاقب ثانية إلى الحجرة .

أعلنت بقوة : « لقد كدت أرتكب خطأ بدورى ، كدت أتزوج يهودياً صغيراً ظل يلاحقنى سنوات ، كنت أعرف أنه دونى ، وكان كل إنسان يقول لى « يا لوسيل ، هذا الرجل دونك بكثير ! » ، ولكن لو لم أقابل شيستر لكان قد نالنى بالتأكيد » .

قالت ميرتل ويلسون وهى تهز رأسها إلى أعلى وإلى أسفل : « نعم ، ولكنك على الأقل لم تتزوجيه » .

ـ أعرف أنى لم أتزوجه .

قالت ميرتل فى صوت غير واضح : « حسناً ، أما أنا فتزوجته ، وهذا هو الفارق بين حالتك وحالتى . . » .

تساءلت كاترين : « لماذا فعلت يا ميرتل ! إن أحداً لم يجبرك على ذلك » .

ففكرت ميرتل وأخيراً قالت :

ـ تزوجته لأنى ظننته مهذباً ، ظننته يعرف شيئاً عن التربية ، لكنه لم يكن يصلح لأن يلعق حذائى . .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

قالت كاترين : « لكنك كنت مجنونة به بعض الوقت» .

صاحت ميرتل غير مصدقة : « مجنونة به ، من قال إنى كنت مجنونة به ؟ لم أكن مجنونة به إلا بقدر ما أنا مجنونة بهذا الرجل هناك» .

وأشارت إلىّ فجأة ، وتطلعت إلىّ كل العيون باتهام ، وحاولت أن يبدو على وجهى أنى لم ألعب دوراً فى ماضيها .

ـ لم أكن مجنونة إلا عندما تزوجته ، ولقد أدركت لتوى أننى ارتكبت خطأ ، لقد اقترض أفضل حلة عند شخص ما ليتزوج بها ، ولم يكلف نفسه حتى مئونة أن يخبرنى بذلك ، وجاء الرجل يطلبها ذات يوم وهو بالخارج . وتطلعت حولها لترى من يصغى إليها ، قلت له : « أهذه حلتك ؟ هذه أول مرة أسمع فيها ذلك» ـ لكنى أعطيتها له ثم رقدت وأخذت أنتحب طيلة الظهيرة» .

وعادت كاترين تحدثنى : « يجب حقاً أن تتركه . لقد عاشا فوق هذا الجراج طيلة اثنى عشر عاماً . وتوم هو أول حبيب لها . .» .

كان الحاضرون جميعاً يطلبون زجاجة الويسكى ـ الثانية ـ فيما عدا كاترين التى كانت « تشعر بنفس النشوة من لا شئ على الإطلاق». واستدعى توم الخادم ، وأرسله ليحضر بعض الشطائر الشهيرة التى كانت فى ذاتها عشاء كاملا .

وكنت أريد أن أخرج وأسير شرقاً نحو الحديقة تحت ضياء الغسق الرقيق ، لكنى فى كل مرة أحاول فيها النهوض كنت أجد نفسى مشتبكاً فى مناقشة عنيفة صاخبة تربطنى بمقعدى كأنها الحبال . وهناك فى أعالى

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

المدينة ، لا بد أن خط نوافذنا الصفراء قد ساهم بنصيبه من الأسرار الإنسانية أمام أعين المشاة العابرين فى الشوارع التى بدأت تعتم ، وكنت هناك أيضاً ، أنظر إلى أعلى وأتساءل ، كنت فى الداخل وفى الخارج ، أحس فى نفس الوقت بالنشوة وبالنفور من تلون الحياة الذى لا ينتهى .

وجذبت ميرتل مقعدها إلى جوارى ، وفجأة بدأت أنفاسها الدافئة تصب فى أذنى قصة أول لقاء لها مع توم .

ـ كان ذلك فى المقعدين الصغيرين المتقابلين اللذين يظلان دائماً شاغرين حتى النهاية ، وكنت ذاهبة لزيارة أختى فى نيويورك وقضاء الليلة معها . كان يرتدى رداء سهرة ، وحذاء من الجلد اللامع . ولم يكن فى وسعى أن أحول عينى عنه ، ولكنى فى كل مرة ينظر فيها إلىّ كنت أتظاهر بأنى أنظر إلى الإعلان الذى يعلو رأسه . وحين وصلنا إلى المحطة كان يسير خلفى ، وصدر قميصه الأبيض يضغط ذراعى ، فقلت له إنى سأضطر إلى استدعاء رجل الشرطة ، لكنه كان يعرف أنى أكذب ، كنت فى حالة من الإثارة لم أكد أدرك معها أنى ركبت معه سيارة أجرة . ولم أركب قطار الضواحى ، فكل ما ظل يلح على ذهنى مرة بعد الأخرى هو : « لن تعيشى إلى الأبد ، لن تعيشى إلى الأبد» .

واستدارت نحو مسز ماكى ، وامتلأت الغرفة برنين ضحكتها المصطنعة .

صاحت : « سأعطيك يا عزيزتى هذا الرداء حالما أملّه . ولا بد أن أشترى واحداً آخر غداً . سأقوم بوضع قائمة بكل ما علىّ أن أشتريه : جهاز تدليك ، ومصففاً للشعر ، وسلسلة للكلب ، وإحدى تلك

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

الطفايات الأنيقة التى تضغطين فيها زراً ، وإكليل زهور ذا قوس حريرى أسود لقبر أمى يمكن أن يعيش طوال الصيف ، لا بد أن أكتب قائمة حتى لا أنسى كل ما على أن أصنعه» .

كانت الساعة التاسعة . . .وبعد ذلك مباشرة نظرت إلى ساعتى لأجدها العاشرة. ومستر ماكى نائم على مقعده ، وقبضتاه معقودتان فى حجره كأنه صورة أحد رجال الأعمال ، فأخرجت منديلى ومسحت من فوق خده بقايا الصابون الجاف التى ظلت تقلقنى طيلة الأمسية .

وكان الكلب الصغير قابعاً فوق المائدة ينظر بعيون عمياء خلال الدخان ، وتصدر عنه زمجرة خفيفة من وقت لآخر ، كان الناس يختفون ويعودون إلى الظهور ، ويضعون الخطط للذهاب إلى مكان ما ، ثم يفقدون بعضهم البعض ، ويبحثون عن بعضهم البعض ، ويجدون بعضهم بعضاً على بعد أقدام ، وعند منتصف الليل وقف توم بوكانان ومسز ويلسون وجهاً لوجه ، يناقشان فى أصوات خاوية ما إذا كان من حق مسز ويلسون أن تذكر اسم ديزى .

صاحت مسز ويلسون : « ديزى ! ديزى ! سأقولها كلما راق لى ذلك ديزى ! د ي . . » .

وبحركة قصيرة رشيقة حطم توم بوكانان أنفها بيده المفتوحة .

ثم كانت هناك مناشف مخضبة بالدماء فوق أرض الحمام ، وأصوات نساء تلوم ، وصيحة ألم متقطعة تعلو كل هذا الاضطراب ، واستيقظ مستر ماكى من غفوته ، واتجه مترنحاً نحو الباب ، وعند منتصف المسافة

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

استدار وأخذ يحدق فى المشهد . . . زوجته وكاترين تلومان وتهدئان ، وتتخبطان هنا وهناك بين الأثاث المزدحم ، وفى أيديهما أدوات الإسعاف ، وشبح ميرتل الراقدة فى يأس على الأريكة يسيل منها الدم ، وهى تحاول أن تفرش نسخة من « تاون تاتل » فوق مشاهد فرساى المنقوشة على القماش . ثم استدار مستر ماكى وواصل سيره نحو الباب ، فأخذت قبعتى من فوق الشماعة وتبعته .

اقترح علىّ والمصعد يزمجر هابطاً بنا : « تعال لتتغدى معى يوماً ما »

— أين ؟

— فى أى مكان .

صاح بنا عامل المصعد : « ابعد يديك عن الأزرار » .

فرد مستر ماكى فى كبرياء : « أرجو المعذرة ، فلم أكن أعرف أنى لمستها » .

ووافقت مستر ماكى : « حسناً سيسرنى هذا » .

. . . أنا أقف إلى جوار سريره ، وهو يجلس بين الأغطية ، مرتدياً ملابسه الداخلية ، وحقيبة كبيرة بين يديه .

« الجمال والوحش . . . الوحدة . . . حصان البقالة العجوز . . . كوبرى بروكلين » .

ثم أنا أرقد نصف نائم فى الرصيف الأسفل بمحطة بنسلفانيا ، أحدق فى جريدة « التريبيون » الصباحية ، وأنتظر قطار الساعة الرابعة .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

الفصل الثالث

كانت الموسيقى تنبعث من منزل جارى طيلة ليالى الصيف ، وفى حدائقه الزرقاء كان الرجال والفتيات يجيئون ويذهبون كالفراشات بين الهمسات والشمبانيا والنجوم . وعند المد بعد الظهر ، كنت أراقب ضيوفه وهم يقفزون إلى الماء من فوق برج عوامته ، أو يأخذون حماماً شمسياً فوق رمال شاطئه الساخنة ، فى حين يشق قارباه البخاريان مياه الخليج ، وفى أعقابهما دوائر مائية فوق شلالات من الزبد ، وفى نهايات الأسابيع كانت سيارته الرولز رويس تتحول إلى عربة أوتوبيس تحمل جماعات من المدينة وإليها منذ التاسعة صباحاً حتى ما بعد منتصف الليل بكثير ، بينما عربته الاستيشن نهرول كأنها حشرة صفراء لتقابل كل القطارات . وفى أيام الاثنين كان ثمانية خدم من بينهم بستانى إضافى يكدحون طول اليوم بالمماسح وفرش التنظيف والمطارق ومقصات التقليم ليصلحوا مفاسد الليلة الماضية .

وفى كل يوم جمعة ، كانت خمس عربات محملة بالبرتقال والليمون تصل من بائع فاكهة فى نيويورك . . . وكل يوم اثنين ، كان نفس هذا البرتقال والليمون يخرج من الباب الخلفى هرماً من الأنصاف المعصورة ، وكان بالمطبخ آلة تستطيع أن تستخرج عصير مائتى برتقالة فى نصف ساعة ، إذا ما ضغط إصبع الخادم مائتى مرة على زرّ صغير .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

وكان عدد من المتعهدين يأتون مرة كل أسبوعين على الأقل ومعهم بضع مئات الأقدام من القماش ، وما يكفى من الأنوار الملونة ليصنعوا شجرة عيد ميلاد فى حديقة جاتسبى الهائلة . وعلى موائد البوفيه المزدانة بالمشهيات المتلألئة كان الخنزير المشوى المتبل يزدحم إلى جوار السلطات الزاهية ، وفطائر لحم الخنزير والديوك الرومية التى حولها السحر إلى لون ذهبى قاتم . وفى البهو الرئيسى أقيم بار ذوسور نحاسى حقيقى ، امتلأ بأنواع الجن والخمور ، وبمرطبات نسيت منذ أمد طويل ، حتى كانت الزائرات أصغر سنًّا من أن يميزن بينها .

وحوالى الساعة السابعة وصلت الأوركسترا ، ولم تكن فرقة خماسية ضئيلة بل حشد بأكمله من المزامير وآلات البورى الطويلة والساكسوفون وآلات الكمان ، والأبواق والنايات الصغيرة والطبول المنخفضة والعالية . وكان آخر السابحين قد عادوا الآن من الشاطئ ، وأخذوا فى ارتداء ملابسهم فى الطابق الأعلى ، والسيارات القادمة من نيويورك تزدحم فى الممر ، وازدهت الأبهاء والقاعات والشرفات بكل الألوان الأصلية ، وبشعور صففت بطرق جديدة غريبة ، وشيلان تتخطى أحلام قسطلة . والبار مزدحم ، ودورات الكوكتيل تطفو لتملأ الحديقة فى الخارج ، حتى امتلأ الجو بالثرثرة والضحكات ، وبتعارفات عارضة تنسى لتوها ، ومقابلات مليئة بالشوق بين نساء لم يسمعن أبداً بأسماء بعضهن .

وأصبحت الأنوار أكثر إشراقاً إذ مالت الأرض بعيداً عن الشمس ، وبدأت الأوركسترا تعزف كوكتيلات موسيقية صفراء ، وارتفعت أوبرا

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

الأصوات درجة ، وأصبحت الضحكات أكثر يسراً دقيقة بعد دقيقة، إذ تراق فى سخاء ، وتسكب فى أعقاب كلمة بهيجة ، وبدأت الجماعات تتغير بسرعة أكبر ، فتتضخم بالقادمين الجدد ، وتتحلل وتتشكل فى نفس اللحظة ؛ وأفراد يتجولون بين الجماعات ، فتيات مليئات بالثقة يندمجن هنا وهناك فى جماعات أكثر حجماً وثباتاً ، ليصبحن فى لحظة فرح بالغ مركزاً لجماعة ما ، ثم ينزلقن — وقد انتشين بالنصر — عبر بحر الوجوه والأصوات والألوان المتغير تحت الأنوار المتغيرة أبداً .

وفجأة أمسكت واحدة من هؤلاء الرحالة — وهى ترتعش متلألئة — بكأس كوكتيل طفا فى الهواء ، وأفرغته فى جوفها تستمد منه الشجاعة ، وأخذت ترقص وحدها فوق منصة من القماش ، وتحرك يديها على طريقة فريسكو . ثم لحظة سكون ؛ ويغير قائد الأوركسترا نغماته لتتوافق معها ، ثم تنفجر الهمسات إذ تنطلق أنباء خاطئة بأنها تلميذة جيلدا جراى من مسرح الفولى . لقد بدأ الحفل .

وأعتقد أننى فى أول ليلة ذهبت فيها إلى منزل جاتسبى كنت واحداً من بضعة ضيوف دعاهم فعلا ، فما كان الناس يُدْعَوْن ، بل كانوا يذهبون إلى هناك ، كانوا يركبون سيارات تحملهم إلى اونج آيلاند ، وبطريقة أو بأخرى ، ينتهون إلى باب جاتسبى . يكفى أن يصحبهم مرة واحد يعرف جاتسبى ، لكى يتصرفوا بعد ذلك بسلوك الناس فى حدائق الملاهى ، بل كانوا فى بعض الأحيان يأتون ويذهبون دون أن يقابلوا جاتسبى ، ويحضرون الحفلة ببساطة قلب تغدو هى تصريح الدخول لهم .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

أما أنا فكنت قد دعيت فعلاً ، فثمة سائق يرتدى رداء أزرق بلون بيضة الهزار قد عبر حديقتى مبكراً صباح ذلك السبت ، وهو يحمل رسالة من سيده مكتوبة بطريقة رسمية إلى حد يثير الدهشة ، فسيكون شرفاً كبيراً لجاتسبى — هكذا كانت الرسالة تقول — لو أننى حضرت « حفلته الصغيرة » ذلك المساء ، لقد رآنى بضع مرات ، وانتوى أن يزورنى ، لكن مجموعة غريبة من الظروف منعته من ذلك ، والتوقيع « جاى جاتسبى » بحروف كبيرة .

وتوجهت إلى حديقته بعد السابعة بقليل مرتدياً حلة من الفانلا ، وأخذت أتجول فى غير ارتياح بين دوامات أناس لا أعرفهم . . . وإن بدا هنا أو هناك وجه شاهدته فى قطار الضواحى. وأثار دهشتى فوراً ذلك العدد من الشبان الإنجليز الموزعين هنا وهناك ، وكلهم حسنو الهندام يبدو عليهم الجوع قليلا ، ويتحدثون فى صوت منخفض متحمس إلى امريكيين أثرياء ، كنت واثقاً أنهم يبيعونهم شيئاً : أسهماً أو عقود تأمين أو سيارات ، كانوا على الأقل يدركون فى ألم يسر الأموال فى هذه البيئة ، ويؤمنون أنها من نصيبهم مقابل بضع كلمات يعزفونها على الوتر الصحيح .

وحالما وصلت حاولت أن أجد مضيفى ، لكن الشخصين أو الثلاثة الذين سألتهم عن مكانه حملقوا فىّ مندهشين ، وأنكروا بحماس أى معرفة بتحركاته ، حتى اضطررت أن أتسلل نحو مائدة الكوكتيل . . المكان الوحيد فى الحديقة الذى يمكن لرجل منفرد أن يتلكأ فيه دون

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

أن يبدو عليه التسكع أو الوحدة .

وكنت فى طريقى لأن أثمل تماماً لمجرد إحساسى بالحيرة والارتباك ، حين خرجت جوردان بيكر من المنزل ، ووقفت على رأس الدرجات الرخامية ، وهى منحنية قليلا إلى الخلف ، تنظر إلى الحديقة فى اهتمام ملىء بالاحتقار .

وسواء رحبت بها أم لم أرحب ، فقد وجدت من الضرورى أن أصاحب أحداً ، وإلا لبدأت فى توجيه التحيات الودية إلى أناس لا أعرفهم .

صحت وأنا أتقدم نحوها « هالو ! » وبدا صوتى مرتفعاً بصورة غير عادية عبر الحديقة .

أجابت بغير انتباه وأنا أقترب منها : « ظننت أنك قد تكون هنا ، تذكرت أنك تعيش فى المنزل المجاور . . . » .

وأمسكت بيدى فى فتور ، وكأنها تعد بأنها ستنتبه لى بعد دقيقة ، وأخذت تصغى إلى فتاتين ترتديان رداءين توأمين صفراوين وتقفان عند أسفل الدرجات

صاحتا معا : « هالو ! نأسف لأنك لم تفوزى » .

كانتا تتحدثان عن مباراة الجولف ، فقد كانت قد خسرت المباراة النهائية فى الأسبوع الماضى .

وقالت إحدى الفتاتين اللتين ترتديان اللون الأصفر : « أنت لا تعرفين من نحن لكننا قابلناك هنا منذ شهر » .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

فقالت جوردان : « لقد صبغتما شعركما منذ ذلك الحين » .

وأفزعنى قولها ، لكن الفتاتين كانتا قد سارتا دون اتجاه ، وأصبحت الملاحظة موجهة للقمر الذى لم يكتمل بعد ، والذى لا بد أنه قد خرج — كالعشاء — من سلة أحد المتعهدين . ونزلنا الدرجات ، وأخذنا نتجول فى الحديقة ، وذراع جوردان الذهبى النحيل فى ذراعى ، وطافت نحونا فى ضياء الغسق صينية كوكتيل، وجلسنا أمام مائدة مع الفتاتين اللتين ترتديان اللون الأصفر ، وثلاثة رجال قدم كل منهم نفسه باسم مستر مامبل .

سألت جوردان الفتاة التى تجلس إلى جوارها : « أتأتين إلى هذه الحفلات كثيراً ؟ .

فأجابت الفتاة بصوت واثق يقظ : « كانت آخر حفلة أحضرها هى تلك التى قابلتك فيها » . . .واستدارت نحو رفيقتها قائلة : « ألم تكن كذلك بالنسبة لك يا لوسيل ؟ . . » .

وكانت كذلك بالنسبة للوسيل أيضاً .

وقالت لوسيل : « أحب أن أحضر هذه الحفلات ، ففيها لا أبالى بما أفعل ، ولهذا فإنى أستمتع بوقتى تماماً . فحين كنت هنا فى المرة الأخيرة مزق المقعد ردائى ، فسألنى عن اسمى وعنوانى . . . وخلال أسبوع وصلنى طرد من محل (كرواريه) يحوى رداء جديداً » .

سألتها جوردان : « وهل احتفظت به ؟» .

— بالتأكيد ، وكنت سأرتديه الليلة ، لكنه كان واسعاً عند الصدر

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

ويحتاج إلى بعض الإصلاحات ، إنه رداء أزرق فى لون الغاز ، وبه خرز فى لون اللاقندر . وثمنه مائتان وخمسة وستون دولاراً .

قالت الفتاة الأخرى فى حماس .

ــ ثمة أمر غريب فى شخص يفعل مثل هذا الشئ ، إنه لا يريد مشكلة مع أى أحد .

تساءلت : « من الذى لا يريد ؟» .

ــ جاتسبى . لقد قال لى شخص . . .

وانحنت الفتاتان وجوردان معاً ليتبادلن الأسرار .

ــ قال لى شخص إنهم يعتقدون أنه قتل رجلاً ذات مرة . .

وشملتنا جميعاً هزة . وانحنى الثلاثة الذين يحملون اسم مامبل إلى الأمام وهم يصغون فى شغف .

فاعترضت لوسيل فى ارتياب : لاأعتقد أن الأمر هكذا ، بل الأقرب إلى الحقيقة هو أنه كان جاسوساً ألمانياً أثناء الحرب» .

فأومأ أحد الرجال برأسه مؤيداً وقال مؤكداً .

ــ لقد سمعت هذا من رجل يعرف كل شئ عنه وتربى معه فى ألمانيا .

فقالت الفتاة الأولى : « أوه ، كلا . لا يمكن أن يكون الأمر كذلك ، لأنه كان فى الجيش الأمريكى أثناء الحرب » . وحين عدنا إليها مصدقين انحنت إلى الأمام بحماس : « يكفى أن تراقبيه فى بعض الأحيان حين يظن أن أحداً لا ينظر إليه ، أراهن أنه قد قتل إنساناً» .

وضيقت عينيها وارتعشت ، وارتعشت لوسيل ، واستدرنا نبحث عن

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

جاتسبى . كان مما يشهد بالتأملات الرومانسية التى يثيرها ، تلك الهمسات التى تدور حوله ، من أناس قليلا ما يجدون فى هذا العالم شيئاً لا يجب أن يتحدثوا عنه إلا همساً .

كان العشاء الأول يقدم الآن — فسيكون هناك عشاء ثان بعد منتصف الليل — ودعتنى چوردان لأن أنضم إلى جماعتها التى أحاطت بمائدة فى الجانب الآخر من الحديقة ، كان هناك ثلاثة أزواج ومرافق جوردان . . طالب لحوح تصدر عنه غمزات عنيفة ، ويبدو عليه الاقتناع بأنه بعد حين — طال أو قصر — ستستسلم له چوردان إلى هذا الحد أو ذاك . . وبدلاً من أن تتشتت هذه الجماعة فقد اكتسبت تجانساً متعالياً ، وانتحلت لنفسها مهمة تمثيل نبالة الريف الرزينة — إيست إيج تتلطف مع ويست إيج ، وتأخذ حذرها من مرحها الدافق .

همست چوردان بعد حوالى نصف ساعة ضائعة مملة : « فلنخرج من هنا ، فهم أكثر أدباً مما أطيق» .

وقمنا . وأوضحت أننا سنذهب للبحث عن المضيف . وقالت : أنا لم أقابله أبداً ، وهذا يسبب لى القلق . وأومأ الطالب برأسه بطريقة ساخرة حزينة .

وكان البار — الذى بحثنا فيه أولا — مزدحماً ، ولكن جاتسبى لم يكن هناك ، ولم نستطع أن نراه من فوق الدرجات ، ولم يكن فى الشرفة . . . وفى لحظة ما جربنا باباً تبدو عليه الأهمية ، فدخلنا مكتبة على الطراز القوطى صنعت رفوفها من خشب البلوط الإنجليزى ، وربما

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

نقلت بكاملها من أحد البيوت التى دمرت عبر البحار .

وعند طرف مائدة كبيرة كان يجلس رجل بدين فى منتصف العمر ، ذو نظارة هائلة كأنها عينا بومة ، كان ثملا إلى حد ما ، يحدق فى قلق إلى رفوف الكتب ، واستدار على كرسيه منفعلاً عندما دخلنا . وفحص چوردان من رأسها حتى قدميها .

سألنا فى اندفاع : « ما رأيكم ؟ » .

— « فيم ؟»

فأشار بيده نحو أرفف الكتب .

— فى هذا ، واقع الأمر أنكم لستم فى حاجة لأن تتأكدوا . فقد تأكدت بنفسى أنها حقيقية .

— الكتب؟ .

فأومأ برأسه .

— حقيقية تماماً ، بها صفحات وكل شئ . ظننت أنها ورق مقوى ، جميل ومتين ، لكن واقع الأمر أنها حقيقية تماماً . صفحات و . . تعالوا أريكم .

كان يأخذ ارتيابنا أمراً مفروغاً منه ، واندفع نحو خزائن الكتب ، وعاد يحمل المجلد الأول من « محاضرات ستودارد » .

صاح فى انتصار : « انظروا ! إنها قطعة جيدة من المادة المطبوعة . لقد خدعتنى . . إن هذا الرجل مخرج ممتاز مثل بيلاسكو ، ياله من انتصار . أى كمال وأية واقعية ! لكنه يعرف أين يقف أيضاً . . .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

فالصفحات غير مفتوحة . ولكن ماذا تريدون ؟ ماذا تتوقعون ؟ » .

واختطف الكتاب منى ، وأعاده فى عجلة إلى رفه ، متمتماً بأنه إذا أزيل قالب واحد فإن المكتبة بأسرها معرضة للانهيار .

سألنا : « من الذى أحضركم ! أم تراكم جئتم من تلقاء أنفسكم ؟ أما أنا فقد أحضرنى بعض الناس . إن معظم الموجودين يحضرهم بعض الناس » .

نظرت إليه چوردان فى انتباه وابتهاج دون أن تجيب .

وواصل هو حديثه : « أحضرتنى امرأة اسمها روزفلت . مسز كلود روزفلت . أتعرفونها ؟ لقد قابلتها فى مكان ما ليلة أمس . لقدظللت ثملا طيلة الأسبوع الماضى ، وظننت أنه قد ينبغى أن أجلس فى مكتبة» .

— وهل حدث ذلك ؟

— قليلا فيما أعتقد . لا أستطيع أن أقول بعد ، فلم يمض علىّ هنا سوى ساعة . هلى أخبرتكم عن الكتب ؟ إنها حقيقية . إنها . . . .

— لقد أخبرتنا .

وصافحناه فى جدية ، وعدنا إلى الخارج .

كان الرقص يدور الآن فى سرادقات الحديقة ، رجال مسنون يدفعون فتيات صغيرات إلى الخلف فى دوائر فظة لا تنتهى ، وأزواج أكبر يمسكون ببعضهم ويدورون فى أناقة ويبتعدون إلى الأركان — وعدد كبير من الفتيات الوحيدات يرقصن بمفردهن أو يرحن الأوركسترا لحظة من عبء آلات البانجو . وعند منتصف الليل كانت الفرحة

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

قد زادت . وكان مغنى تينور الشهير قد غنى بالإيطالية، ومغنية سيئة السمعة قد غنت أغنية جاز ، وفيما بين النمر كان الناس يأتون « بحركات بهلوانية» فى كل أنحاء الحديقة ، بينما انفجارات الضحكات السعيدة الفارغة ترتفع نحو سماء الصيف ، . وقام زوج من توائم المسرح — اتضح أنهما الفتاتان اللتان ترتديان اللون الأصفر — بأداء مشهد صغير بثياب البحر ، وقدمت الشمبانيا فى كئوس أكبر من الكئوس العادية ، وارتفع القمر إلى أعلى ، وطفا على الخليج مثلث من الدوائر الفضية ، يرتعش تحت وقع نغمات البانجو الحادة فى الحديقة .

وكنت لا أزال مع چوردان بيكر . كنا نجلس على مائدة مع رجل فى مثل سنى ، وفتاة صغيرة عربيدة تندفع ضاحكة عند أقل إثارة . كنت أستمتع بنفسى إذ شربت كأسين صغيرين من الشمبانيا ، وتحول المشهد أمام عينى إلى شئ هام وعميق .

وعند إحدى وقفات العرض نظر الرجل إلىّ وابتسم .

قال لى بأدب : « إن وجهك مألوف ، ألم تكن فى الفرقة الثالثة أثناء الحرب؟ » .

— ماذا ؟ . نعم لقد كنت فى كتيبة المدفعية التاسعة .

— كنت فى كتيبة المدفعة السابعة حتى يونيو من عام تسعة عشر أو ثمانية عشر . كنت أعرف أنى رأيتك فى مكان ما من قبل .

وتحدثنا لحظة عن بعض القرى الصغيرة الندية المعتمة فى فرنسا ، وكان من الواضح أنه يعيش فى نفس هذه الحيرة ، إذ أخبرنى أنه قد

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

اشترى لتوه طائرة مائية ، وسيقوم بتجربتها فى الصباح .

ــ أتريد أن تأتى معى أيها الصديق العجوز ؟ قريباً من شاطئ الخليج ؟

ــ فى أى وقت ؟

ــ أى وقت يناسبك .

وكان على طرف لسانى أن أسأله عن اسمه حين نظرت چوردان حولها وابتسمت .

تساءلت : « هل تستمتع بوقتك الآن ؟ .

ــ أحسن كثيراً . . واستدرت إلى الرجل الذى تعرفت به أخيراً : « هذه حفلة غير عادية بالنسبة لى . تصور أنى لم أر المضيف . إنى أعيش هناك . . . » وأشرت بيدى إلى السياج المختفى على بعد : « وقد أرسل لى هذا الرجل جاتسبى سائقه يحمل دعوة» .

ونظر إلىّ لحظة كأنه لا يستطيع أن يفهم .

وفجأة قال : « أنا جاتسبى » .

صحت : « ماذا !! أوه ، أرجو المعذرة» .

ــ كنت أظن أنك تعرف أيها الصديق العجوز ، أخشى أننى لست مضيفاً جيداً .

وابتسم لى فى تعاطفٍ ــ بل فى أكثر من تعاطف ــ كانت ابتسامته واحدة من تلك الابتسامات التى تحمل إليك طمأنينة دائمة ، والتى لا تلتقى بها فى حياتك إلا أربع أو خمس مرات ، كانت ابتسامة تواجه

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

العالم الخارجى لحظة – أو تبدو كأنها تواجهه – ثم تتركز عليك أنت ، فتتحيز لك دون تحرج ، كانت تفهمك تماماً كما تحب أن تفهم ، وتؤمن بك تماماً كما تحب أن تؤمن بنفسك ، وتؤكد لك أنها تحمل عنك نفس الصورة التى تحب أن تضفيها على من حولك . وعند هذه النقطة بالدقة اختفت الابتسامة – ووجدت نفسى أنظر إلى فتى أنيق خشن ، يزيد على الثلاثين بعام أو عامين ، وتكاد لهجة حديثه الرسمية المفتعلة تصل إلى حد السخف . فقبل أن يقدم لى نفسه كنت أحس تماماً أنه ينتقى كلماته بعناية .

وفى اللحظة التى عرفنا فيها مستر جاتسبى بنفسه هرول نحوه خادم يخبره أن شيكاغو تطلبه باللاسلكى . فاعتذر بانحناءة صغيرة شملت كلا منا بدوره .

وحثنى قائلاً : « إذا أردت شيئاً أيها الصديق العجوز فما عليك إلا أن تطلبه ، إئذن لى وسأعود إليكم بعد قليل » .

وحين ذهب استدرت فوراً إلى چوردان . . . جاهداً أن أؤكد لها دهشتى . فقد كنت أتوقع أن يكون مستر جاتسبى شخصاً بديناً متورداً فى منتصف العمر .

سألتها : « من هو؟ أتعرفين؟ » .

– ليس سوى رجل يدعى جاتسبى . .

– أعنى من أين هو؟ وماذا يعمل ؟ .

أجابت بابتسامة شاحبة : « الآن بدأت الموضوع ، حسناً لقد

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

أخبرنى مرة أنه كان فى أكسفورد . . » .

وبدأت خلفية معتمة تتشكل خلف الرجل ، لكنها تبخرت تماماً مع ملاحظتها التالية :

— بيد أننى لا أصدق ذلك .

— لماذا . . .

قالت بإصرار : « لا أعرف ، وإنما أنا لا أعتقد فحسب أنه ذهب إلى هناك » .

ثمة شئ فى صوتها يذكرنى بصوت الفتاة الأخرى وهى تقول : « أعتقد أنه قتل رجلا » . . ، وهذا الشئ يثير استغرابى ، كنت سأقبل دون تساؤل معلومات تخبرنى أن جاتسبى قد قفز من مستنقعات لويزيانا أو من الجانب الشرقى الفقير فى نيويورك . كان هذا أمراً مفهوماً ، لكن . . . الشبان لا يثبون ببرود من لا مكان ، ويشترون قصراً على خليج لونج أيلاند ، أو هذا على الأقل ما كنت مقتنعاً به بحكم سذاجتى القروية .

قالت چوردان مغيرة الحديث ، بهذا النفور الذى يحسه سكان المدن تجاه كل ما هو محدد « إنه على أى حال يقيم حفلات كبيرة ، وأنا أحب الحفلات الكبيرة فإنها أكثر ألفة ، فليس هناك ألفة فى الحفلات الصغيرة » .

ودوى صوت طبلة عميق ، ورن صوت قائد الأوركسترا فجأة فوق ضجيج الحديقة .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

صاح : « سيداتى . بناء على طلب مستر جاتسبى سنعزف لكم آخر أعمال مستر ڤلاديمير توستوف التى جذبت اهتماماً كبيراً فى قاعة كارنيجى فى مايو الماضى ، وإذا كنتم تقرأون الصحف فستعرفون أنها حققت نجاحاً كبيراً » ، وابتسم فى تفضل مرح وأضاف : « بعض النجاح » . وهنا ضحك كل الحاضرين .

وختم كلامه بقوة : « والقطعة معروفة باسم « تاريخ العالم بالجاز » لڤلاديمير توستوف » .

وقد أفلتت منى طبيعة لحن مستر توستوف ، فحالما بدأ اللحن وقعت عيناى على جاتسبى يقف وحيداً على الدرجات الرخامية ، ويقلب نظره من مجموعة إلى أخرى بعيون يبدو فيها الرضا . كان جلده البرونزى مشدوداً على وجهه ، وشعره القصير يبدو وكأنه يحلق كل يوم . لم أستطع أن أرى فيه شيئاً خبيثاً ، وتساءلت ما إذا كان عدم تعاطيه الخمر سبباً فى عزلته عن ضيوفه إذ بدا لى أنه يزداد استقامة مع ازدياد الصخب الأخوى من حوله . وحين انتهى « تاريخ العالم بالجاز » ، كانت هناك فتيات يضعن رءوسهن على أكتاف الرجال كأنهن جراء سعيدة ، وفتيات يغمى عليهن فى مجون بين أذرع الرجال ، بل وبين أذرع جماعات من الرجال ، مدركات أن أحداً سيوقف سقوطهن — لكن أحداً لم يسقط نحو جاتسبى ، ولا لمست كتفه خصلة شعر ، ولا تشكل رباعى غنائى تمثل رأس جاتسبى حلقة فيه .

— أرجو المعذرة .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

كان وصيف جاتسبي يقف إلى جوارنا فجأة .

سألنا « مس بيكر ؟ أرجو معذرتك ، لكن مستر جاتسبي يود أن يحدثك على انفراد» .

صاحت فى دهشة : « يحدثنى أنا» .

— نعم يا سيدتى .

فنهضت ببطء وهى ترفع حاجبها لى فى استغراب ، وتبعت الخادم نحو المنزل ، ولاحظت أنها تضع رداء المساء الذى ترتديه — كما تضع كل أرديتها — وكأنها ملابس رياضية — كان ثمة رشاقة فى حركتها ، كأنها قد تعلمت المشى أول ما تعلمت فوق ملاعب الجولف غداة أيام نظيفة رقيقة .

كنت وحدى ، وكانت الساعة قد اقتربت من الثانية . ولبعض الوقت صدرت أصوات مختلطة متداخلة عن غرفة طويلة متعددة النوافذ تطل على الشرفة ، فتهربت من مرافق چوردان الذى كان عندئذ منهمكاً فى مناقشة عن الولادة مع فتاتين من فتيات الكورس داعياً إياى أن أشترك معه . وسرت إلى الداخل .

كانت الغرفة الكبيرة مليئة بالناس ، وإحدى الفتاتين اللتين ترتديان اللون الأصفر تعزف على البيانو ، وقد وقفت إلى جوار مقعدها شابة حمراء الشعر من فتيات الكورس الشهيرات منهمكة فى الغناء . كانت قد احتست كمية كبيرة من الشمبانيا ، وأثناء أغنيتها كانت قد قررت فى غير مناسبة أنّ كل شئ حزين حزين . . . فلم تكن

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

تغنى فحسب بل كانت تبكى أيضاً ، وحينما كانت الأغنية تتوقف كانت تملأ الوقفة بتنهدات مقطوعة لاهثة ، ثم تعود ثانية إلى النغمات فى سوبرانو مرتعشة . وأخذت الدموع تجرى على خدها . . . وإن لم يكن بحرية ، فحالما كانت الدموع تصل إلى حافة رموشها المكتحلة كانت تكتسب لون الحبر ، وتتابع بقية طريقها فى نهيرات بطيئة سوداء . وقدم أحدهم اقتراحاً فكهاً بأن تغنى الأنغام المرسومة على وجهها ، فرفعت يديها إلى أعلى ، وغاصت فى أحد المقاعد ، وذهبت فى نوم عميق مخمور .

وأخبرتنى فتاة تقف عند مرفقى : « لقد تشاجرت مع رجل يقول إنه زوجها » .

ونظرت حولى . كانت غالبية النساء الباقيات يتشاجرن مع رجال يقولون إنهم أزواجهن . وحتى جماعة چوردان — ذلك الرباعى القادم من إيست إيج — كان الشقاق قد مزقها ، وأخذ أحد الرجال يتحدث مع ممثلة شابة ، بينما حاولت زوجته الضحك من الموقف فى كبرياء ولا مبالاة ، ثم انهارت تماماً وأخذت تلكزه فى خاصرته ، ومن فترة إلى أخرى كانت تظهر فجأة إلى جواره كأنها ماسة غاضبة ، وتهمس فى أذنه : « لقد وعدت ! » .

لم يكن الإحجام عن العودة مقصوراً فحسب على رجال عنيدين ، فقد كان يشغل البهو الآن رجلان يبدو عليهما الصحو إلى حد يثير الرثاء ، وقد ارتسم الغيظ والسخط على زوجتيهما ، كانت الزوجتان تتبادلان

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

المشاركة الوجدانية فى أصوات مرتفعة قليلا .

ـ كلما رآنى أستمتع بوقتى طلب أن نعود إلى البيت . . .

ـ لم أر مثل هذه الأنانية فى حياتى . .

ـ إننا دائماً أول من يغادر الحفل . .

ـ وكذلك نحن .

قال أحد الرجلين فى خجل .

ـ حسناً ، إننا نكاد نكون الأخيرين هذه الليلة ، لقد خرج الأوركسترا منذ نصف ساعة .

ورغم اتفاق الزوجتين على أن مثل هذا الفعل الشرير أمر لا يمكن تصديقه ، فقد انتهى النزاع بعراك قصير ، وحُملت كل من الزوجتين لتختفى فى الليل وهى تضرب الهواء بقدميها .

وإذ كنت أنتظر لآخذ قبعتى فى البهو فتح باب المكتبة ، وخرجت منه چوردان بيكر وجاتسبى معاً . كان يقول لها بعض الكلمات الأخيرة ، لكن حرارة سلوكه تحولت فجأة إلى رسمية عندما اقترب منه بعض الناس ليودعوه .

وكانت مجموعة چوردان تناديها من عند السقيفة بصبر نافد ، لكنها تلكأت بضع لحظات لتصافحنى .

همست لى : « سمعت لتوى أغرب شئ . كم بقينا بالداخل» .

ـ حوالى ساعة .

أعادت قولها وهى شاردة : «كان ببساطة . . أمراً مذهلا ، لكنى

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

أقسمت أنى لن أبوح به لأحد وهأنذا أستثير فضولك » ، وتثاءبت فى وجهى بلطف « تعال لترانى أرجوك . . دفتر التليفونات . . تحت اسم مسز سيجورنى هوارد . . . عمتى . . » . كانت تتكلم وهى تهرول . ولوحت بيدها السمراء فى تحية رشيقة ، وهى تذوب فى جماعتها عند الباب .

وعندما انضممت إلى آخر ضيوف جاتسبى الذين تجمعوا حوله كنت أشعر ببعض الخجل لأنى تأخرت إلى هذا الحد فى أول مرة أحضر فيها ، وأردت أن أقول له إنى ظللت أبحث عنه منذ أول المساء ، وأن أعتذر له لأنى لم أعرفه فى الحديقة .

منعنى من ذلك بحرارة قائلاً : « لا تذكر ذلك ، ولا تفكر فيه لحظة واحدة أيها الصديق العجوز . . » ولم يكن التعبير المألوف يحمل شيئاً أكثر مما تحمل اليد التى أخذت تربت على كتفى مطمئنة : « ولا تنس أننا سنركب الطائرة المائية فى التاسعة من صباح الغد » .

وعندئذ وقف الخادم خلف كتفه .

ــ ڤيلاديلفيا على التليفون يا سيدى .

ــ حسناً . دقيقة واحدة . قل لهم إنى قادم فوراً . . . أسعدت مساء .

ــ أسعدت مساء .

ــ أسعدت مساء . وابتسم . وفجأة بدا لى أنه قد كان جميلاً أن أظل مع آخر من غادروا الحفل ، كأنه كان يريد ذلك طيلة الوقت ؛

ــ أسعدت مساء أيها الصديق العجوز . . أسعدت مساء . .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

وعندما هبطت الدرجات رأيت أن الحفل لم يكن قد انتهى تماماً ، فعلى بعد خمسين قدماً من الباب كانت عشرات المصابيح تنير مشهداً غريباً صاخباً ، فعند حفرة إلى جانب الطريق على اليمين استقرت عربة (كوبيه) — كانت قد غادرت ممر قصر جاتسبى منذ دقيقتين — وإحدى عجلاتها قد انتزعت بعنف ، وثمة نتوء بارز فى إحدى الجدران يوحى بأنه سبب انفصال العجلة ، التى أخذت الآن تحظى باهتمام بالغ من عديد من السائقين الفضوليين ، وإذ كان هؤلاء قد تركوا عرباتهم تزحم الطريق ، فقد ارتفع لبعض الوقت طنين متنافر من أولئك الذين فى المؤخرة ، زاد من اضطراب المشهد الصاخب .

وترجل من الحطام رجل يرتدى مريلة طويلة ، ووقف فى منتصف الطريق ينقل نظراته من العربة إلى العجلة ، ومن العجلة إلى المشاهدين ، بطريقة مرتبكة لطيفة .

صاح شارحاً : « انظروا ! لقد وقعت فى الحفرة » .

كانت هذه الحقيقة تثير فيه دهشة غير محدودة ، وقد تعرفت أولا على هذا الاستغراب غير العادى ثم على الرجل . . كان هو رجل مكتبة جاتسبى .

— كيف حدث ذلك ؟ .

فهز كتفيه .

قال بحسم : « لا أعرف شيئاً على الإطلاق عن الميكانيكا » .

— ولكن كيف حدث الأمر ؟ هل اصطدمت بالجدار ؟ .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

قال صاحب عينى البومة نافضاً يده من المسألة كلها : « لا تسألونى. فأنا لا أعرف إلا القليل عن قيادة السيارات ، لقد حدث الأمر وهذا كل ما أعرف » .

ــ حسناً إذا كنت سائقاً رديئاً فقد كان عليك ألا تحاول القيادة ليلا .

قال فى غضب : « لكننى لم أكن حتى أحاول ، لم أكن حتى أحاول » .

وخيم على الحضور صمت رهيب .

ــ « أتريد أن تنتحر؟»

ــ من حسن حظك أن الأمر لا يعدو عجلة ! سائق ردىء ولم يكن حتى يحاول !! .

فسر المذنب الأمر: « أنتم لا تفهمون ، لم أكن أقود السيارة ، إن هناك رجلا آخر فى العربة » .

ووجدت الصدمة التى تبعت هذا التصريح تعبيراً فى «آآآ» مكبوتة ، إذ فتح باب السيارة ببطء ، وتراجع الحشد ــ فقد أصبح الآن حشداً ــ إلى الخلف لا إراديًّا ، وحين فتح الباب حتى آخره كان ثمة سكون مخيف ، ثم ، وبالتدريج ، وجزءاً بعد جزء ، خطا خارج الحطام شخص شاحب متراخ ينبش الأرض فاحصاً إياها بحذاء رقص كبير متردد .

وأعشى بصره وميض المصابيح ، وأربكته زمجرة أبواق السيارات

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

التى لا تهدأ . ووقف الشبح لحظة يترنح قبل أن يرى الرجل الذى يرتدى المريلة .

سأله بهدوء : « ما الذى حدث ؟ هل نفد وقودنا ؟ . .

ــ انظر! .

وأشارت له عديد من الأصابع نحو العجلة المنفصلة . . . فحملق فيها لحظة ، ثم نظر إلى أعلى كأنه يشك فى أنها قد هبطت من السماء .

فشرح له بعض الواقفين : « لقد انفصلت» .

فأومأ برأسه .

ــ فى البداية لم ألاحظ أننا توقفنا . .

وسكت . ثم قال فى لهجة حاسمة بعد أن أخذ نفساً عميقاً ورفع كتفيه : « أيمكن لأحدكم أن يخبرنى أين محطة الوقود ؟» .

وشرح له عشرة رجال على الأقل ــ بعضهم لا يكاد يزيد عليه صحواً ــ أن العجلة والسيارة لم يعد يربط بينهما أى رباط مادى .

فاقترح بعد لحظة : « تنحوا جانباً ، ضعوها مقلوبة» .

ــ لكن العجلة منفصلة ! .

فتردد .

ثم قال : « لن نخسر شيئاً من المحاولة . . » .

كان ضجيج الأبواق قد وصل ذروته ، واستدرت مبتعداً خارجاً عبر المرج الأخضر نحو بيتى . وألقيت نظرة خلفى . كان قمر رقيق يشرق فوق منزل جاتسبى ، ويحيل الليل شيئاً جميلا كما كان من قبل ،

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

مبقياً الضحكات وأصوات حديقته التى مازالت تتوهج . وثمة فراغ مفاجئ يبدو الآن وكأنه يسيل من النوافذ والأبواب الكبيرة ، مضيفاً عزلة كاملة على شخص المضيف ، الذى كان يقف فوق السقيفة وقد رفع يده فى تحية وداع رسمية .

* * *

بعد أن قرأت ما كتبته حتى الآن ، وجدت أنى أترك لدى القارئ انطباعاً بأن أحداث الليالى الثلاث ، التى تفصل بينها أسابيع ، كانت هى كل ما يشغلنى . لكن الأمر على العكس ، فلم تكن سوى أحداث عارضة فى صيف مزدحم ، وحتى فترة طويلة تالية كانت تشغلنى أقل أقل كثيراً مما تشغلنى شئونى الخاصة .

كنت أعمل أغلب الوقت . ففى الصباح الباكر كانت الشمس تلقى ظلى نحو الغرب وأنا أسرع هابطاً خنادق جنوب نيويورك البيضاء ذاهباً إلى « بروبيتى ترست» . وأصبحت أعرف الكتبة الآخرين وصغار رجال الأوراق المالية بأسمائهم الأولى وأتناول معهم فى مطاعم مظلمة مزدحمة عشاء مكونا من سجق الخنزير والبطاطس المهروسة والقهوة . بل لقد كانت لى علاقة قصيرة بفتاة تسكن مدينة نيوجرسى وتعمل فى قسم الحسابات ، لكن أخاها بدأ يوجه لى نظرات خبيثة ، ولهذا فحين ذهبت فى إجازتها فى يوليو تركت الأمر ينتهى بهدوء عند هذا الحد .

وكنت أتناول الغداء فى نادى ييل — ولسبب ما كان هذا أشد أحداث يومى كآبة — وأصعد بعد الغداء إلى المكتبة حيث أدرس الاستثمارات والتأمينات

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

طيلة ساعة جادة . وكان هناك عادة بضعة مشاغبين حول المكان ، لكنهم لم يكونوا يدخلون المكتبة أبداً ، ولهذا كانت مكاناً صالحاً للعمل ، وبعد ذلك — وإذا كان المساء رطباً — كنت أتمشى فى شارع ماديسون ، لأمر على فندق تل مورای القديم ، ثم عبر شارع ٣٣ إلى محطة بنسيلفانيا .

وبدأت أحب نيويورك ، وهذا الإحساس الحاد المغامر الذى تتركه ليلاً ، وذلك الشعور بالرضا الذى يضفيه على العين القلقة هذا التيار الدائم من الرجال والنساء والسيارات . وأحببت السير فى الطريق الخامس حيث كنت أنتقى من بين الزحام نساء عاطفيات ، وأتخيل أننى فى بضع دقائق سأدخل حياتهن دون أن يعرف أحد أو يعارض . وفى بعض الأحيان كنت أتبعهن فى ذهنى إلى منازلهن فى زوايا شوارع خفية ، حيث كن يستدرن ويبتسمن لى قبل أن يختفين عبر الأبواب فى الظلمة الدافئة . وفى ضوء الغسق الفاتن كنت أشعر بالوحدة تنتابنى وأحس بها لدى الآخرين — لدى الكتبة الشبان البائسين الذين يتلكأون أمام النوافذ ، منتظرين أن يحين الوقت ليتناولوا عشاءهم وحيدين فى أحد المطاعم — كتبة شبان يسيرون فى العتمة ، ليبددوا أشد لحظات الليل والحياة ألماً .

ومرة أخرى فى الساعة الثامنة ، حين تزدحم حوارى حى الفيفتيز المظلمة بسيارات نابضة تتجه نحو المسارح أحسست بهبوط قلبى ، فثمة أشباح تنحنى متقاربة فى السيارات وهى تنتظر ، وأصوات تغرد ، وضحكات من نكات غير مسموعة ، وسجائر مشتعلة تضئ إيماءات غير واضحة ، وتمنيت لهم الخير متخيلا أنى أسرع بدورى نحو البهجة ،

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

ومقاسماً إياهم فرحتهم القلبية .

ولم أر چوردان بيكر بعض الوقت ، ثم وجدتها ثانية فى منتصف الصيف . وفى البداية كنت أشعر بالفخر حين أذهب معها إلى بعض الأماكن لأنها بطلة جولف يعرف كل إنسان اسمها . ثم أصبح شعورى شيئاً أكثر من هذا ، لم أكن واقعاً بالفعل فى حبها ، لكنى كنت أشعر نحوها بشئ من الفضول الرقيق ، لقد كان الوجه المترفع الملول الذى تنظر به إلى العالم يخفى تحته شيئاً — فمعظم مظاهر التكلف تنتهى بأن تخفى تحتها شيئاً ، حتى ولو لم تكن كذلك فى البداية — وذات يوم اكتشفت هذا الشئ . فحين كنا سوياً فى حفلة عائلية فى « وارويك» تركت سيارة اقترضتها تحت المطر وسقفها مفتوح ، ثم كذبت بشأنها — وفجأة تذكرت تلك القصة التى أفلتت منى فى ليلة منزل ديزى . ففى أولى مبارياتها الكبيرة فى الجولف ثارت ضجة كادت تصل إلى الصحف — اتهام بأنها حركت كرتها من مكان سيئ فى المباراة قبل النهائية — وكاد الأمر يصل إلى حد الفضيحة — ثم انتهى . فقد سحب صبى الجولف قوله ، واعترف الشاهد الوحيد الآخر بأنه ربما يكون قد أخطأ . وبقى ظل الحادث والاسم معاً فى ذهنى .

كانت چوردان بيكر تتجنب — غريزياً — الرجال الأذكياء المكرين ، وأعتقد اليوم أن هذا إنما يرجع إلى أنها كانت تحس بالأمان حيثما يتصورون أن أى خروج عن قواعد السلوك أمر مستحيل . كانت غير أمينة بصورة لا علاج لها ، فما كانت قادرة على أن تتحمل أى أذى ،

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

وأعتقد أنها ــ بحكم هذا النفور من الأذى ــ قد لجأت إلى الخداع وهى ما تزال صغيرة جداً ، لكى تبقى هذه الابتسامة الباردة الوقحة التى تواجه بها العالم ، وتشبع فى نفس الوقت متطلبات جسدها الصلب المرح .

ولم يكن الأمر يعنى شيئاً بالنسبة لى . فعدم الأمانة فى المرأة أمر لا يمكن أن تلومها عليه كثيراً ــ لقد أحسست بأسف عارض ثم نسيت . وفى نفس هذه الحفلة دارت بيننا مناقشة غريبة عن قيادة السيارات . وبدأت هذه المناقشة لأنها مرت بالعربة تكاد تلاصق بعض العمال ، حتى احتك حاجزها بأحد أزرار معطف واحد منهم .

قلت محتجاً : « أنت سائقة فظيعة ، فإما أن تكونى أكثر حرصاً أو لاتقودى سيارة على الإطلاق . . » .

ــ إنى حريصة .

ــ كلا لست كذلك .

قالت باستخفاف : « حسناً ، الآخرون حريصون . »

ــ وما علاقة هذا بالأمر؟ .

قالت فى إصرار : « إنهم سيبتعدون عن طريقى ، فأى حادث يتطلب طرفين . . » .

ــ افترضى أنك قابلت أحداً فى مثل إهمالك . . .

فأجابت : « آمل ألا يحدث ذلك ، فأنا أكره المهملين ، وهذا هو السبب فى أنى أميل إليك . . » .

كانت عيناها الرماديتان المجهدتان تحدقان تماماً أمامها ، لكنها كانت

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

قد ارتفعت بعلاقتنا عن قصد ، وظننت لحظة أنى أحبها . لكننى بطئ التفكير ، ممتلئ بالقواعد الداخلية التى تعمل كأنها الفرامل أمام رغباتى ، وكنت أعرف أن علىّ أولا أن أخلص بنفسى من هذه الورطة وأعود إلى المنزل . كنت أكتب خطاباً أسبوعيًّا أوقعه « المحب ، نك » . وكل ما كنت أستطيع التفكير فيه هو كيف يحدث حين تلعب فتاة معينة التنس ، أن يظهر فوق شفتها العليا شارب خفيف من العرق .

إن كل امرئ يرى فى نفسه واحدة على الأقل من الفضائل الأساسية ، وتلك هى فضيلتى ، إننى واحد من بضعة أفراد أمناء قابلتهم فى حياتى .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

الفصل الرابع

صباح الأحد ، وبينما أجراس الكنائس تدق فى القرى المجاورة للشاطئ ، عاد العالم وسيدته إلى منزل جاتسبى ، وتلألأت فى فرح فوق حديقته .

قالت السيدات الشابات وهن يتنقلن بين مشروباته وورود : « إنه مهرب خمور ، وذات مرة قتل رجلا اكتشف أنه ابن أخى القزم هندنبرج وابن عم الشيطان ، أعطنى وردة يا عزيزى ، وصب لى قطرة أخيرة فى إحدى هذه الكئوس البلورية هناك . . . » .

وذات مرة كتبت فى فراغات جدول مواعيدى أسماء أولئك الذين جاءوا إلى منزل جاتسبى فى ذلك الصيف ، لقد أصبح الجدول الآن قديماً ممزقاً عند طياته ، ويعلوه عنوان : « هذه الخطة تنفذ من ٥ يوليو ١٩٢٢» . لكننى لا أزال قادراً على قراءة الأسماء الرمادية . وستعطيك هذه الأسماء فكرة أفضل من أى أقوال عن أولئك الذين تقبلوا ضيافة جاتسبى مقابل إتاوة رقيقة هى أنهم لا يعرفون عنه شيئاً على الإطلاق .

وإذن فمن إيست إيج جاء آل شستر بيكرز وآل ليخ ورجل يدعى بانسن كنت أعرفه فى ييل ، والدكتور ويستر سيفيت الذى غرق فى مين فى الصيف الماضى ، وآل هورنبيمز وآل ويللى ڤولتير ، وعشيرة

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

بأسرها تسمى بلاكبك كانت تتجمع فى إحدى الزوايا ، وترتعش أنوفها كالماعز كلما اقترب منها أحد . وآل إسماى وآل كريستى (أو بالأحرى هوبرت أويرباخ وزوجة المستر كرسيتى) . وإدجار بيقر الذى يقولون إن شعره كله قد استحال إلى بياض القطن ذات مساء شتوى دون سبب على الإطلاق .

وجاء كلارنس آنديف على ما أذكر من إيست إيج ، ولم يأت سوى مرة واحدة ، مرتدياً سروالاً أبيض ، وتشاجر فى الحديقة مع نكرة يدعى إيتى . ومن أبعد من ذلك ، من الجزيرة ، جاء آل تشيدل ، وآل ا . ر.ب. شريدر ، وآل ستون ، وول چاكسون أبرام من چيورچيا ، وآل فيشجارد ، وريبلى سنيل . كان سنيل قد قضى هناك ثلاثة أيام قبل أن يذهب إلى الإصلاحية ، وكان يسير ثملاً فوق ممر السيارات المغطى بالحصى حتى أن سيارة مسز يوليس سويت مرت فوق يده اليمنى . وجاء كذلك آل دانس ، وس . ب . زايتبيت الذى كان قد تجاوز الستين ، وموريس ا . فلينك ، وآل همرهيد ، وبياوجا مستورد الطباق ، وبنات بيلوجا .

ومن ويست إيج جاء البولنديون ، وآل مالريدى ، وسيسل روباك وسيسل شون ، وجوليك عضو مجلس الشيوخ ، ونيوتن أوركيت أفضل منتجى الأفلام ، وأيكهاويست ، وكلايد كوهين ، ودون س . شوارتس (الابن) وآرثر مكارنى ، وكلهم يشتغلون بالسينما بشكل أو آخر ، وآل كاتليب ، وآل بيمبيرج ، وج . إيرل ملدون شقيق ذلك « الملدون » جاتسبى العظيم

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

الذى خنق زوجته فيما بعد . وجاء إلى هناك دافونتانو المنتج ، وإد ليجروس ، وجيمس ب . (البطن العفن) وفيريت ، وآل دى يونج ، وإرنست ليللى . . . جاءوا للمقامرة ، وحين كان فيريث يتجول فى الحديقة ، كان هذا يعنى أنه قد أفلس تماماً ، وكان على أسهم شركة الجرارات المتحدة أن تتذبذب مرتفعة فى اليوم التالى .

وكان رجل يسمى كليبسبرنجر يذهب إلى هناك كثيراً ، ويقضى فترات طويلة ، حتى أصبح يعرف باسم « الساكن» — وأشك فى أنه كان له منزل آخر . ومن رجال المسرح كان هنالك جس ويز ، وهوراس أودونافان ، وليسترميير ، وجورج داكويد ، وفرانسيس بال . وكذلك كان يأتى من نيويورك آل كروم وآل باكهيسون ، وآل دنيكر ، ورسل بيتى ، وآل كوريجان ، وآل كيليهر ، وآل ديور ، وآل سكالى ، وس . و . بيلتشر ، وآل سميرك وكوين الابن وزوجته وقد انفصلا الآن بالطلاق ، وهنرى ل . بالميتو الذى انتحر بالقفز أمام قطار الضواحى فى ميدان التايمز .

وكان بينى ماكلينهان يصل دائماً ومعه أربع فتيات . ولم تكن الفتيات أنفسهن أبداً ، لكنهن كن متطابقات فى شكلهن حتى كان يبدو حتما أنهن قد جئن من قبل . وقد نسيت أسماءهن — جاكلين ، على ما أظن ، أو كونسويلا أو جلوريا أو جودى أو جوان . أما اسم العائلة فإما أنه كان اسما رتيباً من أسماء الزهور أو الشهور ، أو من الأسماء العابسة لكبار الرأسماليين الأمريكيين ، يعترفن — بعد إلحاح — أنهن بنات عمومتهم .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

وبالإضافة إلى هؤلاء جميعاً أستطيع أن أذكر أن فاوستينا أوبريان قد جاءت إلى هناك مرة على الأقل ، وكذلك فتيات بيديكر وبريور الشاب الذى فقد أنفه فى الحرب ، ومستر آلبروكرسبارجر ومس هاج خطيبته ، وأرديتا فيتزبيترز ، ومستر ب . جيويت الذى كان ذات مرة رئيساً للرابطة الأمريكية ، ومس كلوديا هيب ، ومعها رجل قيل إنه سائقها ، وأمير مكان ما ، كنا نسميه الدوق ، وإذا كنت قد عرفت اسمه على الإطلاق فقد نسيته الآن .

كل هؤلاء الناس جاءوا إلى منزل جاتسبى فى الصيف .

فى الساعة التاسعة ، ذات صباح فى أواخر يوليو ، صعدت سيارة جاتسبى الفاخرة الممر الصخرى حتى وقفت أمام بابى ، وأطلقت لحناً من بوقها ذى النغمات الثلاث . كانت هذه أول مرة يزورنى فيها ، رغم أنى ذهبت إلى حفلين من حفلاته ، وركبت طائرته المائية ، واستخدمت شاطئه كثيراً بدعوة ملحة منه .

— صباح الخير أيها الصديق العجوز ، ستتناول غداءك معى اليوم ولذا فكرت أن نذهب معاً إلى المدينة .

كان يتأرجح فوق مقدمة السيارة بتلك الرشاقة الأمريكية الخالصة .... التى أعتقد أنها ترجع إلى أننا لا نمارس حمل الأثقال أو الجلسات المتيبسة فى شبابنا ، وأكثر من هذا إلى رشاقة ألعابنا غير المنتظمة العصبية المتباعدة ، إلا أن هذه الخاصية كان يفسدها سلوكه المتأنق القلق ، فلم يكن يقف ساكناً أبداً ، بل كانت هناك دائماً قدم تدق فى مكان ما ، أو يد تفتح وتغلق فى صبر نافد .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

ورآنى أنظر إلى سيارته بإعجاب .

فقفز من فوقها ليتيح لى رؤية أفضل لها : « إنها جميلة . أليس كذلك أيها الصديق العجوز . . ألم ترها أبداً من قبل ؟ » .

كنت قد رأيتها . وكان كل امرئ قد رآها . سيارة بلون الكريم تلتمع بالنيكل ، وينتفخ طولها الهائل هنا وهناك فى أماكن للقبعات أو للطعام أو للأدوات ، وأمامها تيه من مصدات الرياح تعكس مراياه عشرات من الشموس . وجلست خلف طبقات كثيرة من الزجاج فيما يشبه صوبة من الجلد الأخضر وبدأنا السير نحو المدينة .

وربما كنت قد تحدثت معه ما يقرب من ست مرات فى الشهر الماضى . ووجدت لحيبة أملى أنه ليس لديه كثير يقوله . ولهذا ذهل انطباعى الأول بأنه رجل ذو أهمية خاصة غير محدودة ، وأصبح مجرد مالك لقصر مجاور .

ثم جاءت هذه الرحلة الغريبة . وقبل أن نصل إلى قرية ويست إيج بدأ جاتسبى يتخلى عن عباراته الرشيقة غير المكتملة ، ويربت بتردد على ركبة حلته التى بلون الكراميل .

قال مندفعاً بصورة تدعو إلى الدهشة : « انظر أيها الصديق العجوز ما رأيك فىّ على أى الأحوال ؟ » .

وبشىء من الإحراج بدأت تلك الإجابات العامة المتهربة التى يثيرها هذا السؤال .

فقاطعنى : « حسناً ، سأقول لك شيئاً عن حياتى . فأنا لا أريد

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

أن تأخذ عنى فكرة خاطئة بسبب كل هذه القصص التى تسمعها .» .

وإذن فقد كان يعرف تلك الاتهامات الشاذة التى تتبدل المناقشات فى قاعات قصره .

ـ سأخبرك الصدق بحق الله . . . ، وارتفعت يده اليمنى فجأة آمرة الجزاء الإلهى بالتوقف « إنى ابن أناس أثرياء فى الغرب الأوسط ، وكلهم قد ماتوا الآن ، وقد نشأت فى أمريكا ، ولكنى تعلمت فى أكسفورد ، لأن كل أسلافى تعلموا هناك طيلة سنوات عديدة . هذا أحد تقاليد العائلة » .

وألقى على نظرة جانبية ـ وأدركت لماذا آمنت چوردان بيكر بأنه يكذب ، كان يقول عبارة : « تعلمت فى أكسفورد » على عجل ، أو كان يبتلعها ويغص بها كأنها ضايقته من قبل . ومع هذا الشك تمزق كل حديثه ، وأخذت أتساءل ما إذا كان ثمة شىء شرير يحيط به فعلا .

سألت بلا اهتمام : « أى أجزاء الغرب الأوسط؟ » .

ـ سان فرانسيسكو .

ـ حسناً .

ـ وتوفيت عائلتى كلها ، وورثت مبلغاً كبيراً من المال .

كان صوته رزيناً ، كأن ذكرى نهاية عشيرته فجأة ما زالت تجتاحه . وشككت لحظة فى أنه يجر رجلى ، لكن نظرة نحوه أقنعتنى بالعكس .

ـ وبعد ذلك عشت كأنى مهراجا شاب فى كل عواصم أوروبا ـ

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

باريس – والبندقية– وروما – أجمع الجواهر وخصوصاً الياقوت، وأصيد الوحوش ، وأرسم قليلاً لنفسى فحسب ، محاولا أن أنسى شيئاً حزيناً للغاية حدث لى منذ فترة طويلة .

ونجحت بعد جهد فى كبح ضحكة عدم تصديق . كانت عباراته ذاتها ممزقة بالية حتى لم تكن تثير فى مخيلتى أى صور ، سوى صورة «شخص» معمم ، تنضح كل مسامه بالغبار ، وهو يتابع نمراً فى غابة بولونيا . . !

– ثم جاءت الحرب أيها الصديق العجوز ، وأحسست لها براحة كبيرة ، وحاولت جاهداً أن أموت ، ولكن يبدو أنى أتمتع بحياة مسحورة . وقبلت وظيفة ملازم أول عندما بدأت الحرب . وفى غابة أرجون أخذت فصيلتى مدفعية وتقدمت بهما كثيراً إلى الأمام ، حتى أصبحت هناك ثغرة مقدارها نصف ميل من كلا الجانبين لا تستطيع المدفعية أن تتقدم إليها . وظللنا هناك يومين وليلتين ، مائة وثلاثون رجلا معهم ست عشرة بندقية « لويس» ، وحين جاءت المدفعية أخيراً وجدوا شارات ثلاث كتائب ألمانية بين أكوام الموتى . فرقيت إلى رتبة الرائد ، وأعطتنى كل حكومة من حكومات الحلفاء وساماً – حتى دولة الجبل الأسود ، دولة الجبل الأسود الصغيرة عند بحر الأدرياتيك .

دولة الجبل الأسود الصغيرة . . كان يرفع صوته بالكلمات ، ويومىء لها برأسه – بابتسامة . ابتسامة تتفهم تاريخ الجبل الأسود المضطرب ، وتتعاطف مع نضال شعبه الشجاع ، ابتسامة تدرك تماماً سلسلة الظروف القومية التى انتزعت ذلك التكريم من قلب الجبل الأسود الدافئ الصغير .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

كان تكذيبى يمتزج الآن بالذهول ، كأنما كنت أقلب على عجل صفحات عشرات المجلات .

وبحث فى جيوبه ، وسقطت فى كفى قطعة من المعدن معلقة بشريط .

ــ هذا هو وسام الجبل الأسود .

ولدهشتى كان لهذا الشىء مظهر الصدق والأصالة . والسطور الدائرية تقول « وسام البطولة . . الجبل الأسود . الملك نيقولاس» .

ــ اقلبها . . .

وقرأت : « إلى الرائد جاتسبى . . لأعمال البطولة غير العادية» .

ــ وهذا شىء آخر أحمله معى دائماً . من ذكريات أيام أكسفورد . التقطت فى ساحة ترينيتى . . والرجل الذى يقف على يسارى هو الآن إيرل دونكاستر .

كانت صورة تضم ستة من الفتيان يرتدون فانلات رياضية ويتسكعون تحت باكية يبدو منها عدد كبير من المسلات . وكان من بينهم جاتسبى ، يبدو أصغر قليلا ــ لا كثيراً ــ ويحمل فى يده عصا كريكيت .

إذن فالأمر كله صحيح . ورأيت جلود النمور تبرق فى قصره المطل على القناة الكبيرة ، ورأيته يفتح درجاً مليئاً بالياقوت ليبرد بأعماقه القرمزية آلام قلبه المحطم .

قال وهو يضع ذكرياته فى جيبه وقد امتلأ بالرضا : « سأطلب منك خدمة كبيرة اليوم ،، ولهذا ظننت أنه يجب أن تعرف شيئاً عنى . فأنا لا أريد أن تظننى مجرد لا أحد . فأنت ترى أنى عادة ما أجد نفسى

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

بين أغراب ، أتنقل هنا وهناك ، محاولاً أن أنسى ذلك الشئ المؤلم الذى حدث لى » ثم قال بعد تردد : « وستسمع عنه بعد الظهر » .

ـ عند الغداء ؟ ؟

ـ كلا . بعد الظهر ، فقد عرفت بالمصادفة أنك ستصحب مس بيكر لتتناولا الشاى . .

ـ أتعنى أنك تحب مس بيكر ؟ . .

ـ كلا أيها الصديق العجوز ، لم أقع فى حبها . لكن مس بيكر قد تكرمت فوافقت على أن تحدثك عن هذا الأمر . . .

ولم يكن لدى أدنى فكرة عما هو « هذا الأمر » ، لكنى كنت أشعر بالضيق أكثر من الاهتمام . فلم أدع مس چوردان لتناول الشاى لكى أناقش حياة جاى جاتسبى . وكنت واثقاً أن الخدمة ستكون شيئاً خياليًّا تماماً ، وشعرت لحظة بالأسف لأنى وضعت قدمى فى حديقته المزدحمة .

ورفض أن يزيد كلمة أخرى ، وارتدت إليه استقامة سلوكه ونحن نقترب من المدينة . ومررنا أمام ميناء روزفيلت حيث وقع بصرنا على عابرات محيط ذات أحزمة حمراء . وأسرعنا عبر حى حقير مرصوف تحف به بارات مظلمة غير مهجورة بهت لونها الذهبى الذى يعود لعام ألف وتسعمائة . ثم انبسط أمامنا وادى الرماد على كلا الجانبين . وإذ كنا نمر لمحت مسز وياسون تجهد فى تشغيل مضخة الجراج بحيوية لاهثة .

ونشرنا حواجز السيارة حولنا كأنها أجنحة ، ونحن نبعثر الضياء

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

حتى منتصف أستوريا . . . منتصفها فقط ، إذ عندما انحنينا بين أعمدة الطريق المرتفع سمعت صوت الدراجة البخارية المألوف : « جج — جج — سبات . . » ، وسار إلى جوارنا رجل شرطة منفعل .

صاح جاتسبى : « حسناً أيها الصديق العجوز » ، وأبطأ السيارة ، وأخرج من حافظته بطاقة بيضاء لوح بها أمام عينى الرجل .

فوافقه الشرطى رافعاً يده إلى طرف قبعته : « حسناً ، سأعرفك فى المرة القادمة يا مستر جاتسبى ، أرجو المعذرة . . » .

سألته : « ما هذا الذى لوحت به ؟ أهى صورة أكسفورد ؟» .

— لقد استطعت أن أؤدى خدمة للمأمور ، وهو يرسل لى بطاقة عيد ميلاد كل عام . . .

فوق الكوبرى الكبير ، وضوء الشمس يخترق الكمرات ، ويخفق فوق العربات المتحركة ، والمدينة تقف عبر النهر فى تلال بيضاء وكتل من السكر ، بنيت كلها فى نزوة ، بنقود لا رائحة لها . والمدينة التى تراها من (كوبرى) كوينسبورو هى دائماً مدينة تراها لأول مرة ، فى أول ما تعد به من أسرار العالم وجما له .

ومر علينا رجل ميت فى نعش كومت فوقه الأزهار ، وخلفه عربتان أسدلت ستائرهما ، ثم عربات أكثر بهجة يركبها الأصدقاء . ونظر الأصدقاء إلينا بتلك العيون الآسية والشفاه العليا القصيرة التى تميز أبناء جنوب شرقى أوربا ، وسرنى أن تشمل إجازتهم الوقورة منظر سيارة جاتسبى الفاخرة . وعندما عبرنا جزيرة بلاكوياك سبقتنا سيارة ليموزين

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

يقودها سائق أبيض ويجلس فيها ثلاثة زنوج يرتدون آخر طراز، شابان وفتاة ، وضحكت بصوت مرتفع إذ استدارت إلينا حدقات عيونهم فى عداء متكبر .

ودار بخلدى : « كل شىء يمكن أن يحدث الآن بعد أن عبرنا هذا (الكوبرى) ، كل شىء على الإطلاق . . . » .

حتى جاتسبى يمكن أن يحدث دون ما يدعو إلى الاستغراب .

ظهيرة صاخبة . وفى محل حسن التهوية بالشارع الثانى والأربعين قابلت جاتسبى لتناول الغداء . وبعد أن طرفت بعينى لأزيل عنهما لمعة الشارع فى الخارج ، التقطته عيناى بصعوبة فى الغرفة الداخلية يتحدث مع رجل آخر .

ــ يا مستر كاراواى ، هذا صديقى مستر ولفشايم . . .

فرفع يهودى ضئيل أفطس رأسه الكبير ، ونظر إلى بشعرتين ناميتين ناضرتين فى كل من منخريه . وبعد لحظة اكتشفت عينيه فى العتمة .

قال مستر ولفشايم وهو يصافحنى بحرارة : «. . . وهكذا ألقيت عليه نظرة واحدة ، وماذا تظننى فعلت ؟» .

أجبته بأدب : « ماذا ؟ ! »

لكن من الواضح أنه لم يكن يوجه حديثه إلى ، إذ ترك يدى وغطى جاتسبى بأنفه المعبر .

ــ أعطيت النقود لكاتسبو وقلت : « حسناً يا كاتسبو . لا تعطه

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

بنساً حتى يغلق فمه » . . فأغلقه فى التو واللحظة . .

وأخذ جاتسبى ذراع كل منا وخطا نحو المطعم ، وهناك ابتلع مستر ولفشايم جملة جديدة كان قد بدأها ، وغفا كأنه يسير وهو نائم .

سألنا رئيس الخدم : « ويسكى ؟ » .

قال مستر ولفشايم وهو ينظر إلى الحوريات المرسومة على السقف : « هذا مطعم جميل ، لكنى أفضل المطعم الذى فى الجانب الآخر من الشارع . . » .

فأجاب جاتسبى رئيس الخدم بالإيجاب : « نعم ، ويسكى» ثم قال لمستر ولفشايم : « إن ذلك المطعم حار» . . .

قال مستر ولفشايم : « حار وصغير . . . نعم ، لكنه ملىء بالذكريات » .

سألت : « أى مطعم هذا ؟ .

ــ المتروبول القديم .

قال مستر ولفشايم وقد غاب فى تأمل حزين : « المتروبول القديم ... ملىء بوجوه ماتت وذهبت ، ملىء بأصدقاء غابوا إلى الأبد . لن أستطيع أن أنسى طيلة حياتى كيف أطلقوا الرصاص على روزى روزنتال هناك . كنا ستة على المائدة ، وكان روزى قد أكل وشرب كثيراً ذلك المساء . وحين كاد الصباح يشرق جاءه الخادم وعلى وجهه نظرة غريبة وقال إن بعض الناس يريدون التحدث إليه فى الخارج . فقال روزى : « حسناً » وبدأ يقف ، وجذبته إلى مقعده ثانية . وقلت :

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

ـ فليحضر الأوغاد إلى هنا إذا كانوا يريدونك يا روزى ، ولكن لا تذهب أنت خارج هذه الغرفة . . . كانت الساعة الرابعة صباحاً عندئذ ، ولو أننا رفعنا الستائر لرأينا ضوء النهار . .

سألت فى براءة : « وهل ذهب ؟ .

فانطلقت أنف مستر ولفشايم نحوى فى غضب : « ذهب بالتأكيد ، واستدار عند الباب وقال : « لا تدعوا الخادم يأخذ قهوتى . » . ثم خرج إلى الممر ، وأطلقوا النار عليه ثلاث مرات فى بطنه تماماً ثم هربوا» .

قلت متذكراً الموضوع : « لقد أعدم أربعة منهم بالكرسى الكهربائى».

ـ خمسة إذا حسبنا بيكر . . . وتحول أنفه نحوى باهتمام « فهمت أنك تبحث عن علاكات عمل » .

كان تلازم هاتين العبارتين مذهلا . وأجاب جاتسبى عنى وهو يصيح :

ـ كلا ليس هذا هو الرجل .

ـ كلا ؟ . . وبدت على ولفشايم خيبة الأمل .

ـ هذا مجرد صديق . لقد قلت لك إننا سنتحدث عن هذا الموضوع فى وقت آخر .

قال مستر ولفشايم : « أرجو المعذرة . . لقد أخطأت الرجل » .

ووصلت أطباق اللحم المفروم الشهى . ونسى مستر ولفشايم جو المتروبول القديم الأكثر عاطفية ، وبدأ يأكل فى تلذذ شره . وفى نفس الوقت كانت عيناه تجوسان ببطء حول الغرفة . . وأكمل القوس

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

بأن استدار ليفحص الجالسين خلفنا مباشرة ، وأعتقد أنه لولا وجودى لألقى نظرة قصيرة تحت مائدتنا .

قال جاتسبى وهو ينحنى نحوى : « انظر أيها الصديق العجوز ، أخشى أننى قد أغضبتك قليلاً فى العربة هذا الصباح . . » .

وظهرت الابتسامة ثانية . . لكننى قاومتها هذه المرة .

أجبته : « أنا لا أحب الغموض ، ولا أفهم لماذا لا تأتينى بصراحة وتخبرنى بما تريد . لماذا يجب أن يأتى الموضوع كله عن طريق مس بيكر؟».

فأكد لى : « أوه ، إنه ليس احتيالا ، ، فمس بيكر — كما تعرف — رياضية عظيمة ولن تفعل شيئاً غير سليم . . » .

وفجأة نظر إلى ساعته ، وقفز وهرول خارجاً من الغرفة تاركاً إياى وحدى على المائدة مع مستر ولفشايم .

قال مستر ولفشايم وهو يتابعه ببصره : « عليه أن يتصل بالتليفون . إنه فتى رائع . أليس كذلك ؟ جميل الطلعة وسيد مهذب تماماً . . » .

— نعم

— إنه خريج أجسفورد . .

— أوه . .

— لقد ذهب إلى كلية أجسفورد فى إنجلترا . أتعرف كلية أجسفورد ؟

— سمعت عنها .

— إنها من أشهر الكليات فى العالم . . . .

سألته : « أتعرف جاتسبى منذ وقت طويل ؟ » .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

قال برضا : « منذ بضع سنوات . لقد حظيت بشرف معرفته بعد الحرب مباشرة . لكنى أدركت أنى قد التقيت برجل حسن المنبت بعد أن تحدثت معه ساعة . قلت لنفسى : « هذا هو نوع الرجال الذى تحب أن تأخذه إلى بيتك وتعرفه بأمك وبأختك» . . وتوقف عن الحديث : « أرى أنك تنظر إلى أزرار أساور قميصى . . . .» .

ولم أكن أنظر إليها ، ولكننى فعلت ذلك الآن . وكانت عبارة عن قطعتين من العاج مألوفتين لدرجة غريبة .

ــ أفضل أنواع الأسنان البشرية . . .

وفحصتها : « حسناً . هذه فكرة شيقة للغاية . . » .

ــ نعم . . ورفع أكمامه تحت المعطف : « نعم ، إن جاتسبى حريص جداً بالنسبة للنساء ، ولا يمكن أن يرفع عينه إلى زوجة صديق . . . » .

وحين عاد موضوع هذه الثقة الغريزية إلى المائدة وجلس احتسى مستر ولفشايم قهوته مرة واحدة وهب على قدميه .

قال : « لقد استمتعت بغدائى ، وسأغادركما الآن أيها الشابان قبل أن أستنفد ترحيبكما » .

قال جاتسبى دون حماس : « لا تتعجل يا ميير» . فرفع مستر ولفشايم يده كأنه يمنحنا البركة .

قال برزانة : « أنتما مؤدبان جداً ، لكننى أنتمى لجيل آخر . فاتجلسا هنا وتناقشا رياضاتكما وفتياتكما و . . .» ، وقال اسما خيالياً

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

آخر مصحوباً بهزة أخرى من يده . . « أما أنا فنى الخمسين من عمرى، ولن أفرض عليكما وجودى أكثر من هذا . . . » .

وإذ صافحنا واستدار كان أنفه التراجيدى يرتعش . وتساءلت ما إذا كنت قد قلت شيئاً أهانه . وفسر لى جاتسبى الأمر : « إنه يصبح عاطفيًّا جدًّا فى بعض الأحيان ، وهذا أحد أيامه العاطفية . إنه شخصية بارزة فى نيويورك — وأحد سكان برودواى » .

— من هو على أى حال ، ممثل ؟ . . .

— لا .

— طبيب أسنان ؟ .

— مبير ولفشايم ؟ كلا إنه مقامر . . . وتردد جاتسبى ثم أضاف ببرود « إنه الرجل الذى حدد مراهنات البيسبول منذ عام ١٩١٩ »

رددت وراءه « حدد مراهنات البيسبول ؟ » .

وأذهلتنى الفكرة ، وتذكرت بالطبع أن مراهنات البيسبول قد حددت عام ١٩١٩ ، لكنى إذا كنت قد فكرت فى ذلك فقد فكرت فيه كمجرد شىء حدث نتيجة لسلسلة حتمية ، ولم يخطر لى أبداً أن رجلا واحداً يمكنه أن يلعب بثقة خمسين مليوناً من الناس — ببرود لص يحطم خزانة .

وبعد دقيقة سألته : وكيف أمكنه أن يفعل ذلك ؟ .

— لقد لمح الفرصة . .

— ولماذا ليس هو فى السجن ؟ . .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

– لم يستطيعوا أن يثبتوا عليه شيئاً أيها الصديق العجوز . إنه رجل حاذق . . .

وصممت على أن أدفع الحساب . وإذ أحضر لى الخادم بقية الحساب لمحت توم بوكانان فى الطرف الآخر من الغرفة المزدحمة .

– تعال معى دقيقة ، فلا بد أن أحيى أحداً هنا . .

وحين رآنا توم قفز وسار بضع خطوات تجاهنا .

سألنى فى حماس : « أين كنت ؟ إن ديزى غاضبة لأنك لم تتصل بها . . .

– هذا هو مستر جاتسبى يا مستر بوكانان .

وتصافحا مصافحة قصيرة ، وعبرت وجه جاتسبى نظرة حرج مجهدة غير مألوفة .

سألنى توم : « وكيف حالك ؟ كيف جئت كل هذه المسافة لتأكل ؟ »

– كنت أتناول غدائى مع مستر جاتسبى . . .

واستدرت نحو جاتسبى ، لكنه لم يعد هناك .

أحد أيام أكتوبر فى عام ألف وتسعمائة وسبعة عشر . . .

« قالت چوردان بيكر بعد ظهر ذلك اليوم وهى تجلس مستقيمة جداً فوق مقعد مستقيم فى حديقة الشاى بفندق بلازا» .

– كنت أسير من مكان إلى آخر فيما بين الطوار والعشب . وكنت أكثر سعادة حين أسير فوق الأعشاب إذ كنت ألبس حذاء من إنجلترا

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

فى كعبه عقد من الكاوتشوك تغوص فى الأرض اللينة . وكنت أرتدى كذلك « جونلة» جديدة من الصوف تطير قليلا مع الهواء ، وكلما حدث هذا كانت الرايات الحمراء والبيضاء والزرقاء المعلقة أمام المنازل تنبسط أمامها ، ويصدر عنها صوت تت تت تت وكأنها لا توافق على الحركة .

كانت أكبر الرايات وأكبر الحدائق هى رايات وحديقة منزل ديزى فاى . كانت فى الثامنة عشرة من عمرها تماماً ، أى أكبر منى بعامين . وكانت حتى ذلك الحين أكثر فتيات لويزڤيل شعبية . كانت ترتدى اللون الأبيض ولديها عربة « رودستر » بيضاء ، وطيلة اليوم كان التليفون يدق فى بيتها ، ويطلب ضباط شبان منفعلون من معسكر تايلور ميزة احتكارها تلك الليلة « أو على أى الأحوال مدة ساعة » .

وحين وصلت إلى مواجهة بيتها ذلك الصباح كانت عربتها الرودستر البيضاء أمام المنحنى ، وهى تجلس داخلها مع ملازم لم أره من قبل . وكانا مستغرقين حتى إنها لم ترنى إلا عندما صرت على بعد خمس أقدام منهما .

نادتنى على غير انتظار : « هالو چوردان ، تعالى هنا أرجوك» .

وسرنى أنها تريد الحديث معى . فقد كنت معجبة بها أكثر من أى من الفتيات اللاتى يكبرننى . وسألتنى ما إذا كنت ذاهبة إلى الصليب الأحمر لأقوم بالتضميد . وكنت ذاهبة . حسناً ، أيمكن أن أخبرهم بأنها لن تحضر اليوم ؟ كان الضابط ينظر إلى ديزى وهى تتحدث نظرة تتمنى

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

كل فتاة لو وجهت إليها فى وقت ما ، ولأن الأمر بدا لى رومانسياً فقد ظللت أذكر الحادثة منذ ذلك الحين . كان اسم الضابط جاى جاتسبى . ولم تقع عيناى عليه طيلة أربع سنوات . . . وحتى بعد أن قابلته فى لونج أيلاند لم أدرك أنه نفس الرجل .

كان هذا عام ألف وتسعمائة وسبعة عشر . وفى العام التالى كان لى بدورى بعض العشاق ، وبدأت ألعب فى المباريات ، ولهذا لم أكن أرى ديزى كثيراً ، فقد كانت — إذا ما خرجت على الإطلاق — تسير مع مجموعة أكبر قليلا فى السن . وانطلقت حولها إشاعات صاخبة : كيف وجدتها أمها ذات مساء فى الشتاء ترتب حقيبتها كى تذهب إلى نيويورك لتودع جندياً مسافراً عبر البحار. ومُنعت من ذلك تماماً ، لكنها ظلت لا تكلم أسرتها عدة أسابيع . وبعد ذلك لم تعد تلهو إطلاقاً مع جنود ، بل مع شبان ذوى أقدام مفلطحة ونظر قصير ، ممن بقوا فى المدينة ولم يستطيعوا الالتحاق بالجيش .

وفى الخريف التالى عادت إلى مرحها كما كانت من قبل . فأصبح لها صديق بعد الهدنة ، وفى فبراير كان المعتقد أنها مخطوبة لرجل من نيوأورليانز ، وفى يونيو تزوجت توم بوكانان من شيكاغو ، وسط مظاهر أبهة وفخفخة لم تشهد لها لويزفيل مثيلا من قبل . فقد جاء مع مائة رجل فى عرباتهم الخاصة ، واستأجر طابقاً بأسره فى فندق « موهلباخ » ، وفى الليلة السابقة على العرس أعطاها عقداً من اللآلئ قدرت قيمته بثلاثمائة وخمسين ألف دولار .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

وكنت وصيفة العروس . . . وجئت إلى حجرتها قبل عشاء العرس بنصف ساعة ، ووجدتها راقدة على سريرها ، جميلة كأمسيات يونية فى ردائها المنقوش بالورود — وثملة كالقرد . . . وفى إحدى يديها زجاجة (ساوتيرن) ، وفى الأخرى رسالة .

تمتمت : « هنئينى . .لم أذق الشراب من قبل ولكن كم أستمتع به . . » .

— ماذا حدث يا ديزى ؟ .

وأستطيع أن أخبرك بأننى كنت فزعة ، فلم أر فتاة على مثل هذه الحال من قبل .

وأخذت تتحسس داخل صندوق للمهملات كان معها فوق السرير ، ثم أخرجت منه عقد اللآلئ وقالت : « يا أعزائى . خذوه إلى الطابق الأسفل ، وأعطوه لمالكه أيًّا كان . قولوا لهم جميعاً إن ديزى قد غيرت رأيها ، قولوا : « ديزى قد غيرت رأيها . . » .

وبدأت تبكى . . .بكت وبكت . واندفعتُ خارجة ووجدت وصيفة أمها ، فأغلقنا الباب ووضعناها فى حمام بارد . ولم تترك الرسالة من يدها . أخذتها معها إلى الحوض ، وضغطتها حتى أصبحت كرة مبتلة ، ولم تتركها فى (الصبانة) إلا بعد أن رأتها تتمزق كالثلج .

لكنها لم تقل كلمة أخرى . وجعلناها تستنشق روح النوشادر ، ووضعنا الثلج على جبهتها ، وشبكناها ثانية فى ردائها ، وبعد نصف ساعة ، حين سارت خارجة من الغرفة ، كانت اللآلئ حول رقبتها ،

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

وانتهى الحادث . وفى الساعة الخامسة من اليوم التالى تزوجت توم بوكانان دون أدنى رعشة ، وانطلقت فى رحلة إلى بحار الجنوب استغرقت ثلاثة شهور .

ورأيتهما فى سانتا باربارا حين عادا ، وتصورت أنى لم أر فتاة مفتونة بزوجها مثلها . فإذا غادر الغرفة دقيقة كانت تنظر حولها فى قلق وتقول : « أين ذهب توم ؟ » ، ويكتسى وجهها بتعبير شارد للغاية حتى تراه داخلا من الباب . كانت تجلس فوق الرمال ساعة ورأسه على حجرها تربت بأصابعها عينيه ، وتنظر إليه فى بهجة غامضة . كانت رؤيتهما معاً شيئاً مثيراً . . . شيئاً يجعلك تضحك ضحكة هادئة مسحورة . كان هذا فى أغسطس . وفى الأسبوع التالى ، فى سان باربارا اصطدم توم بسيارة على طريق ڤينتورا ذات مساء ، وانفصلت عجلة سيارته الأمامية ، ووصل خبر الفتاة التى كانت معه إلى الصحف أيضاً لأن ذراعها كسرت . . . كانت إحدى وصيفات فندق سانتا باربارا .

وفى أبريل التالى وضعت ديزى ابنتها . وسافرا إلى فرنسا حيث قضيا عاماً . ورأيتهما ذات ربيع فى كان ، ثم فى دوڤيل فيما بعد . ثم عادا إلى شيكاغو ليستقرا هناك ، وقد كانت ديزى معروفة هناك كما تعلم . وكانا يختلطان بمجموعة واسعة ، كلهم شباب وأغنياء وهمجيون ، ولكنها خرجت من ذلك كله بسمعة نظيفة تماماً . ربما لأنها لم تكن تشرب . فإنها لمزية كبيرة ألا تشرب بين أناس يثقلون فى الشراب ، فأنت تستطيع

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

أن تمسك لسانك ، وتستطيع أن تنظم أى خلل من جانبك حتى يصبح كل امرئ آخر أعمى لا يرى ولا يهتم . أو ربما لم تستسلم ديزى لحب على الإطلاق . . . بيد أن ثمة شيئاً فى صوتها . . .

حسناً ، منذ حوالى ستة أسابيع سمعت ديزى اسم جاتسبى لأول مرة منذ سنوات . . كان ذلك حين سألتك — أتذكر ؟ — عما إذا كنت تعرف جاتسبى فى الويست إيج . وبعد أن عدت إلى منزلك جاءت إلى حجرتى وأيقظتنى ؛ وقالت : « أى جاتسبى ؟ » فوصفته — وكنت نصف نائمة — فقالت فى أغرب صوت إنه لا بد أن يكون الرجل الذى كانت تعرفه . وعندئذ فقط ربطت هذا الجاتسبى بالضابط الذى كان فى سيارتها البيضاء .

حين أنهت چوردان بيكر حديثها كنا قد غادرنا البلازا منذ نصف ساعة ، وكنا نسير بعربتنا إلى ڤيكتوريا مخترقين سنترال بارك . والشمس قد غابت خلف مساكن نجوم السينما العالمية فى الويست فيفتيز ، وأصوات الفتيات الصغيرات تتجمع كأنها أصوات الجراد فوق العشب ، وترتفع فى ضياء الغسق الحار .

« أنا شيخ العرب

« وحبك لى

« وفى السماء حينما تنامين

« سأزحف داخل خيمتك . . .

قلت : « إنها لمصادفة غريبة »

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

ـ لكنها ليست مصادفة على الإطلاق . .

ـ كيف ؟ . .

ـ لقد اشترى جاتسبى هذا المنزل حتى تكون ديزى أمامه عبر الخليج .

إذن فلم تكن هى النجوم وحدها التى كان يتطلع إليها تلك الأمسية من يونية . وعادت صورته إلىّ حيّة يتمخض عنها رحم بهرجته الباطلة .

وواصلت چوردان حديثها « ـ وهو يريد أن يعرف ما إذا كان من الممكن أن تدعو ديزى إلى منزلك فى إحدى الأمسيات ثم تدعوه للحضور . . . »

وهزنى تواضع الطلب . لقد انتظر خمس سنوات ، واشترى قصراً أخذ يبدد فيه ضوء النجوم على فراشات ضالة . . . حتى « أتركه يحضر » ذات مساء إلى حديقة غريب .

ـ أكان يجب أن أعرف هذا كله قبل أن يسألنى هذا الطلب البسيط ؟

ـ إنه خائف . لقد انتظر طويلا . وقد تصور أنك قد ترى فى هذا إهانة ، فهو كما ترى شخص صعب المراس خلف هذه الواجهة كلها . . .

لكن شيئاً ما كان يقلقنى .

ـ لماذا لم يسألك أن تدبرى هذا اللقاء ؟ . . .

قالت : « إنه يريدها أن ترى منزله . ومنزلك مجاور له تماماً .

ـ أوه . .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

وواصلت چوردان حديثها : « أعتقد أنه توقع بصورة ما أن تحضر إحدى حفلاته ذات مساء . لكنها لم تفعل . وعندئذ أخذ يسأل الناس عرضاً ما إذا كانوا يعرفونها ، وكنت أول من وجدها . كان ذلك فى تلك الأمسية التى أرسل إلى فيها ونحن فى حفلة الرقص . وكان يجب أن تسمع الطريقة المعقدة التى وصل بها إلى الموضوع . وبالطبع اقترحت غداء فى نيويورك — وظننت أنه قد أصيب بجنون : ظل يردد . . . « لا أريد شيئاً بعيداً عن هذا المكان . أريد أن أراها فى المنزل المجاور» . . وحين قلت إنك أحد أصدقاء توم بدأ يتخلى عن الفكرة بأسرها . فهو لا يعرف الكثير عن توم ، رغم أنه يقول إنه ظل يقرأ إحدى صحف شيكاغو سنوات طويلة عسى أن يقع بالمصادفة على اسم ديزى» .

كانت الدنيا قد أظلمت الآن ، وإذ سرنا تحت (كوبرى) صغير وضعت ذراعى حول كتف چوردان الذهبى ، وضممتها إلىّ ، وسألتها أن تتناول الغداء معى . وفجأة لم أعد أفكر فى ديزى وجاتسبى ، بل فى ذلك الشخص النظيف الصلب المحدود ، الذى يتعامل فى ارتياب شامل ، والذى ينحنى فى مرح داخل إطار ذراعى . وبدأت عبارة تدق فى أذنى بنوع من الإثارة الجامحة : « ليس هناك سوى الطريد والمطارد ، سوى المشغول والمنهك . . » .

تمتمت چوردان لى : « ويجب أن يكون لديزى شىء فى حياتها» .

— أهى تريد أن تقابل جاتسبى .

— يجب ألا تعرف . إن جاتسبى يريدها ألا تعرف . المفروض

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

فحسب أن تدعوها لتناول الشاى .

وعبرنا حاجزاً من الأشجار المعتمة ثم واجهة الشارع الثانى والخمسين ، وكتلة من الضياء الشاحبة الرقيقة تشرق على الحديقة . وعلى عكس جاتسبى وتوم بوكانان لم يكن لدى فتاة يطفو وجهها غير المتجسد على طول الطرقات واللافتات المضيئة ، ولذا جذبت الفتاة الجالسة إلى جوارى ضاغطاً ذراعىّ حولها . وابتسم فمها الشاحب المستخف فجذبتها ثانية أكثر ، هذه المرة إلى وجهى . .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

الفصل الخامس

حين عدت إلى ويست إيج تلك الليلة خشيت لحظة أن تكون النار قد شبت فى منزلى . كانت الساعة الثانية وزاوية الخليج بأسرها تتوهج بالضياء ، والأنوار تتساقط كأنها صورة غير حقيقية فوق الشجيرات الكثيفة ، وتلقى وميضاً مستطيلا على أعمدة التليفونات فى الطريق . وعندما استدرت عند الزاوية رأيت منزل جاتسبى مضاء من برجه حتى أسفله .

وظننت فى البداية أنها إحدى حفلاته ، جمهرة نزقة تحولت إلى لعبة « الاستغماية» أو « السردين فى العلب» والمنزل كله مفتوح للعبة . بيد أنه لم يكن هناك صوت ، لم يكن هناك سوى الرياح تصفر فى الأشجار ، وتهز الأسلاك ، وتجعل الأنوار تومض وتخبو وكأن المنزل يغمز بعيونه للظلام . وإذ زمجر التاكسى مبتعداً رأيت جاتسبى متجهاً نحوى عبر الحديقة .

قلت : « إن قصرك يبدو كأنه المعرض العالمى» .

فأدار عينيه نحو المنزل كأنه لا يراه وقال : « حقًّا ؟ لقد كنت أبحث فى بعض الحجرات . فلنذهب إلى جزيرة كونى أيها الصديق العجوز . فى سيارتى» .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

– الوقت متأخر جداً . .

– حسناً فلنأخذ حماماً فى حوض السباحة ؟ إننى لم أستخدمه طيلة الصيف .

– لا بد أن آوى إلى فراشى .

– حسناً .

وانتظر وهو ينظر لى فى شغف مكبوت .

قلت بعد لحظة : « تحدثت مع مس بيكر . وسأطلب ديزى غداً وأدعوها لتناول الشاى هنا» .

قال بلا اكتراث : « أوه ، حسناً . لا أريد أن أسبب لك أية مضايقات » .

– أى يوم يناسبك ؟ .

فصحح لى قولى بسرعة : « أى يوم يناسبك أنت؟ فأنا لا أريد أن أسبب لك أية مضايقات » .

– أيناسبك بعد غد ؟ .

وفكر لحظة ثم قال بغير حفاوة :

– أريد أن أهذب الحشائش . .

ونظرنا معاً إلى الحشائش . . كان ثمة فارق حاد حيث تنتهى حديقتى المهملة ويبدأ امتداد حديقته القائمة المعتنى بها . وارتبت فى أنه يعنى حشائشى .

قال فى تردد وحيرة : « هناك أمر صغير آخر» .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

سألته : « أتفضل أن تؤجل الموضوع بضعة أيام ؟ » .

ــ كلا ، ليس الأمر كذلك ، إنما على الأقل . . وبدأ يتعثر فى بدايات جمل لا ينهيها : « حسناً ، ظننت . . حسناً ، انظر أيها الصديق العجوز ، أنت لا تكسب كثيراً . أليس كذلك ؟» .

ــ ليس كثيراً جداً .

وكأنما طمأنه ذلك فواصل حديثه بثقة .

ــ ظننت هذا ، وإذا سمحت لى . . . فإنى أقوم بعمل صغير على الهامش ؛ نوع من العمل الجانبى . وظننت أنك إذا لم تكن تكسب كثيراً . . . إنك تبيع الأوراق المالية . أليس كذلك أيها الصديق العجوز .

ــ أحاول . . . .

ــ حسناً . سيشوقك هذا الأمر . ولن يأخذ كثيراً من وقتك وتستطيع عن طريقه أن تحصل على مبلغ طيب من النقود . والواقع أنه شىء خصوصى .

وأستطيع أن أرى الآن أن هذه المحادثة لو جرت فى ظروف أخرى لكانت واحدة من أزمات حياتى . لكن العرض كان يقدم بصراحة ودون لباقة كخدمة تؤدى لى ، فلم يكن أمامى من خيار إلا أن أقطع عليه حديثه .

قلت : « إننى مشغول تماماً . . . أشكرك كثيراً لكننى لا أستطيع أن أقوم بمزيد من العمل » .

لن تعمل مع ولفشايم . . واضح أنه ظن أنى أتجنب « العلاكات »

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

التى ذكرت على مائدة الغداء . وأكدت له خطأ عنه . فانتظر لحظة أخرى ، آملا أن أبدأ معه الحديث ، لكنى كنت مستغرقاً تماما بحيث لا أستطيع أن أستجيب له ، فسار إلى منزله على مضض .

كانت الأمسية قد أدارت رأسى وأسعدتنى . وأعتقد أننى خطوت فى نوم عميق وأنا أدخل من الباب ، ولهذا لا أعرف ما إذا كان جاتسبى قد ذهب إلى جزيرة كونى أو كم ساعة ظل « يبحث فى الحجرات » وبيته يتوهج زاهياً .

وطلبت ديزى من مكتبى صباح اليوم التالى ، ودعوتها لتناول الشاى عندى .

حذرتها : « لا تحضرى توم معك » .

ـ ماذا ؟

ـ لا تحضرى توم . . .

فسألتنى فى براءة : « ومن هو توم » .

وفى اليوم الذى اتفقنا عليه كان المطر ينهمر . وفى الساعة الحادية عشرة جاء رجل يرتدى معطف مطر ويجر آلة تشذيب الحشائش ودق بابى الأمامى ، وقال إن مستر جاتسبى قد أرسله ليشذب حشائش حديقتى . وذكرنى هذا بأنى نسيت أن أخبر المرأة الفلندية بأن تعود ثانية ، فذهبت إلى قرية ويست إيج لأبحث عنها بين ممرات ملتوية مطلية بالجير ، ولأشترى بعض الأقداح والليمون والزهور .

ولم تكن الزهور ضرورية ، ففى الساعة الثانية وصلتنى حديقة

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

بأكملها من عند جاتسبي ، وعدد لا يحصى من الزهريات لتوضع فيها ، وبعد ذلك بساعة فتح الباب الأمامى فى عصبية ، وهرول منه جاتسبي يرتدى حلة بيضاء من الفانلة وقميصاً فضيًّا وربطة عنق ذهبية . كان شاحباً تظهر تحت عينيه دوائر سوداء من عدم النوم .

سأل فوراً : « أكل شيء على ما يرام ؟» . .

« الحشائش تبدو رائعة إذا كان هذا ما تعنيه » .

سألنى فى حيرة : « أى حشائش . ؟ أوه ، حشائش الفناء» . وتطلع إليها من النافذة ولكن تعبير وجهه جعلنى لا أصدق أنه رأى شيئاً .

قال فى غير وضوح : « إنها تبدو حسنة . قالت إحدى الصحف إنهم يظنون أن المطر سيتوقف حوالى الرابعة . أعتقد أنها صحيفة « الجورنال » . ألديك كل ما تحتاجه لل. . . للشاى ؟ » .

فأخذته إلى حجرة (الكرار) حيث نظر بشيء من اللوم إلى المرأة الفنلندية ، وفحصنا سويًّا الاثنتى عشرة كعكة ليمون التى اشتريتها من محل الحلويات .

سألته : « أتكفى » .

— طبعاً ، طبعاً ! إنها جميلة ! . . . ثم أضاف فى صوت أجوف : « أيها الصديق العجوز» .

وفى الثالثة والنصف هدأت الأمطار واستحالت ضباباً مبتلا تسبح فيه هنا وهناك قطرات دقيقة من الندى ، وأخذ جاتسبي يقلب عينين

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

فارغتين فى نسخة من كتاب كلاى « الاقتصاديات» ، ويفزع لصوت أقدام المرأة الفنلندية التى تهز أرض المطبخ ، ويتطلع من وقت لآخر نحو النوافذ الموحشة كأنما سلسلة من الأحداث المفزعة غير المرئية تدور فى الخارج . وأخيراً وقف وأخبرنى صوت متردد أنه سيذهب إلى منزله .

— ولماذا ؟ .

— لن يحضر أحد لتناول الشاى . لقد تأخر الوقت كثيراً ! . . . ونظر إلى ساعته ، وكأن هناك شيئاً يتعجله فى مكان آخر : « لا أستطيع أن أنتظر طيلة اليوم» .

— لا تكن أحمق . فالساعة لا تزال الرابعة إلا دقيقتين .

فجلس فى بؤس كأننى دفعته ، وفى نفس الوقت دوى صوت محرك يدخل ممر بيتى . فقفزنا معاً . وخرجت إلى الفناء وأنا نفسى أشعر بتقليل من الإرهاق .

كانت سيارة صغيرة تصعد الممر تحت أشجار البنفسج العارية المبتلة . وتوقفت السيارة . وظهر وجه ديزى من أحد جوانبها تحت قبعة ثلاثية بلون اللاڤندر ، وأطلت على بابتسامة مشرقة نشوانة .

— أهذا هو البيت الذى تقطنه يا أعز إنسان لدى ؟ .

كانت تموجات صوتها البهيجة نغمة وحشية تحت الأمطار . وكان على أن أتبع رنته لحظة ، وهو يصعد ويهبط ، بأذنى وحدها ، قبل أن تتشكل الكلمات ، وخصلة مبتلة من الشعر ترقد كأنها بقعة طلاء أزرق فوق خدها ، وكانت اليد التى أخذتها لأساعدها على النزول مبتلة بقطرات لامعة .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

قالت بصوت خفيض فى أذنى : « هل وقعت فى حبى ، وإلا فلماذا يجب أن أحضر وحدى ؟ » .

ـ هذا هو سر قلعة راكرينت اخبرى سائقك أن يذهب بعيداً ويقضى ساعة . . .

ـ عد بعد ساعة يا فريدى . . . ثم تمتمت فى جدية : « إن اسمه فريدى » .

ـ هل أثر الجازولين على أنفه ؟

أجابت فى براءة : « لا أظن . لماذا ؟» .

ودخلنا . ولدهشتى البالغة كانت حجرة الجلوس فارغة .

صحت : « حسناً ، هذا أمر غريب» .

ـ ما هو الأمر الغريب ؟

وأدارت رأسها عندما سمعنا دقة خفيفة وقورة على الباب الأمامى ، فخرجت وفتحت الباب ، كان جاتسبى ـ شاحباً كالميت ويداه غائصتان كأنهما أثقال فى جيوب معطفه ـ يقف فى بركة من المياه يحدق بأسى فى عينى .

وسار بجانبى إلى البهو وما زالت يداه فى جيوب معطفه ، ثم استدار بحدة كأنما مسته كهرباء ، واختفى فى حجرة الجلوس . . . لم يكن الأمر طريفاً على الإطلاق . ، وسمعت دقات قلبى عالية ، فأغلقت الباب فى وجه المطر المتزايد .

ولم يصدر صوت مدة نصف دقيقة . ثم سمعت تمتمة مخنوقة

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

مكتومة من داخل حجرة الجلوس ، وجزءاً من ضحكة ، تبعها صوت ديزى فى نغمة صافية متكلفة : « إنى بالتأكيد مسرورة للغاية لرؤيتك ثانية » .

ثم صمت ، استمر فترة رهيبة . ولم يكن لدى ما أفعله فى البهو فدخلت الغرفة .

كان جاتسبى — ويداه ما زالتا فى جيوبه — يستند إلى رف المدفأة فى محاولة مجهدة لأن يبدو على راحته ، بل ولأن يبدو ضجراً . ومالت رأسه إلى الخلف حتى استقرت على وجه ساعة تالفة فوق رف المدفأة ، ومن هذا الوضع أخذت عيناه الذاهلتان تحملقان فى ديزى ، التى كانت تجلس — فزعة ولكن رشيقة — على حرف مقعد جاف .

تمتم جاتسبى : « لقد التقينا من قبل » ، وحدقت عيناه فىّ برهة ، وانفرجت شفتاه عن محاولة ضحك مجهضة . ومن حسن الحظ أن الساعة انتهزت هذه اللحظة لتميل فى خطورة تحت ضغط رأسه ، وعندئذ استدار وأمسكها بأصابع مرتجفة وأعادها إلى مكانها . ثم جلس متصلباً وكوعه فى ذراع الأريكة وذقنه فوق يده .

وقال : « آسف لما حدث للساعة » .

كان وجهى قد اكتسى حمرة قانية . ولم أستطع أن أستجمع واحدة من آلاف العبارات الشائعة التى كانت تزحم رأسى .

قلت فى عبارات جارية : « إنها ساعة قديمة » .

وأعتقد أننا تصورنا لحظتها أنها قد تناثرت قطعاً صغيرة على الأرض .

قالت ديزى فى صوت خال تماماً من التعبير : « إننا لم نلتق منذ سنوات طويلة » .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

ـ خمس سنوات فى نوفمبر القادم . . .

وأذهلتنا تلقائية واندفاع إجابة جاتسبى دقيقة أخرى على الأقل . وأخيراً نجحت فى أن أوقفهما على قدميهما ،مقترحاً أن يساعدانى فى إعداد الشاى بالمطبخ ، حين أحضرته الفنلندية الرهيبة على صينية .

ووسط ربكة الأقداح والكعك التى رحبنا بها ساد الجو نوع من الارتياح المادى . وانكمش جاتسبى إلى الظلال ، بينما أخذت أتبادل الحديث مع ديزى ، وهو يقلب نظره بيننا بدأب بعينين مجهدتين بائستين . ولما لم يكن الهدوء هدفاً فى ذاته فقد استأذنت فى أول لحظة مواتية ووقفت على قدمى .

صاح بى جاتسبى فى فزع : « إلى أين أنت ذاهب؟ » .

ـ سأعود ثانية . . .

ـ لا بد أن أقول لك شيئاً قبل أن تذهب .

وتبعنى بعنف إلى المطبخ ، وأغلق الباب ، وهمس بطريقة بائسة : « أوه ، يالله ! »

ـ ما الأمر؟ . . .

قال وهو يهز رأسه من ناحية إلى أخرى : « إنها غلطة رهيبة ، غلطة رهيبة رهيبة ! » .

ـ المسألة كلها أنك مرتبك . . . ومن حسن الحظ أنى أضفت : « وديزى مرتبكة أيضاً» . ردد ورائى غير مصدق : « أهى مرتبكة ؟ »

ـ بنفس درجة ارتباكك . . .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

– لا تتحدث بصوت مرتفع . . .

فانفجرت بصبر نافد : « أنت تتصرف كطفل صغير ، بل وبعدم لياقة ، فديزى تجلس هناك وحدها» . . .

فرفع يده ليوقف كلماتى ، ونظر إلىّ فى عتاب لا ينسى ، وفتح الباب بحذر ، ودلفنا إلى الغرفة الأخرى .

وخرجت من الباب الخلفى – تماماً كما فعل جاتسبى حين دار بعصبية حول المنزل منذ نصف ساعة – وجريت نحو شجرة ضخمة سوداء مليئة بالعقد ، كانت أوراقها الكثيفة تشكل نسيجاً يمنع الأمطار . ومن جديد أخذت الأمطار تنهمر ، وامتلأت حديقتى غير المنتظمة ، التى هذب حشائشها جيداً بستانى جاتسبى ببرك ومستنقعات كمستنقعات ما قبل التاريخ . لم يكن هناك ما أتطلع إليه من مكانى تحت الشجرة سوى منزل جاتسبى الهائل ، فحملقت فيه نصف ساعة كما كان (كانت) يحملق فى برج كنيسته . لقد بناه أحد صانعى الخمة فى بداية جنون « العصر» منذ عقد مضى ، وثمة قصة تقول إنه وافق على أن يدفع لأصحاب الأكواخ المجاورة ضرائبهم طيلة خمس سنوات لو ارتضوا أن يسقفوا منازلهم بالقش . وربما ثبط رفضهم رجاءه فى مشروعه لتأسيس أسرة ، فسرعان ما قضى نحبه . وباع أبناؤه المنزل وما زالت شارات الحداد على بابه . فإذا كان الأمريكيون يوافقون فى بعض الأحيان على أن يصبحوا أقناناً فإنهم يرفضون بعناد أن يكونوا فلاحين .

وبعد نصف ساعة أشرقت الشمس ثانية ، ودارت عربة بائع

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

الخضر حول ممر جاتسبي تحمل ما يلزم لطعام خدمه . . . فقد أحسست أنه لن يتناول ملء ملعقة واحدة . وبدأت إحدى الوصيفات تفتح نوافذ منزله العلوية ، وتظهر لحظة عند كل نافذة ، وانحنت من فتحة رئيسية كبيرة بين الأعمدة وبصقت على الحديقة وهي مستغرقة في تفكير عميق . كان الوقت قد حان لعودتي . فعندما كانت الأمطار تنهمر كانت تبدو وكأنها تمتمة أصواتهما ، ترتفع وتتضخم من وقت لآخر مع انفجار عواطفهما . ولكن مع السكون الجديد شعرت أن السكون قد هبط كذلك داخل المنزل .

ودخلت — بعد أن صنعت كل ضجة ممكنة في المطبخ حتى كدت أقلب الموقد . . . لكني لا أعتقد أنهما سمعا صوتاً . كانا يجلسان على طرفي الأريكة ، ينظران إلى بعضهما وكأن سؤالا قد سئل أو يطير في الجو ، وقد اختفى كل أثر للارتباك . كان وجه ديزي ملطخاً بالدموع ، وحين دخلت الغرفة قفزت واقفة وبدأت تمسح وجهها بالمنديل أمام إحدى المرايا ، لكن ثمة تغير مذهل حدث لجاتسبي . كان يتوهج تماماً ، ودون كلمة أو إيماءة سرور كانت الفرحة تشع منه وتملأ الغرفة الصغيرة .

— أوه ، هالو أيها الصديق العجوز . .

قالها وكأنه لم يرني منذ سنوات ، وخيل إلي لحظة أنه سيصافحني ثانية .

— لقد توقف المطر .

— هل توقف ؟ . وحين أدرك ما أتحدث عنه ، ورأى رنات إشراقة

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

الشمس المتلألة فى الغرفة ، ابتسم كأنه أحد رجال الأرصاد الجوية ، أو كأنه مالك هذا الضياء ينتشى لعودته، وردد النبأ لديزى : « ما رأيك ؟ لقد توقف المطر» .

– إنى مسرورة يا جاى . . ولم يكن حلقها الملىء بالجمال الأليم الباكى ينبئ عن شىء سوى فرحتها غير المتوقعة .

قال : « أريدك أن تحضر إلى منزلى أنت وديزى ، فكم أحب أن تشاهده » .

– أواثق أنت أنك تريدنى أن أحضر ؟

– كل الثقة أيها الصديق العجوز .

وصعدت ديزى إلى أعلى لتغسل وجهها . . . وفكرت محرجاً ولكن بعد فوات الأوان فى مناشفى وأنا أنتظر مع جاتسبى فى الحديقة .

سألنى : « إن منزلى يبدو رائعاً . أليس كذلك ؟ انظر كيف تتلقف واجهته الضياء » .

ووافقت على أن المنزل رائع .

– نعم . ومرت عيناه فوق المنزل ، فوق كل باب مقوس أو برج مربع: « لقد عملت طيلة أعوام ثلاثة كى أكسب المال الذى اشتريته به » .

– ظننت أنك ورثت المال .

فأجاب أوتوماتيكيًّا : « لقد ورثت أيها الصديق العجوز ، لكنى فقدت أغلب ما ورثته فى الفزع الكبير . . . فزع الحرب » .

وأعتقد أنه ما كان يدرك ما يقوله، إذ عندما سألته فيم يعمل أجابنى :

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

« هذا شأنى » قبل أن يدرك أنها ليست إجابة لائقة .

فعاد يصحح قوله : « أوه ، لقد عملت فى أشياء عديدة ، كنت فى صناعة الدواء ثم فى صناعة البترول ، لكننى لست فى أيهما الآن » . ونظر إلى باهتمام أكبر : « أيعنى هذا أنك كنت تفكر فيما اقترحته عليك تلك الليلة ؟ » .

وقبل أن أستطيع الإجابة خرجت ديزى من المنزل ، وصفين من الأزرار النحاسية يلتمعان على ردائها فى ضوء الشمس .

صاحت مشيرة إلى المنزل : « أهو هذا المكان الضخم هناك ؟ » .

— أتميلين إليه ؟ .

— أحبه . لكنى لا أفهم كيف تعيش فيه بمفردك . . .

— إنى أملأه دائماً بأناس ذوى شأن ليلا ونهاراً ، أناس يفعلون أشياء شيقة . أناس مشهورين . .

وبدلا من أن نأخذ الطريق القصير على طول الخليج سرنا إلى الشارع ، ودخلنا من الباب الخاص الكبير . وأخذت ديزى تبدى إعجابها فى تمتمة ساحرة بهذا الجانب أو ذاك من جوانب القصر الإقطاعى الذى يقف فى مواجهة السماء ، وتبدى إعجابها بالحدائق ، وبعبير النرجس المتلألى ، وعبير أزهار الخوخ الخافت ، والعبير الذهبى الشاحب لزهرة : « قبلنى عند المدخل » . وكان من الغريب أن نصل إلى الدرجات الرخامية دون أن نجد حركة الأردية اللامعة وهى تدخل وتخرج من الباب ، ودون أن نسمع صوتاً سوى صوت الطيور فوق الأشجار .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

وفى الداخل ، ونحن نتجول فى قاعات موسيقى من طراز مارى أنطوانيت ، وقاعات جلوس من طراز عصر النهضة ، كنت أشعر وكأن هناك ضيوفاً مختبئين خلف كل أريكة وسائدة ، وقد صدرت إليهم الأوامر بألا يتنفسوا حتى نخرج . وإذ أغلق جاتسبى باب « مكتبة كلية ميرتون » كدت أقسم أنى سمعت الرجل ذا عينى البومة ينفجر فى ضحكة مخيفة .

وصعدنا إلى أعلى ، واخترقنا حجرات نوم عصرية ملفوفة بحرير وردى وفى لون اللافندر ، وتزهو بالأزهار الجديدة . وعبر حجرات الزينة ، وأحواض السباحة ، وحجرات حمام ذات مغاسل غائرة ، دلفنا إلى حجرة فيها رجل أشعث فى منامته يؤدى تمارين رياضية على الأرض . كان المستر كليبسبرينجر ، « الساكن» . وكنت قد رأيته هذا الصباح يتجول فوق الشاطئ كالجائع . وأخيراً وصلنا إلى جناح جاتسبى ، حجرة نوم بحمام ، ومكتب على طراز آدم ، جلسنا فيه لنشرب كأساً من الشرتريز من زجاجة أخرجها من دولاب فى الحائط .

لم يكف لحظة عن النظر إلى ديزى ، وأعتقد أنه كان يعيد تقييم كل شىء فى منزله وفقاً لدرجة الاستجابة التى ينتزعها من عينيها الحبيبتين . كما كان فى بعض الأحيان يحدق حوله فيما يمتلكه بانبهار ، كأنما لم يعد شيئاً منه حقيقياً فى حضرتها الواقعية المذهلة . وكاد يتعثر فى الدرجات ذات مرة .

كانت حجرة نومه أبسط الحجرات على الإطلاق . . . إلا حيثما

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

كان الصوان محلى بطاقم زينة من الذهب الخالص المعتم . وأمسكت ديزى الفرشاة بابتهاج وأخذت تسوى شعرها . وعندئذ جلس جاتسبى وظلل عينيه وبدأ يضحك . . .

قال وهو يطفح بشراً : « هذا أغرب شيء أيها الصديق العجوز ، لا أستطيع — حين أحاول أن . . . » .

كان واضحاً أنه قد مر بحالتين نفسيتين من قبل ، وأنه يدخل الآن فى الحالة الثالثة ، فبعد ارتباكه ثم فرحته الصارخة كان العجب يتملكه الآن من وجودها . لقد امتلأ ذهنه بالفكرة طويلا ، وحلم بها بكل دقائقها ، وانتظر وهو يعض على نواجذه ، إذا صح التعبير، فى ذروة من الحدة لا يمكن تصورها . والآن ، وكرد فعل لكل هذا ، بدا مجهداً كأنه ساعة ملئت أكثر مما تتحمل .

واستعاد رباطة جأشه فى دقيقة ، وفتح لنا صوانين ضخمين مصقولين يضمان مجموعة هائلة من الحلل والأردية وأربطة العنق ، وقمصانه مرصوصة كأنها قوالب الطوب فى أكوام عالية .

— عندى رجل فى إنجلترا يشترى لى الملابس . وهو يرسل لى مجموعة من الأشياء فى بداية كل موسم ، فى الربيع والخريف . . .

وأخرج كومة من القمصان ، وبدأ يلقيها أمامنا واحداً بعد الآخر ، قمصان من التيل الخالص ومن الحرير السميك ومن الفانلة الرقيقة ، وفقدت القمصان طياتها وهى تسقط وتغطى المائدة فى فوضى من الألوان ، وكلما أبدينا إعجابنا أخرج المزيد منها ، وأخذت الكومة الرقيقة الفاخرة

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

تعاو . . . قمصان مخططة موشاة ، وقطع من الصوف فى لون المرجان والتفاح الأخضر واللافندر ولون برتقالى خفيف كتبت عليها الحروف الأولى باللون الأزرق ، وفجأة . . . وفى صوت مجهد أحنت ديزى رأسها بين القمصان وبدأت تنتحب فى صخب .

قالت وهى تنتحب وصوتها مكتوم بين الطيات السميكة .

— إنها قمصان جميلة للغاية ، إنها تجعلنى أحس بالحزن لأنى لم أر أبداً مثل . . . مثل هذه القمصان الجميلة من قبل .

* * *

وبعد المنزل ، كان علينا أن نرى الحديقة وحمام السباحة والطائرة البحرية وزهور منتصف الصيف — ولكن خارج نافذة جاتسبى كانت الأمطار تهطل ثانية ، فاصطففنا ننظر إلى سطح الخليج المتغضن.

قال جاتسبى : لولا الضباب لأمكننا أن نرى منزلك عبر الخليج . إن لديك دائماً ضوءاً أخضر يظل يشتعل طيلة الليل عند نهاية مرفئك» .

ووضعت ديزى ذراعها فى ذراعه فجأة ، لكنه بدا مستغرقاً فيما قاله لتوه . وربما خطر له أن المغزى الهائل لهذا الضوء قد اختفى إلى الأبد ، فبالمقارنة بالمسافة الهائلة التى كانت تفصل بينه وبين ديزى بدا له هذا الضوء قريباً جداً منها ، يكاد يلمسها ، قريباً قرب نجم من القمر . أما الآن فقد عاد من جديد ضوءاً أخضر فوق المرفأ . لقد نقصت ذخيرته من الأشياء المسحورة واحداً .

وبدأت أتجول فى الغرفة ، أفحص أشياء عديدة غير محددة فى

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

العتمة ، وجذبتنى صورة فوتوغرافية كبيرة لرجل عجوز يرتدى ثياب البحر معلقة على الحائط فوق مكتبه .

– من هذا ؟

– هذا مستر « دان كودى » أيها الصديق العجوز .

ورن الاسم فى سمعى مألوفاً إلى حد ما .

– لقد مات الآن . كان أفضل أصدقائى منذ سنوات مضت .

وكانت هناك صورة صغيرة لجاتسبى – يرتدى ثياب البحر – معلقة فوق مكتبه – جاتسبى ورأسه مائل إلى الخلف فى تحد – وواضح أنها قد التقطت حين كان فى الثامنة عشرة .

صاحت ديزى : « إنى أهيم بها . . .البومبادور ! لم تقل إن لديك بومبادور . . . أو يخت » .

قال جاتسبى بسرعة : « انظرى . . . هذه مجموعة كبيرة من القصاصات . . . عنك » .

ووقفا متجاورين يفحصانها . وكنت على وشك أن أسأله عن اليواقيت حين دق التليفون ، ورفع جاتسبى السماعة .

– نعم . . . حسناً لا أستطيع أن أحدثك الآن . . لا أستطيع أن أحدثك الآن أيها الصديق العجوز . . . لقد قلت مدينة صغيرة . . ولا بد أن يعرف ماذا تعنى مدينة صغيرة . . حسناً ، لا فائدة منه إذا كانت ديترويت هى فكرته عن المدينة الصغيرة .

وأنهى المكالمة .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

صاحت ديزى عند النافذة : « تعال إلى هنا بسرعة ! » .

والمطر لا يزال ينهمر ، لكن الظلمة قد ابتعدت نحو الغرب ، وهناك موجة ذهبية وردية من السحب المزبدة فوق البحر .

همسَت : « انظر إلى هذا » . . ثم بعد لحظة : « لكم أحب أن أُحْضِر إحدى تلك السحب الوردية وأضعك فيها ، وأدوربك حول المكان. . . » .

وحاولت أن أذهب عندئذ ، لكنهما رفضا الفكرة تماماً . وربما كان وجودى يزيد من شعورهما بأنهما وحدهما !

قال : « أعرف ماذا سنفعل الآن ، سندع كليبسبرينجر يعزف لنا على البيانو » .

وخرج من الغرفة منادياً : « إوينج » وعاد بعد بضع دقائق يصحبه شاب مرتبك منهك قليلا بنظارة ذات إطار من الصدف وشعر أشقر خفيف . كان الآن يرتدى فى أناقة قميصاً رياضيًّا مفتوحاً عند الرقبة ، وحذاء من الكاوتشوك ، وسروالا من الكتان سديمى اللون .

سألته ديزى بأدب : هل قطعنا تمريناتك ؟ .

صاح مستر كليسبرينجر فى نوبة ارتباك : « كنت نائماً ، أو بالأحرى لقد كنت نائماً ثم صحوت. . . . ،،

قال جاتسبى مقاطعاً إياه : « إن كليسبرينجر يعزف على البيانو ، أليس كذلك أيها الصديق العجوز إوينج ؟ »

ــ أنا لاأجيد العزف بل لاأكاد أعزف على الإطلاق، ومنذ فترة طويلة

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

لم أمارس التمرين، . . . . . .

قاطعه جاتسبي : « سنهبط إلى الطابق الأسفل » ، ولمس مفتاحاً ، فاختفت النوافذ الرمادية إذ توهج البيت بالضياء .

وفى حجرة الموسيقى أضاء جاتسبي ، مصباحاً وحيداً إلى جوار البيانو ، وأشعل سيجارة ديزى بعود ثقاب مرتعش ، وجلس معها على أريكة بعيدة فى طرف الغرفة الآخر ، حيث لم يكن هناك إلا ضوء البهو ينعكس على الأرض اللامعة .

وبعد أن عزف كليسبرينجر « عش الغرام » استدار على الأريكة وبحث فى تعاسة عن جاتسبي فى الظلام .

— منذ فترة طويلة لم أمارس التمرين كما ترى . قلت لك إنى لاأستطيع العزف ، منذ فترة طويلة لم أمارس التمرين . . .

أمره جاتسبي : « لا تتحدث كثيراً أيها الصديق العجوز ، اعزف! » .

« فى الصباح .

وفى المساء .

ألا نستمتع بحياتنا . . . » .

وفى الخارج كانت الريح صاخبة ، وثمة سيل خافت من الرعد على طول الخليج . كانت أنوار الويست إيج كلها مضاءة الآن ، والقطارات الكهربائية تحمل الرجال وتغوص عائدة من نيويورك خلال الأمطار . كانت ساعة تغير إنسانى عميق ، والجو يمتلئ بالإثارة .

« ثمة شيء أكيد ، ولا شيء أكثر تأكيداً منه . . الأغنياء

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

يزدادون غنى ، والفقراء يزدادون — أطفالا . . وفى نفس الوقت ، وفيما بين ذلك .

وإذ ذهبت أودعهما وجدت الارتباك وقد عاد ثانية إلى وجه جاتسبى ، كأنما خطر له خاطر من الشك فى قيمة سعادته الحالية . خمس سنوات تقريباً ! لا بد أنه كانت هناك لحظات — حتى فى تلك الأمسية — تعثرت فيها ديزى عن الارتقاء إلى أحلامه — لا لخطأ منها ، وإنما بسبب حيوية وهمه الهائلة الدافقة ، لقد تخطاها الوهم ، وتخطى كل شىء ، وهو قد ألقى بنفسه فى خضم هذا الوهم بعاطفة خلاقة ، مضيفاً إليه فى كل وقت ، وزيّنه بكل ريشة براقة لامعة طارت فى طريقه . فليس ثمة نيران أو عذوبة يمكن أن تفوق ما يستطيع الإنسان أن يختزنه فى قلبه .

وإذ نظرت إليه ديزى أصلح من شأنه قليلا ، بطريقة ملحوظة ، وأمسكت يده بيدها . وحين همست فى أذنه شيئاً بصوتها الخفيض استدار إليها بعاطفة مندفعة . وأعتقد أن هذا الصوت كان أشد ما يأسره ، بتموجاته ودفئه المحموم ، فما كان فى وسع حلمه أن يتخطى هذا الصوت . . .لقد كان أغنية لا تموت .

كانا قد نسيانى ، لكن ديزى نظرت إلى أعلى ومدت يدها ؛ أما جاتسبى فلم يكن يعرفنى على الإطلاق . ونظرت إليهما مرة أخرى ، ونظرا بدوريهما إلىّ من بعيد، وقد استغرقتهما الحياة المليئة . ثم خرجت من الغرفة ، وهبطت الدرجات الرخامية ، وخرجت إلى الأمطار ، تاركاً إياهما معاً .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

الفصل السادس

فى هذا الوقت تقريباً وصل صحفى شاب طموح من نيويورك ذات صباح إلى باب جاتسبى وسأله ما إذا كان عنده شىء يقوله .

فتساءل جاتسبى بأدب : « شىء أقوله عن ماذا ؟ » .

ـ ماذا . . أى تصريح تدلى به .

واتضح بعد خمس دقائق من الارتباك أن الرجل قد سمع باسم جاتسبى فى مكتبه ، مرتبطاً بشىء ما لا يريد أن يكشف عنه أو لا يفهمه تماماً . وكان هذا يوم إجازته ، وبمبادرة حميدة من جانبه أسرع « ليرى » .

كانت رمية من غير رام ، بيد أن غريزة الصحفى كانت صادقة . فقد كانت سمعة جاتسبى السيئة ـ التى نشرها مئات ممن قبلوا ضيافته وبذا أصبحوا حجة فى شأن ماضيه ـ قد زادت طيلة الصيف حتى كادت تصبح أنباء فى الصحف ، وارتبطت به الأساطير العصرية مثل : « خط الأنابيب تحت الأرض إلى كندا » ، وكانت ثمة قصة ملحة عن أنه لا يعيش فى منزل على الإطلاق وإنما فى سفينة على شكل منزل ، تتحرك سراً صاعدة وهابطة أمام شاطئ لونج أيلاند . وليس من السهل أن نقول لماذا كانت هذه الأكاذيب مصدراً لرضا چيمس جاتز من داكوتا الشمالية .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

چيمس جاتز — كان هذا هو اسمه الحقيقى، أو الرسمى على الأقل، وقد غيره فى سن السابعة عشرة ، فى تلك اللحظة التى شهدت بداية عمله — حين رأى يخت « دان كودى » يلقى مرساته فى أكثر أجزاء البحيرة العليا خطراً ، كان الذى يتسكع فوق الشاطئ بعد ظهر ذلك اليوم فى قميص صوفى أخضر ممزق وسروال من الخيش هو چيمس جاتز ، لكنه كان قد أصبح بالفعل جاى جاتسبى حين اقترض قارب تجديف وسار به نحو « تولومى» ، ليخبر كودى أن العاصفة قد تهب فتصيبه وتحطمه خلال نصف ساعة .

واعتقد أنه كان قد أعد الاسم منذ وقت طويل ، حتى فى ذلك الحين . كان والداه مزارعين فاشلين عديمى الحياة . . . لم يقبلهما خياله كوالدين على الإطلاق . والحق أن « جاى جاتسبى» من ويست إيج بلونج أيلاند قد انبثق من تصوره الأفلاطونى لنفسه . لقد كان ابن الإله : وهى عبارة لا تعنى سوى هذا إذا كان لها معنى على الإطلاق ، وكان عليه أن يعنى بعمل أبيه ، بتكريس الجمال الهائل المبتذل المبهرج ، لذا ابتدع ذلك النوع من « جاى جاتسبى» الذى يمكن أن يبتدعه فتى فى السابعة عشرة ، وظل مخلصاً لهذه الصورة حتى النهاية .

ولمدة تزيد على العام كان يشق طريقه عند الشاطئ الجنوبى للبحيرة الكبيرة ، ينقب بحثاً عن بعض الأسماك الصدفية ، أو يصيد السلمون ، أو يفعل أى شىء آخر يمكن أن يجلب له طعاماً وسريراً . وعاش جسمه الأسمر الجاف بصورة طبيعية خلال العمل نصف العنيف نصف

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

الكسول فى تلك الأيام الخانقة . وقد عرف النساء مبكراً ، ولما كن يدللنه فقد كان يحتقرهن ، يحتقر الفتيات العذارى لأنهن جاهلات ، ويحتقر الأخريات لأنهن كن يصبن بالهستيريا بسبب أشياء كان يعتبرها — لاستغراقه البالغ فى ذاته — أموراً مفروغاً منها . . .

لكن قلبه كان فى ثورة عارمة دائمة . وأغرب الخيالات وأعجبها تحوم فوقه وهو نائم فى سريره . وعالم زاه يفوق الوصف يدور فى ذهنه بينما الساعة تدق فوق المغسل ، والقمر يبلل بضوئه الندى ثيابه المكومة فوق الأرض . وفى كل ليلة كان يضيف إلى نموذج خيالاته شيئاً حتى يطيق النوم بأحضان النسيان على مشهد حى . وكانت أحلامه هذه — لبعض الوقت — منفذاً لخياله ، كانت إيماءة مرضية عن عدم واقعية الواقع ، وشيئاً يوحى بأن صخرة العالم تقف فى أمان فوق أجنحة جنيَّة .

كانت غريزة مجده المقبل قد قادته قبل ذلك ببضعة شهور نحو كلية سانت أولاف اللوثرية الصغيرة فى منيسوتا الجنوبية . وبقى هناك أسبوعين ، أفزعته لا مبالاتها الشرسة بطبول قدره ، بل وبالقدر ذاته ، واحتقر عمل الفراش الذي كان يحصل منه على مصاريف دراسته . ثم عاد ثانية إلى البحيرة الكبرى ، وكان لا يزال يبحث عن شىء يصنعه فى ذلك اليوم الذى ألقى فيه يخت « دان كودى » مرساته عند مياه الشاطئ الضحلة .

وكان كودى فى الخمسين من عمره عندئذ ، نتاجاً لمناجم الفضة فى نيڤادا ، ولكل اندفاع من أجل المعدن منذ عام خمسة وسبعين ، وكانت صفقات نحاس مونتانا التى جعلته مليونيراً أكثر من مرة قد

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

وجدته ناضجاً بدنياً ولكنه على حافة ضعف العقل .

وحاول عدد لا يحصى من النساء اللاتى اشتبهن فى هذا الأمر أن يفصلوه عن أمواله . وكانت الطرق المتشعبة غير المستساغة التى قامت بها إيللا كاى الصحفية بدور مدام دى مينتينون فى مواجهة ضعفه فأرسلته إلى البحر فى يخت ، معلومات شائعة بين المحررين منتفخى الأوداج أو فى الصحافة الخاضعة للرقابة عام ١٩٠٢ . كان قد ظل يرسو فى كل الشواطئ الحفية طيلة سنوات خمس حين ظهر كالقدر لجيمس جانز فى خليج الفتاة الصغيرة .

وبالنسبة لجانز الفتى ، المستند على مجاديفه ينظر إلى ظهر السفينة المسوَّر ، كان اليخت يمثل كل جمال وروعة العالم . وأعتقد أنه قد ابتسم لكودى — وربما كان قد اكتشف أن الناس يحبونه حينما يبتسم ، وعلى أى حال فقد سأله كودي بضعة أسئلة (أزاح واحد منها الستار عن الاسم الجديد تماماً) ووجده ذكياً بالغ الطموح ، وبعد عدة أيام أخذه إلى دولوث وابتاع له معطفاً أزرق وستة أزواج من السراويل الكتانية وقبعة لليخت . وحين رحلت « تولومى» إلى جزر الهند الغربية وساحل باربارى رحل جانسبى أيضاً .

كان يعمل فى وظيفة شخصية غامضة — فطيلة بقائه مع كودى كان وصيفاً ورفيقاً وبحاراً وسكرتيراً بل وسجاناً ، لأن دان كودى فى صحوه كان يعرف أى أفعال نزقة قد يقدم عليها دان كودى الثمل ، وكان يحتاط لمثل هذه الطوارئ بمزيد ومزيد من الثقة فى جانسبى . ودام هذا النظام

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

خمس سنوات ، دار القارب خلالها ثلاث مرات حول القارة ، وكان يمكن أن يدوم إلى ما لا نهاية ، لولا أن إيللا كاى قد صعدت إلى سطح القارب ذات مساء فى بوسطن ، وبعد أسبوع مات دان كودى دون حفاوة .

إنى أذكر صورته المعلقة فى حجرة نوم جاتسبى ، رجل متورد ذو وجه جاف فارغ — طليعة الفجرة الذين جلبوا إلى الشاطئ الشرقى فى إحدى مراحل الحياة الأمريكية العنف الوحشى لمواخير وبارات الحدود . وبشكل غير مباشر كان دان كودى مسئولا عن قلة ما يشربه جاتسبى . ففى بعض الأحيان وخلال حفلات مرحة كانت بعض النسوة تدلك شعره بالشمبانيا ، أما هو نفسه فقد اعتاد أن يدع المشروبات الروحية وشأنها .

وعن كودى ورث المال — وصية بخمسة وعشرين ألف دولار . لكنه لم يحصل عليها . ولم يفهم أبداً المكيدة القانونية التى دبرت له ، ولكن ما بقى من الملايين ذهب بكامله إلى إيللا كاى . وترك هو بتربيته الفريدة ، لقد امتلأ إطار جاى جاتسبى الغامض بجوهره الإنسانى .

لقد قص على هذا كله فيما بعد ، لكنى أضعه كله هنا الآن آملا أن أبدد تلك الشائعات الحوشية الأولى عن أسلافه ، وهى شائعات لم يكن لها أدنى ظل من الحقيقة ، بل لقد قص على هذا فى وقت من الحيرة والتخبط ، حين كدت أصدق كل شىء ولا شىء عنه . ولهذا انتهزت فرصة هذه الوقفة القصيرة ، وجاتسبى يلتقط أنفاسه — إذا صح التعبير — لكى أبدد كل هذه الأفكار الخاطئة .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

كان ثمة وقفة أيضاً فى ارتباطى بشئونه ، فلمدة أسابيع لم أره أو أسمع صوته فى التليفون — وكنت غالبية الوقت فى نيويورك أتسكع مع چوردان ، وأحاول أن أتحبب إلى عمتها العجوز — ولكنى فى النهاية ذهبت إلى منزله فى أمسية يوم أحد ، ولم أكن قد قضيت هناك أكثر من دقيقتين حين أحضر أحدهم توم بوكانان ليتناول شراباً ، ودهشت بالطبع ، لكن الشىء الأكثر إثارة للدهشة هو أن ذلك لم يكن قد حدث من قبل .

كانوا جماعة من ثلاثة على ظهور خيولهم — توم ورجل يدعى سلون وامرأة جميلة ترتدى حلة ركوب بنية كانت قد ذهبت إلى هناك من قبل .

قال جاتسبى وهو يقف فوق السقيفة : « إنى مسرور لرؤيتكم ، مسرور لأنكم قد جئتم» . كأنما كان يعنيهم الأمر .

— اجلسوا ، خذوا سيجارة أو سيجاراً . . .وأخذ يتجول فى أنحاء الحجرة يدق أجراساً . . . « سأحضر لكم شيئاً تشربونه خلال دقيقة» .

كان متأثراً تمام التأثر لوجود توم ، لكنه سيظل قلقاً حتى يقدم لهم شيئاً ، مدركاً بصورة غامضة أن هذا هو كل ما جاءوا من أجله . ولم يكن مستر سلون يريد شيئاً . كوباً من الليمونادة ؟ كلا أشكرك . قليلا من الشمبانيا ؟ لا شىء على الإطلاق أشكرك . . أنا آسف .

— هل استمتعتم برحلتكم فوق ظهور الخيل ؟

— الطرق جيدة جداً هنا .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

ـ أعتقد أن السيارات . . .

ـ نعم . .

وبدافع لا يمكن مقاومته استدار جاتسبى نحو توم ، الذى كان قد قَبل أن يقدم إليه كأنهما لم يتعارفا من قبل .

ـ أعتقد أننا قد تقابلنا من قبل فى مكان ما يامستر بوكانان .

أجاب توم فى أدب جاف وكان من الواضح أنه لم يتذكر : « أوه ، نعم ، لقد فعلنا ، إنى أذكر جيداً » .

ـ منذ حوالى أسبوعين .

ـ هذا صحيح ، لقد كنت مع نك هذا . . .

وواصل جاتسبى حديثه بطريقة تكاد تكون عدوانية : « إنى أعرف زوجتك » . . .

ـ حقًّا ؟ .

واستدار توم نحوى

ـ أتعيش على مقربة من هنا يا نك ؟

ـ فى المنزل المجاور

ـ حقًّا ؟ . . .

ولم يشترك مستر سلون فى المناقشة ، بل استرخى إلى الخلف فى مقعده بكبرياء ، كما لم تقل المرأة بدورها شيئاً . . . حتى أصبحت ودودة على غير توقع ، بعد أن شربت كأسين .

قالت : « سنحضر جميعاً إلى حفلتك التالية يا مستر جاتسبى . . ما قولك ؟ » .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

– بالتأكيد ، سيسرنى هذا . . .

قال المستر سلون دون أى شعور بالامتنان : « سيكون ذلك شيئاً جميلا ، حسناً . . أعتقد أنه يجب أن نبدأ السير الآن . . . » .

فحثه جاتسبى قائلا : « لا تتعجل أرجوك » . . كان قد سيطر الآن على نفسه ، وأصبح يريد أن يرى المزيد من توم : « لماذا لا . . . . لماذا لا تبقون حتى العشاء ؟ ولن يدهشنى أن يحضر أناس آخرون من نيويورك . . . » .

قالت السيدة فى حماس : « تعال لتتعشى معى ، تعالا كلاكما... »

كان هذا يشملنى . ووقف مستر سلون على قدميه وقال : « هلموا »، لكنه كان يوجه الحديث لها وحدها .

قالت بإصرار : « إنى أعنى ما أقول . لكم أحب أن تحضروا . هناك أماكن كافية » .

نظر إلىّ جاتسبى متسائلا . كان يريد أن يذهب ، ولم يكن يرى أن مستر سلون مصمم على عدم ذهابه .

وهمس مستر سلون شيئاً فى أذنها .

قالت بصوت مرتفع وفى إصرار : « لكننا لن نتأخر إذا بدأنا السير الآن» .

قال جاتسبى : « ليس لدى حصان . كنت أركب أيام كنت فى الجيش لكنى لم أشتر حصاناً أبداً . سأضطر إلى أن أتبعكم فى سيارتى . عن إذنكم دقيقة واحدة » .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

وسار بقيتنا نحو السقيفة حيث انهمك مستر سلون والسيدة فى مناقشة جانبية حامية .

قال توم : « يا إلهى ، أعتقد أنه قادم ، ألا يعرف أنها لا تريده ؟ » .

— هى تقول إنها تريده .

قال مقطباً : « إنها تقيم حفلة عشاء كبيرة ، ولن يعرف هناك أحداً على الإطلاق . وإنى لأتساءل أين بحق الشيطان التقى بديزى . بحق الإله قد أكون عتيقاً فى أفكارى لكن النساء يدرن أكثر مما يجب هذه الأيام ، ويقابلن كل أنواع المجانين . . . » .

وفجأة هبط مستر سلون والسيدة الدرجات وامتطيا حصانيهما .

قال مستر سلون لتوم : « هلم بنا فقد تأخرنا ، وعلينا أن نذهب » ثم لى : « قل له إننا لم نستطع الانتظار » .

وصافحت توم ، وتبادلت مع الآخرين إيماءة باردة ، وركضوا مسرعين هابطين الممر ، مختفين تحت أشجار أغسطس ، فى نفس اللحظة التى وصل فيها جاتسبى إلى الباب الأمامى ، وقد ارتدى قبعته ومعطفاً خفيفاً .

كان من الواضح أن توم قد أزعجه تجوال ديزى وحدها ، ولذلك جاء معها إلى حفل جاتسبى فى مساء السبت . وربما أعطى حضوره للأمسية طابعاً مقبضاً خاصاً . . . فهى تبرز وحدها فى ذاكرتى مختلفة عن حفلات جاتسبى الصيفية الأخرى . كان هناك نفس الناس ، أو على الأقل نفس النوع من الناس ، ونفس الفيض من الشمبانيا ،

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

ونفس الهرج متعدد الألوان والنغمات ، لكنى أحسست فى الجو كدراً ، خشونة لم تكن هناك من قبل . أو ربما كان كل ما فى الأمر أنى كنت قد تعودت على الويست إيج ، أصبحت أتقبلها كعالم كامل بذاته ، له مقاييسه الخاصة ، وأبطاله البارزون ، عالم لا يعلوه شىء لأنه لا يعى أن شيئاً يعلوه ، لكنى كنت أنظر إليها الآن من خلال عينى ديزى ، ومن المحزن تماماً أن تنظر خلال عيون جديدة إلى أشياء شملتها من قبل قدرتك على التكيف .

وصلا عند الغسق ، وإذ كنا نتجول خلال المئات المتلألئة من البشر كان صوت ديزى يعزف تمتماته الخادعة المألوفة فى حلقها .

همست : « هذه الأشياء تثيرنى ، إذا أردت أن تقبلنى فى أى وقت خلال الأمسية يا نك فدعنى أعرف فحسب وسأدبر الأمر ، اذكر اسمى فحسب ، أو قدم لى بطاقة خضراء ، إنى أعطى . . . .

اقترح علينا جاتسبى : « انظروا حولكم » .

— إنى أنظر حولى . . وأستمتع بروعة . . .

— يجب أن تروا وجوه الكثيرين ممن سمعتم عنهم .

وعينا توم المتعاليتان تطوفان بالحشد .

قال : « إننا لا نخرج كثيراً ، والحقيقة أنى كنت أفكر لتوى أننا لا نعرف أحداً هنا » .

— ربما تعرفون هذه السيدة . وأشار جاتسبى إلى امرأة رائعة ، إمرأة أشبه بزهرة الأوركيد ، تجلس فى نشوة تحت شجرة برقوق بيضاء .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

وحملق توم وديزى بذلك الشعور غير الواقعى الذى يصحب التعرف على إحدى مشاهير نجوم السينما .

قالت ديزى : « إنها جميلة » .

ــ والرجل الذى ينحنى عليها هو مخرج أفلامها .

وأخذهما فى احتفاء من مجموعة إلى مجموعة : « مسز بوكانان . . . ومستر بوكانان » وبعد لحظة تردد أضاف « لاعب البولو» .

واعترض توم بسرعة : « أوه كلا . . . إنه ليس أنا » .

لكن من الواضح أن نغمة العبارة قد راقت لجاتسبى ، فقد ظل توم هو « لاعب البولو » طيلة الأمسية .

صاحت ديزى : « لم ألتق من قبل بمثل هذا العدد من المشاهير ، لقد أحببت هذا الرجل . . . ماذا كان اسمه ؟ الرجل ذو الأنف الأزرق نوعاً » .

فأخبرها جاتسبى باسمه مضيفاً أنه منتج صغير .

ــ حسناً ، لقد أحببته على أى حال .

قال توم بابتهاج : « أفضل ألا أكون لاعب البولو ، أفضل أن أنظر إلى كل هؤلاء المشهورين من . . . من ظلام النسيان» .

ورقصت ديزى مع جاتسبى ، وأذكر أنى دهشت لرقصة الفوكس تروت الرشيقة المحافظة التى أداها . . . فلم أره أبداً يرقص من قبل ، ثم تسكعا حتى منزلى ، وجلسا على الدرجات نصف ساعة ، بينما وقفت ــ بناء على طلبها ــ أرقب الحديقة . وفسرت الأمر قائلة :

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

« فقد يحدث حريق أو فيضان أو أية قوة قاهرة أخرى » .

وخرج توم من دائرة النسيان ونحن نتناول عشاءنا معاً .

قال : « أيسوءك أن أتناول عشائى مع بعض الناس هناك ، ثمة شخص يؤدى بعض الأعمال الطريفة » .

أجابته ديزى بلطف : « تقدم ، وإذا أردت أن تأخذ أى عنوان فهذا قلمى الذهبى الصغير » . . . ونظرت حولها بعد لحظة وأخبرتنى أن الفتاة « عادية ولكنها جميلة » . وعرفت أنها — فيما عدا نصف الساعة التى انفردت فيها بجاتسبى — لم تكن تستمتع بوقتها .

كنا نجلس على مائدة سكرى لدرجة غير عادية . وكان هذا خطأ ... فقد استدعى جاتسبى إلى التليفون ، وكنت قد استمتعت بنفس هؤلاء الناس منذ أسبوعين فحسب ، لكن ما سرنى عندئذ قد بدا الآن شيئاً عفنا .

— كيف تشعرين الآن يا مس بيديكر ؟

كانت الفتاة التى يوجه إليها الحديث تحاول عبثا أن تضع رأسها على كتفى . وعند هذا السؤال جلست وفتحت عينيها .

— ماذا ؟

وتكلمت امرأة ضخمة نائمة — كانت تحث ديزى على أن تلعب معها الجولف فى النادى المحلى فى اليوم التالى — مدافعة عن مس بيديكر .

— إنها على خير حال الآن ، فهى حين تتناول خمس أو ست كئوس تبدأ دائما فى الصراخ كما فعلت . ولقد قلت لها أن تدع الأمور وشأنها .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

فأكدت المتهمة فى صوت أجوف : « إنى أتركها وشأنها » .

ــ لقد سمعناك تصرخين ، لذا قلت للدكتور سيفيت . هناك شخص يحتاج مساعدتك يا دكتور .

قال صديق آخر دون أن يبدو فى صوته أى عرفان بالجميل .

ــ أنا واثق أنها شاكرة للغاية . لكنك بللت ثوبها تماماً حين وضعت رأسها فى الحوض .

وتمتمت مس بيديكر : « أشد ما أكرهه هو أن توضع رأسى فى الحوض ، لقد كادوا يغرقوننى مرة فى نيوچيرسى » .

فرد الدكتور سيفيت : « إذن يجب أن تدعى الأمور وشأنها » .

فصاحت مس بيديكر فى عنف : « تحدث عن نفسك ، إن يديك ترتعشان . ما كنت لأسمح لك بأن تجرى لى عملية » .

هكذا كان الأمر .... وربما كان آخر ما أذكره أنى وقفت مع ديزى نراقب المخرج السينمائى ونجمته . كانا ما يزالان تحت شجرة البرقوق ووجهاهما يتلامسان ، لا يفصل بينهما سوى شعاع رقيق من ضوء القمر . وخطر لى أنه قد ظل ينحنى نحوها ببطء طيلة الأمسية حتى يحقق هذا التقارب ، وتحت أعيننا ونحن نرقبهما انحنى درجة أخرى وقبلها فى خدها .

قالت ديزى : « لكم أحبها ، أعتقد أنها جميلة » .

لكن كل ما عدا ذلك كان يسوؤها . . . وبشكل لا جدال فيه ، إذ لم يكن إيماءة أو إشارة بل عاطفة ، لقد أفزعتها ويست إيج ، هذا

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

« المكان» الذى لا مثيل له ، والذى أنجبته برودواى فوق قرية الصيد فى لونج أيلاند . . . أفزعتها القوة البدائية التى تغلى تحت عباراتها اللطيفة المألوفة ، وأفزعها القدر المتطفل الذى يقود سكانها عبر مجازات قصيرة من لا شىء إلى لا شىء . كانت ترى شيئاً رهيباً فى بساطتها ذاتها التى عجزت عن إدراكها .

وجلست معهما على الدرجات الأمامية وهما ينتظران عربتهما . كانت الواجهة هنا مظلمة ، والباب المشرق وحده يلقى عشر أقدام مربعة من الضياء تنساب فى الصباح الأسود الرقيق . وفى بعض الأحيان كان ظل يتحرك خلف ستارة حجرة الزينة فيلقى ظلا آخر ، موكباً لا ينتهى من الظلال ، تضع الأحمر والبودرة أمام مرآة غير مرئية .

سألنى توم فجأة : « من هو هذا « الجاتسبى » على أى الأحوال . مهرب خمور؟ »

سألته : « أين سمعت هذا ؟ »

ــ لم أسمعه بل تصورته ، فكثير من محدثى الثراء هؤلاء ليسوا أكثر من مهربى خمور كبار كما تعرف.

قلت بإيجاز : « إلا جاتسبى » .

وصمت لحظة ، وحصى الممر يئن تحت أقدامه .

ــ حسناً لا بد أنه أجهد نفسه حتى يجمع كل هؤلاء الوحوش سوياً .

وحرك النسيم ياقة فراء ديزى الرمادية .

قالت متحاملة على نفسها : «إنهم على الأقل أكثر لطفاً ممن نعرفهم» .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

– لم يكن يبدو عليك هذا السرور .

– حسناً ، لقد كنت مسرورة .

فضحك توم واستدار نحوى .

– هل لاحظت وجه ديزى حين طلبت منها تلك الفتاة أن تضعها تحت الدش البارد ؟

وبدأت ديزى تغنى مع الموسيقى فى همسة مبحوحة منغومة ، معطية لكل كلمة معنى لم يكن لها من قبل ، ولن يكون لها بعد الآن . وحين ارتفعت الموسيقى ارتفع صوتها متابعاً النغمات – كما تفعل الأصوات الرنانة – وكل تغير فى صوتها يمنح الهواء قليلا من سحرها الإنسانى الدافئ .

قالت فجأة : « كثيرون يحضرون دون أن توجه إليهم دعوة ، وهذه الفتاة لم توجه لها دعوة . إنهم ببساطة يفرضون أنفسهم ، وهو من الأدب بحيث لا يستطيع أن يعترض » .

قال توم فى إصرار : « أحب أن أعرف من هو وماذا يعمل ، وأعتقد أننى سأستطيع أن أكتشف ذلك» .

أجابت : « أستطيع أن أخبرك منذ الآن . لقد كان يمتلك بعض مخازن الأدوية ، كثيراً من مخازن الأدوية . وقد أقامها هو بنفسه . . » .

وجاءت السيارة الليموزين المتأخرة تجرى فوق الممر .

قالت ديزى : « أسعدت مساء يا نك» .

وغادرتنى نظرتها باحثة عن قمة الدرجات المضيئة ، حيث كان

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

لحن « الساعة الثالثة صباحاً » — وهو ڤالس حزين ظهر فى ذلك العام — ينساب عبر الباب المفتوح . فعلى أى حال كانت فى حفلات جاتسبى العارضة إمكانيات رومانسية غريبة تماماً على عالمها . ما الذى كان يبدو فى هذه الأغنية وكأنه يدعوها ثانية إلى الداخل ؟ ماذا كان يمكن أن يحدث الآن فى تلك الساعات المعتمة التى لا تحصى ؟ ربما وصل زائر غير منتظر ، شخص نادر تماماً ، يثير الانبهار ، فتاة مشرقة حقاً تستطيع بنظرة ريانة لجاتسبى — فى لحظة واحدة من اللقاء الباهر — أن تمحو تلك السنوات الخمس من الولاء الذى لا يتزعزع .

وبقيت تلك الليلة حتى ساعة متأخرة ، فقد طلب منى جاتسبى أن أنتظر حتى يخلو ، وأخذت أتلكأ فى الحديقة حتى جرى حفل السباحة المحتوم منتشياً بردانا من الشاطئ الأسود ، وحتى انطفأت أنوار قاعات الضيوف فى الطابق الأعلى . وحين هبط الدرجات أخيراً كان جلده البرونزى مشدوداً على وجهه بشكل غير عادى ، وعيناه لامعتين مجهدتين .

قال فوراً : « لم يعجبها ! » .

— بل أعجبها .

قال بإصرار : « لم يعجبها ، ولم تحظ بوقت طيب ! » .

كان صامتاً ، واستطعت أن أخمن كآبته التى لا يتفوه بها .

قال : « أحسست أنى بعيد عنها ، من الصعب أن أجعلها تفهم » .

— أتعنى الرقصة ؟ .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

ـ الرقصة ؟ . . .ونحى جانباً كل الرقصات التى أداها بإشارة من أصابعه ، «كلا أيها الصديق العجوز ، إن الرقصة غير هامة» .

لم يكن يريد من ديزى أقل من أن تذهب إلى توم وتقول : « أنا لم أحبك أبداً » . وبعد أن تمحو أربع سنوات بهذه العبارة يبدآن فى مناقشة ما يتخذانه من إجراءات أكثر عملية ، وكان أحد هذه الإجراءات هو أن يعودا إلى لويزفيل ـ بعد أن تتحرر من توم ـ يتزوجا فى منزلها ـ تماماً كما لو كانا منذ خمس سنوات مضت .

قال : « وهى لا تفهم . لقد كانت قادرة على الفهم ، كنا نجلس ساعات » .

وتوقف ، وبدأ يسير ذهاباً وجيئة فى ممر مهجور من قشر الفاكهة والشارات المطروحة والزهور المسحوقة .

تجرأت فقلت : « ما كنت لأطلب منها أكثر مما يجب ، فلن تستطيع أن تكرر الماضى» .

صاح غير مصدق : « لن تستطيع أن تكرر الماضى ؟ ماذا ، بالطبع تستطيع ! » .

ونظر حوله بعنف ، كأنما الماضى يتربص هنا فى ظلال منزله على بعد ذراع منه .

قال وهو يومئ برأسه فى حسم : « سأعيد ترتيب الأمور كما كانت من قبل تماماً . وسترى » .

وتحدث كثيراً عن الماضى ، وأدركت أنه يريد أن يستعيد شيئاً ،

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

ربما فكرة عن نفسه انغمست فى حب ديزى ، لقد ارتبكت حياته واضطربت منذ ذلك الحين ، لكن لو أنه عاد مرة إلى نقطة البدء ، واسترجع كل شىء ببطء ، لأمكنه أن يكتشف ما هو هذا الشىء ....

. . . ذات مساء فى الخريف ، منذ خمس سنوات ، كانا يسيران معاً فى الشارع وأوراق الأشجار تتساقط . ووصلا إلى مكان ليست فيه أشجار ، وكان الطوار أبيض بضوء القمر ، وهنا توقفا واستدارا ليواجه كل منهما الآخر . كانت الأمسية باردة مليئة بتلك الإثارة الغامضة التى تصحب تغير الفصول ، وأضواء المنازل الهادئة تغمغم فى الظلام ، وثمة حركة ولغط بين النجوم . ومن زاوية عينه رأى جاتسبى أن أحجار الرصيف تشكل بالفعل سلماً يصعد إلى مكان خفى فوق الأشجار . . . كان فى وسعه أن يصعد السلم لو أنه صعد وحده ، وعندما يصل إلى هناك كان يستطيع أن يمتص رحيق الحياة ، وأن يرضع لبن الدهشة الذى لا نظير له .

ودق قلبه أسرع وأسرع ، ووجه ديزى الأبيض يقترب من وجهه ، كان يعرف أنه حين يقبل تلك الفتاة ، . ويزف إلى الأبد رؤاه المدهشة إلى أنفاسها الهالكة ، فإن عقله لن يعود ليلهو ثانية كذهن الرب ، فانتظر مصغياً لحظة أخرى إلى شوكة رنانة دقت فوق إحدى النجوم . ثم قبلها . وعند لمسة شفتيه تفتحت أمامه كأنها الزهرة ، واكتمل التجسد .

وخلال كل ماقاله ، وحتى خلال عاطفته المفزعة ، عبر ذاكرتى شىء ، نغمة شاردة ، بقية كلمات ضاعت ، سمعتها فى مكان ما منذ وقت

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

طويل مضى . وللحظة حاولت عبارة أن تتشكل فى فمى ، وانفرجت شفتاى كأنهما شفتا أخرس ، كأنما ثمة صراع فوقهما أكثر من حزمة هواء فزعة . لكن صوتاً لم يصدر عن شفتى ، ولم يعد فى وسعى إلى الأبد أن أصور ذلك الشىء الذى كدت أن أذكره .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

الفصل السابع

حين بلغ الفضول حول جاتسبى ذروته ، توقفت أنوار منزله عن الإضاءة مساء يوم سبت . . . وانتهى دوره (كتريما لخيو) فى نفس الغموض الذى بدأ به . ولم أدرك إلا بالتدريج أن السيارات التى كانت تستدير فى أمل نحو ممر بيته لم تعد تبقى سوى دقيقة واحدة ، ثم تستدير راجعة فى تجهم . وخشيت أن يكون مريضاً فذهبت لأعرف الأمر . . . ونظر إلى وصيفٌ لا أعرفه على وجهه سمات الإجرام ، نظرة شزراء مستريبة .

ـ هل المستر جاتسبى مريض ؟

ـ كلا . وبعد لحظة أضاف : « يا سيدى » ببطء وتذمر .

ـ لم أره حول المكان ، فشعرت بالقلق عليه ، أخبره أن مستر كاراواى قد جاء هنا .

سأل فى وقاحة : « من ؟ »

ـ كاراواى . . .

ـ كاراواى . حسناً ، سأخبره . . .

وصفق الباب فى جفاف .

وأخبرتنى المرأة الفنلندية أن جاتسبى قد فصل كل خدمه منذ أسبوع

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

وأحل محلهم نصف دستة آخرين ، لم يذهبوا أبداً إلى ويست إيج ليتقبلوا رشاوى التجار ، بل كانوا يطلبون بالتليفون كميات معقولة من المؤن . وقال صبي بائع الخضر إن المطبخ قد أصبح أشبه بحظيرة الخنازير . وكان الرأى السائد فى القرية هو أن هؤلاء الجدد ليسوا خدماً على الإطلاق.

وفى اليوم التالى اتصل بى جاتسبى تليفونياً .

سألته : « هل تنوى مغادرة المكان ؟ »

ـ كلا أيها الصديق العجوز . . .

ـ سمعت أنك طردت كل خدمك .

ـ أريد أناساً لا يثرثرون . . . فديزى تحضر كثيراً بعد الظهر . . .

وهكذا انهار بيت الضيافة بأكمله كبيت من الورق أمام نظرة عدم الرضا فى عينيها .

ـ إنهم أناس ، يريد ويلفشايم أن يؤدى لهم خدمة . كلهم أخوة وأخوات . وكانوا يديرون فندقاً صغيراً .

ـ هكذا . . .

كان يتصل بى بناء على رجاء ديزى ... أيمكن أن أتناول الغداء فى منزلها غداً؟ ستكون مس بيكر هناك . وبعد نصف ساعة خاطبتنى ديزى نفسها بالتليفون ، وبدا عليها الارتياح حين عرفت أنى سأحضر . كان ثمة شىء يحدث . ورغم هذا لم أستطع أن أصدق أنهما سينتهزان هذه الفرصة ليفجرا مشهداً صاخباً ـ خاصة ذلك المشهد المدمر الذى صوره جاتسبى فى الحديقة .

وكان اليوم التالى ملتهباً ، كان تقريباً آخر أيام الصيف وبالتأكيد أشدها

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

حرارة . وإذ خرج قطارى من النفق إلى ضوء الشمس لم يكن يقطع فحيح الظهيرة إلا صفارات مصنع البسكويت الأهلى الساخنة . وكانت مقاعد العربة المصنوعة من القش تتأرجح على حافة الاحتراق. وظلت المرأة المجاورة تتصبب عرقاً فى رقة داخل قميصها الأبيض ، ثم عندما ابتلت جريدتها تحت أصابعها غاصت يائسة فى الحرارة العميقة بصيحة كئيبة ، وسقطت حقيبتها على الأرض .

لهثت : « أوه ياإلهى . . »

فالتقطت الحقيبة بانحناءة منهكة وأعدتها إليها ، ممسكاً بها من طرفها على طول ذراعى ، لأوضح أنى لا أنتوى شيئاً بشأنها . . . لكن كل من كان إلى جوارى — بما فيهم المرأة — ارتاب فىّ على الرغم من ذلك .

قال المحصل للوجوه المألوفة : «حر . . يا للجو . . حر . . حر . . حر . . أهذا الحر يكفيك ؟ أهذا الحر ؟ أهذا . . . . . ؟

وعادت إلىّ تذكرنى بعد أن تلطخت ببقعة قاتمة من أثر يده ، أكان أحد ليبالى فى هذا الحر أى شفاه متوردة يقبلها ، وأى رأس يبلل جيب منامته فوق قلبه !

. . . . وعبر بهو منزل آل بوكانان هبت نسمة حملت صوت رنة جرس التليفون إلىّ أنا وجاتسبى ، ونحن ننتظر عند الباب .

صاح الخادم فى السماعة : جسد السيد ! . ، آسف ياسيدتى ، لانستطيع أن نحضره — فهو ساخن لانستطيع أن نلمسه فى هذه الظهيرة . أما ماكان يقوله حقا فهو : « نعم . . . نعم . . . سأرى »

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

ووضع السماعة وجاء نحونا ــ يلتمع بعض الشيء ــ ليأخذ قبعاتنا القشية الجافة .

ــ سيدتى تنتظركما فى حجرة الجلوس .

وأشار لنا إلى الطريق دون داع ، فقد كانت كل حركة زائدة فى هذه الحرارة اجتراء على رصيد الحياة المشترك .

أما الغرفة ــ التى ظللتها الستائر جيداً ــ فكانت معتمة باردة . وكانت ديزى وچوردان ــ ترقدان فوق أريكة هائلة ، كأنهما وثنان فضيان ، يمسكان بأطراف أرديتهما البيضاء فى مواجهة نسيم المراوح وهو يغرد فى الحجرة .

قالا معاً : « لانستطيع الحركة » .

واستقرت أصابع چوردان ، المغطاة ببودرة بيضاء فوق سمرتهما ، بين أصابعى لحظة .

سألت : « وأين المستر توم بوكانان البطل الرياضى ؟ »

وفى نفس الوقت سمعت صوته غليظاً أجش فى تليفون البهو .

ووقف جاتسبى عند منتصف السجادة القرمزية يحملق حوله بعيون مفتوحة . وراقبته « ديزى » ثم ضحكت ضحكتها الحلوة المثيرة ، وتصاعدت نفحات البودرة من صدرها إلى الهواء .

همست چوردان : « الإشاعة تقول إن فتاة توم هى التى تحادثه بالتليفون » . وصمتنا وارتفع الصوت القادم من البهو مغتاظاً : « حسناً ، إذن لن أبيع سيارتى على الإطلاق ... ليس على التزام تجاهك على الإطلاق ...

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

أماعن مضايقتك لى بالموضوع فى ساعة الغداء فهو أمر لاأطيقه على الإطلاق .

قالت ديزى ساخرة : «إن السماعة مغلقة» فأكدت لها «كلا. إنها . صفقة حقيقية وقد عرفتها بالصدفة » .

ودفع توم الباب ثم سد فراغه لحظة بجسده وأسرع داخلا الغرفة .

مد يده العريضة المبسوطة بعدم ارتياح نجح فى إخفائه : مستر جاتسبى أنا مسرور برؤيتك ياسيدى . . نك . . . .

صاحت ديزى : « اصنع لنا شراباً بارداً » .

وحين غادر الغرفة ثانية نَهَضَتْ وذَهَبَت إلى جاتسبى ، وجذَبت وجهه إليها وقبلته فوق شفتيه .

تمتمت : « أنت تعرف أنى أحبك » .

قالت چوردان « أنت تنسين أن هناك سيدة موجودة » .

فنظرت ديزى حولها فى شك .

« قبلى نك أيضاً » .

ـ أى فتاة سوقية مبتذلة . . .

صاحت ديزى : « أنا لاأبالى! . ». وبدأت تدق المدفأة الحجرية ، ثم تذكرت حرارة الجو فجلست على الأريكة كمن ارتكبت ذنباً ، فى نفس الوقت الذى دخلت فيه الغرفة مربية غُسلت ملابسها للتو ، تقود فتاة صغيرة إلى الغرفة .

غردت وهى تمد ذراعيها إلى الأمام « حب ... يبتى الغا . . . لية . . . تعالى إلى أمك التى تحبك . . . » .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

فاندفعت الطفلة عبر الحجرة – بعد أن تركتها مربيتها – وارتمت خجلة بين طيات رداء أمها .

« الحبيبة ... بة الغا ... لية : هل لوثت أمك بالبودرة شعرك الأصفر الجميل ؟ قفى الآن . . . وقولى كيف حالكم ؟» .

وانحنى جاتسبى ، ثم انحنيت بدورى ، لنصافح اليد الصغيرة المستحية ، وبعد ذلك ظل ينظر إلى الطفلة فى استغراب ، ولا أظن أنه قد آمن بوجودها من قبل .

قالت الطفلة وهى تنظر إلى ديزى بشغف : « لقد ارتديت ملابسى قبل الغداء» .

– هذا لأن أمك تريد أن تريك للضيوف : وانحنى وجهها فى التجعيدة الوحيدة بالرقبة الصغيرة : « أنت يا حلمى أنت . يا حلمى الصغير الكامل» .

قالت الطفلة فى هدوء : « نعم ، إن عمتى چوردان ترتدى أيضاً رداء أبيض» .

– كم تحبين أصدقاء أمك ؟ ، وأدارتها ديزى حتى واجهت جاتسبى ، أتعتقدين «أنهم ظرفاء» .

– أين بابا ؟

ومضت ديزى تقول : « إنها لا تشبه أباها ، إنها تشبهنى ، ولها نفس شعرى وشكل وجهى» .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

وجلست ديزى على الأريكة ، وخطت المربية خطوة إلى الأمام ومدت يدها .

ــ تعالى يا بامى . . .

ــ وداعاً يا حبيبتى .

وألقت الفتاة خلفها نظرة كلها ممانعة ، ثم أمسكت بيد مربيتها التى جرتها إلى الخارج ، فى نفس الوقت الذى عاد فيه توم يتقدم أربع كئوس من الجين يرن داخلها الثلج .

وأخذ جاتسبى كأسه .

قال فى توتر واضح : « إنها تبدو باردة بالتأكيد » .

وشربنا كئوسنا فى جرعات طويلة شرهة .

قال توم بلطف : « قرأت فى مكان ما أن الشمس تزداد حرارة كل عام . ويبدو أن الأرض ستسقط فوق الشمس قريباً جداً . . . أو انتظروا دقيقة ــ إن الأمر على العكس تماماً ــ فالشمس تزداد برودة كل عام » .

ثم اقترح علىّ جاتسبى : « تعال إلى الخارج ، أحب أن تلقى نظرة على المكان» .

وخرجت معهما إلى الشرفة . وفى الخليج الأخضر الراكد بفعل الحرارة كان شراع صغير وحيد يزحف ببطء فى البحر الرائع . وتبعت عينا جاتسبى الشراع لحظة ، ثم رفع يده وأشار عبر الخليج ، « إنى أسكن فى مواجهتكم تماماً» .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

– هذا صحيح .

وارتفعت عيوننا فوق أحواض الزهور والحدائق الخضراء ونفايات الحشائش التى خلفتها أيام الحر على طول الشاطئ ، وأخذت أجنحة القارب تتحرك عند طرف السماء البارد ، وأمامه ينبسط المحيط ، والجزر الوفيرة المباركة .

قال توم مشيراً برأسه : « هذه رياضة طيبة . لكم أحب أن أقضى معه ساعة هناك» .

وتناولنا الغداء فى قاعة الطعام التى أُعتِمت لمواجهة الحر ، وشربنا مرحاً عصبيـًّا مع الجعة الباردة .

صاحت ديزى : « ماذا سنصنع بأنفسنا بعد الظهر ، وغداً ، وفى السنوات الثلاثين المقبلة» . قالت چوردان : « لا تكونى سقيمة . فالحياة تبدأ ثانية من جديد مع بداية الخريف» . فأصرت ديزى وهى على حافة البكاء : « لكن الجو حار للغاية ، وكل شىء مشوش ، فلنذهب جميعاً إلى المدينة !.» .

كان وجهها يصارع مخترقاً الحرارة ، مصطدماً بها ، ومحيلا عبثها إلى أشكال .

وكان توم يقول لجاتسبى : « سمعت عن أناس حولوا الحظائر إلى جراچات ، لكننى أول رجل يحول الجراچ إلى حظيرة» .

سألت ديزى فى إصرار : « من يريد أن يذهب إلى المدينة ؟» .

وطفت عينا جاتسبى نحوها ، فصاحت :

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

« أوه ، أنت تبدو بارداً جداً» .

والتقت عيونهما وتبادلا التحديق ، وحدهما فى المكان ، وعادت بعد جهد لتنظر إلى المائدة .

رددت قولها : « أنت دائماً تبدو بارداً جداً» .

كانت قد قالت له إنها تحبه ، ورأى توم بوكانان ذلك ، وأذهله الأمر ، ففتح فمه قليلا ، ونظر إلى جاتسبى ، ثم عاد فنظر إلى ديزى كأنما قد تعرف فيها لتوه على شخص يعرفه منذ أمد بعيد .

ومضت هى تقول فى براءة : « إنك تشبه إعلان الرجل . أتعرف إعلان الرجل — »

فانفجر توم بسرعة : « حسناً . إنى أرغب تماماً فى الذهاب إلى المدينة ، هلموا ، فلنذهب جميعاً إلى المدينة . . . » .

ونهض وعيناه ما زالتا تتطلعان بين جاتسبى وبين زوجته ، ولم يتحرك أحد .

وأفلتت أعصابه قليلا .

« هلموا . . ما الخبر على أى حال ؟ إذا كنا ذاهبين إلى المدينة فلننطلق» .

ورفعت يده المرتعشة — بسبب الجهد الذى كان يبذله لكبح عواطفه — بقايا كأس الجعة إلى شفتيه. ودفعنا صوت ديزى إلى النهوض على أقدامنا والخروج إلى الممر بحصاه الملتهب .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

اعترضت : « أنحن ذاهبون توًّا ؟ هكذا ؟ ألن ننتظر لندع أحداً يدخن سيجارة أولا ؟ »

ــ لقد دَخَّنا جميعاً أثناء الغداء

فرجته قائلة : « فلنمرح ، فالجو حار لا يحتمل الضجيج»

ولم يجب .

قالت : « افعل ما يروق لك ، هلمى يا چوردان» .

وصعدا إلى الطابق الأعلى ليستعدا ، بينما وقفنا نحن الرجال الثلاثة هناك ننبش الحصى الساخن بأقدامنا ، كان قوس القمر الفضى يحوم بالفعل فى السماوات القريبة . وبدأ جاتسبى الحديث ثم عدل ، ولكن بعد أن كان توم قد استدار وواجهه منتظراً .

سأله جاتسبى فى عناء: « هل حظائرك هنا ؟»

ــ على بعد حوالى ربع ميل عند بداية الشارع .

ــ أوه .

صمت .

وانفجر توم فى وحشية : « لا أفهم لماذا نذهب إلى المدينة . مثل هذه الأفكار تثب إلى أذهان النساء ــ » .

نادتنا ديزى من نافذة علوية : « أتشربون شيئاً ؟ » .

فأجاب توم : « سأشرب بعض الويسكى» . . ومضى إلى الداخل .

واستدار جاتسبى نحوى فى جفاء .

ــ لا أستطيع أن أقول شيئاً فى منزله أيها الصديق العجوز

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

قلت ملاحظا : « إن لها صوتاً جريئاً ، إنه ملىء بـ — » وترددت .

قال فجأة : « إن صوتها ملىء بالمال » .

هذا هو السر ، وهو ما عجزت عن فهمه من قبل . كان صوتها مليئاً بالمال — هذا هو السحر الذى لا يتبدد ، والذى يرتفع ويهبط مع الصوت ، هذا هو رنين الصوت ، هو أغنية الصاجات . . . هناك عالياً فى قصر أبيض تعيش الفتاة الذهبية ابنة الملك . . . .

وخرج توم من المنزل وهو يلف زجاجة ويسكى فى منشفة ، تتبعه ديزى وچوردان يرتديان قبعتين صغيرتين من نسيج معدنى ، ويحملان معطفين رقيقين على ذراعيهما .

اقترح جاتسبى : « فلنذهب جميعاً فى سيارتى . . » . . ثم تحسس جلد المقعد الأخضر الساخن وقال : « كان يجب أن أتركها فى الظل » . .

سأله توم : « أهى عادية فى قيادتها ؟ . . » .

— نعم .

— حسناً . فلتأخذ سيارتى (الكوبى) ودعنى أقد سيارتك إلى المدينة .

وبدا الاقتراح كريهاً لجاتسبى .

اعترض : « لا أعتقد أن هناك ما يكفى من الوقود » .

قال توم فى صوت عاصف : « الوقود متوفر . وإذا نفد الوقود فسأتوقف عند أحد مخازن الأدوية . فأنت تستطيع فى هذه الأيام أن تشترى أى شىء من مخزن أدوية » .

ثم سكتة تبعت هذه الملاحظة الخالية من المعنى . ونظرت ديزى

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

إلى توم مقطبة ، وعبر وجه جاتسبى تعبير لا يمكن تحديده ، تعبير غير مألوف تماماً ، لكنك فى نفس الوقت تستطيع أن تتعرف عليه فى نوع من الغموض ، كأنما قد سمعت وصفاً له فحسب .

قال توم وهو يدفع ديزى بيده نحو سيارة جاتسبى : « هلمى يا ديزى ، سآخذك فى عربة السيرك هذه» .

وفتح الباب ، لكنها تحركت بعيداً عن متناول ذراعيه .

ــ خذ نك وچوردان . وسأتبعك فى السيارة (الكوبى) .

وسارت على مقربة من جاتسبى تلمس معطفه بيدها ، وصعدنا أنا وتوم وچوردان إلى مقعد سيارة جاتسبى الأمامى . ودفع توم الآلات غير المألوفة ، فاندفعت بنا العربة فى الحر الخانق ، وتركناهما خلفنا ليغيبا عن أنظارنا .

سأل توم : « هل رأيت ذلك ؟ » .

ــ رأيت ماذا ؟ . فنظر إلى متفحصاً ، وقد أدرك أنى وچوردان لا بد قد عرفنا الأمر طيلة هذه المدة .

قال : « أنت تظن أنى مغفل تماماً ، أليس كذلك ؟ ربما كنت مغفلا لكننى . . ، لكن لدى ، ــ تقريباً رؤيا ثانية تنبئنى فى بعض الأحيان بما أفعل ، ربما لا تؤمن بذلك . لكن العلم . . .» وتوقف. باغته المجهول القريب ، وجذبه ثانية من عند حافة الهوة النظرية .

واصل حديثه : « لقد قمت ببعض الأبحاث حول هذا الشخص . ولقد كان فى وسعى أن أتعمق الأمر لو أنى عرفت . . . » .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

سألته چوردان متفكهة : « أتعنى أنك ذهبت إلى وسيط؟ » .

فحملق فينا مرتبكاً ونحن نضحك : « ماذا ؟ وسيط؟ »

ــ حول جاتسبى . . . .

ــ حول جاتسبى ! ! كلا لم أذهب ، قلت إنى كنت أقوم ببعض الأبحاث عن ماضيه . قالت چوردان تساعده : « ووجدت أنه خريج أكسفورد ؟» .

ــ « خريج أكسفورد» بدا غير مصدق . . « إنه لكذلك وحق الجحيم . . . إنه يرتدى حلة وردية» .

ــ و رغم هذا فهو خريج أكسفورد . . . .

قال توم من طرف أنفه باحتقار « أكسفورد نيومكسيكو أو شىء من هذا القبيل» .

قالت چوردان بغضب : « اصغ إلى يا توم ، إذا كنت بمثل هذه الحماقة فلماذا دعوته إلى الغداء ؟ » .

ــ لقد دعته ديزى ، كانت تعرفه قبل أن تتزوج ــ والله وحده يعرف أين .

كنا جميعاً نحس الآن بالضيق بعد أن تبخرت الجعة ، وإذ أدركنا ذلك سرنا صامتين فترة . ثم عندما وقعت تحت أبصارنا عينا الدكتور ت.ج. أكلبورج الذابلتان عبر الطريق ، تذكرت تحذير جاتسبى بشأن الوقود .

قال توم : « لدينا ما يكفى من الوقود لنذهب إلى المدينة» .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

فاعترضت چوردان : « لكن ثمة جراج هنا وأنا لا أريد أن أربط فى حرارة الفرن هذه » .

فجذب كلتا الفرملتين بصبر نافد ، وانزلقنا إلى بقعة متربة وعرة تحت لافتة ويلسون . وبعد لحظة خرج المالك من الداخل وحملق فى عربتنا بعيون جوفاء .

صاح توم بخشونة : « فلتزودنا ببعض الوقود . لماذا تظننا توقفنا . . . لكى نستمتع بالمنظر ؟ »

قال ويلسون دون أن يتحرك : « إنى مريض ، ظللت مريضاً طول اليوم . . . » .

ــ ما الخبر ؟ .

ــ لقد انهرت تماماً .

سأله توم : « حسناً ، هل أقوم بنفسى بأخذ الوقود ؟ لقد كنت تبدو على خير حال فى التليفون» . وبجهد غادر ويلسون ظل وسند الباب ، وأدار غطاء الخزان وهو يتنفس بصوت مسموع . وبدا وجهه أخضر فى ضوء الشمس .

قال : « ألم أقصد أن أقطع عليك غداءك ، لكنى فى أمس الحاجة إلى النقود ، وكنت أتساءل ماذا ستصنع بسيارتك القديمة » .

سأله توم : « ما رأيك فى هذه السيارة ؟ لقد اشتريتها فى الأسبوع الماضى » .

قال ويلسون وهو يجهد فى إدارة المقبض : « إنها سيارة صفراء جميلة » .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

ـ أتحب أن تشتريها .

فابتسم ابتسامة شاحبة : « إنها كبيرة بالنسبة لى ، كلا ، لكنى أستطيع أن أحصل على بعض النقود من السيارة الأخرى . . » .

ـ فيم تريد المال هكذا فجأة ؟

ـ لقد عشت هنا أطول مما ينبغى ، وأريد أن أرحل بعيداً ، إنى وزوجتى نريد أن نذهب إلى الغرب . . .

صاح توم منزعجاً : « زوجتك تريد ذلك . . » .

ـ لقد ظلت تتحدث عن هذا عشر سنوات . واستند لحظة على المضخة مظللا عينيه . « أما الآن فإنها سترحل سواء أرادت أو لم ترد . سأجعلها ترحل . . . »

واجتازتنا السيارة (الكوبى) فى زوبعة من الغبار مع ومضة يد تحيى .

سأله توم بجفاء : « بكم أدين لك ؟ » .

قال ويلسون : « لقد اكتشفت شيئاً غريباً منذ يومين. وهذا هو سبب رغبتى فى الرحيل . هذا سبب مضايقتى لك من أجل السيارة» .

ـ بكم أدين لك .

ـ دولاراً وعشرين . . . . . .

كانت الحرارة الضارية القاسية قد بدأت تثير فىّ الاضطراب ، فمررت بلحظة سيئة قبل أن أدرك أن شكوكه حتى ذلك الحين لم تصب توم . . . كان قد اكتشف أن لميرتل حياة أخرى بعيدة عنه فى عالم

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

آخر ، وأصابته الصدمة بالمرض . . . . وحملقت فيه ، ثم فى توم ، الذى كان قد وصل لاكتشاف مماثل منذ ساعة مضت . . . وخطر لى أن الذكاء أو الجنس أو أى فارق آخر بين الناس لا يمكن أن يصل إلى عمق الفارق بين المريض والصحيح . كان ويلسون مريضاً حتى ليبدو مذنباً ذنباً لا غفران له . . . كأنه قد تسبب لتوه فى حمل فتاة بائسة.

قال توم : « سأدعك تأخذ تلك السيارة . سأرسلها لك غداً صباحاً»

كان المكان دائماً مثيراً للقلق دون سبب واضح حتى فى وهج الظهر الساطع . وأدرت عندئذ رأسى كأنما حذرنى أحدهم من شىء خلفى . وفوق أكوام الرماد كانت عينا الدكتور ت. ج. أكلبورج العملاقتان ما زالتا متيقظتين ، لكنى أحسست — بعد لحظة — أن العينين الأخريين كانتا تنظران إلينا أيضاً من مسافة تقل عن عشرين قدماً .

فى إحدى النوافذ المطلة على الجراج تحركت الستائر قليلا إلى أحد الجوانب ، وأخذت ميرتل ويلسون تتلصص بنظرها نحو السيارة . كانت مستغرقة تماماً حتى لم تدرك أنها مراقبة ، وبدأت عاطفة تلو عاطفة تزحف إلى وجهها . كأنها أشياء تبدو فى صورة يتم تحميضها ببطء . كان التعبير مألوفاً بشكل غريب . . . تعبير كثيراً ما رأيته فوق وجوه النساء ، لكنه بدا على وجه ميرتل ويلسون شيئاً لا هدف له ولا تفسير ، حتى أدركت أن عينيها المشعتين بفزع الغيرة لم تكونا مثبتتين على توم بل على چوردان بيكر ، التى اعتقدت أنها زوجته .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

* * *

ليس ثمة ارتباك مثل ارتباك العقل البسيط . وإذ سرنا فى طريقنا كان توم يشعر بلذعات سياط الرعب الحامية . منذ ساعة واحدة كانت زوجته وعشيقته فى أمان لا ينتهك ، وها هوذا يحس بهما الآن ينزلقان من تحت سيطرته . وجعلته غريزته يدوس على البنزين بهدف مزدوج ، هو أن يلحق بديزى وأن يترك ويلسون وراءه . وأسرعنا نحو أستوريا بسرعة خمسين ميلا فى الساعة ، حتى لمحنا السيارة (الكوبى) الزرقاء تسير فى يسر بين كمرات الطريق العلوى الملتوية .

قالت چوردان : « إن دور السينما الكبيرة هذه حول الشارع الخمسين تبدو باردة . لكم أحب نيويورك فى أمسيات الصيف ، حين يكون كل الناس خارج المدينة . ثمة شىء حسى فيها — نضج زائد ، كأن كل أنواع الفاكهة ستسقط بين يديك . . . » .

وزادت كلمة « حسى » من اضطراب توم ، ولكن قبل أن ينبس بأى احتجاج توقفت السيارة (الكوبى) وأشارت إلينا ديزى بأن نلحق بهم .

صاحت : « إلى أين نحن ذاهبون ؟ » .

— ما قولك فى الذهاب إلى السينما ؟

قالت شاكية : « الجو حار .. اذهبوا أنتم ، وسنطوف نحن هنا ثم نقابلكم فيما بعد » . . . وبعد جهد أشرق ذكاؤها قليلا : « سنقابلكم عند إحدى النواصى . سأكون الرجل الذى يدخن سيجارتين » .

قال توم بصبر نافد إذ أخذت إحدى العربات تصفر خلفنا :

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

« لن نستطيع مناقشة الأمر هنا ، اتبعونى إلى الطرف الجنوبى من سنترال بارك أمام البلازا » .

وأدار رأسه عدة مرات ، ونظر خلفه نحو سيارتهما ، وحين كان المرور يعوقهما كان يبطئ حتى يظهرا ثانية أمام بصره . وأعتقد أنه كان يخشى أن ينزلقا فى أحد الشوارع الجانبية ، ويخرجا من حياته إلى الأبد .

لكنهما لم يفعلا . وخطونا جميعاً خطوة لا معنى لها ، إذ شغلنا غرفة فى أحد فنادق بلازا .

ولم أعد أذكر المناقشة الطويلة الصاخبة التى انتهت بأن سرنا جميعاً إلى تلك الغرفة ، وإن كنت أذكر بحدة أنه خلال هذه المناقشة ظلت ملابسى الداخلية تصعد حول ساقىّ كأنها أفعى مبتلة ، وقطرات متقطعة من العرق تسرع باردة فوق ظهرى . وقد نبتت الفكرة عندما اقترحت ديزى أن نستأجر خمسة حمامات ونأخذ حمامات باردة ، ثم أخذت شكلا ملموساً : « كمكان نحتسى فيه قدحاً من الشراب» ، وردد كل منا مرة بعد أخرى أنها : « فكرة مجنونة » . . . . وكنا جميعاً نتحدث فى نفس الوقت إلى كاتب منهك ، ونظن — أو ندعى أننا نظن — أننا فى غاية المرح .

كانت الغرفة كبيرة وخانقة ، ورغم أن الساعة كانت قد وصلت الرابعة فإن فتح النوافذ لم يسمح إلا بدخول هبة ساخنة من الحديقة . وسارت ديزى نحو المرآة مولية ظهرها لنا ، وأخذت تصفف شعرها .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

همست چوردان باحترام : « إنه جناح رائع » ، وضحكنا جميعاً .

صاحت ديزى فى لهجة آمرة دون أن تنظر حولها : « افتحوا نافذة أخرى» .

ــ لم تعد هناك نوافذ أخرى .

ــ حسناً ، من الأفضل أن تطلبوا فأساً بالتليفون .

قال توم بصبر نافد : « أفضل ما تفعلين هو أن تنسى الحرارة ، فأنت تزيدين الأمر سوءا عشر مرات بالجلبة حولها» .

وفك المنشفة من حول زجاجة الويسكى ووضعها فوق المائدة .

قال جاتسبى : « لماذا لا تدعها وشأنها أيها الصديق العجوز» .

وسادت لحظة صمت . وانزلق دفتر التليفون من فوق المسمار المعلق عليه وسقط فوق الأرض ، فهمست چوردان : « معذرة» ، ولكن أحداً لم يضحك هذه المرة .

قلت : « سألتقطه» .

قال جاتسبى « لقد التقطته » ، وأخذ يفحص الخيط المقطوع ، وغمغم « هم» فى اهتمام ، ثم ألقى بالدفتر على أحد المقاعد .

قال توم بحدة : « هذا أحد تعبيراتك الرائعة ، أليس كذلك ؟ »

ــ ما هو ؟

ــ تعبير الصديق العجوز ، أين التقطته ؟

قالت ديزى وهى تستدير عن المرآة : « انظر الآن يا توم . إذا كنت ستدلى بملاحظات شخصية فلن أبقى هنا دقيقة واحدة . . .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

اطلب بالتليفون بعض الثلج والشراب . . . » .

وإذ رفع توم السماعة ، انفجرت الحرارة المضغوطة صوتاً ، وسمعنا النغمات المريعة لمارش الزفاف لمنديلسون من قاعة الرقص فى الطابق السفلى .

صاحت چوردان فى اكتئاب : « تصور أن تتزوج شخصاً ما فى هذه الحرارة ! » .

فتذكرت ديزى : « ورغم هذا . . . .فقد تزوجت فى منتصف يوليو فى لويزفيل . لقد أغمى على شخص ما . . . من كان هذا الشخص يا توم ؟ » .

أجاب بإيجاز : « بيلوكسى » .

ــ شخص يدعى بيلوكسى . بلوكس بيلوكسى ،وكان يصنع الصناديق ــهذه حقيقةــ وينتمى إلى بيلوكس بولاية المسيسيبى .

أضافت چوردان : « وقد حملوه إلى منزلى لأننا كنا نعيش على بعد منزلين من الكنيسة . وبقى عندنا ثلاثة أسابيع حتى طلب منه أبى أن يخرج . وفى اليوم التالى لخروجه مات أبى» . . .

وبعد لحظة أضافت وكأنما بدا حديثها غير مقبول : « ولم يكن ثمة علاقة بين الأمرين» .

قلت : «كنت أعرف شخصاً يدعى بيل بيلوكس من ممفيس».

ــ هذا ابن عمه . فقد عرفت كل تاريخ أسرته قبل أن يغادرنا . وقد أعطانى صولجانا من الألومنيوم لا أزال أستخدمه حتى اليوم . . .

كانت الموسيقى قد توقفت إذ بدأ الاحتفال ، وطفت من النافذة

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

الآن هتافات طويلة تلتها صيحات متقطعة : « ييه — ييه . ييه . . »
وأخيراً انفجار موسيقى الجاز عندما بدأ الرقص .

قالت ديزى : « لقد كبرنا ، فلو كنا شباباً لوقفنا ورقصنا» .

قالت چوردان محذرة إياها : « تذكرى بيلوكسى ، أين عرفته يا توم ؟ »

أخذ يجهد فى تركيز ذهنه : « بيلوكسى ؟ لم أكن أعرفه . كان أحد أصدقاء ديزى» .

فأنكرت : « لم يكن . فأنا لم أره أبداً من قبل . لقد جاء فى السيارة الخاصة» .

— حسناً ، لقد قال إنه يعرفك . قال إنه تربى فى لويزفيل . . ولقد أحضرته آزابيرد فى آخر لحظة ، وسألتنا ما إذا كان لدينا مكان له» .

فابتسمت چوردان : « ربما كان يستجدى طريقه عائدا إلى منزله . لقد أخبرتنى أنه كان رئيس فصلكم فى ييل» .

فتبادلت النظر مع توم فى دهشة .

— بيلوكسى ؟

— أولا لم يكن لنا أى رئيس . . .

ودقت قدم جاتسبى دقة قصيرة . ونظر إليه توم فجأة : « على فكرة يا مستر جاتسبى ، عرفت أنك خريج أكسفورد» .

— ليس تماماً .

— أوه ، نعم ، عرفت أنك ذهبت إلى أكسفورد .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

نعم . . . . لقد ذهبت إلى هناك .

صمت . ثم صوت توم مهيناً غير مصدق .

ــ لا بد أنك ذهبت إلى هناك فى الوقت الذى ذهب فيه بيلوكسى إلى نيوهافن .

الصمت من جديد . . ودق الخادم الباب ودخل يحمل الشراب والثلج المجروش . لكن السكون تمزق بكلمة : « أشكرك» ، ثم بصوت الباب يغلق فى هدوء . كان يجب أن تصفى هذه المسألة التفصيلية الهائلة أخيراً .

قال جاتسبى : « أخبرتك أنىّ ذهبت إلى هناك» .

ــ سمعتك ، ولكنى أحب أن أعرف متى ؟

ــ كان ذلك فى عام ألف وتسعمائة وتسعة عشر . ولم أبق هناك سوى خمسة شهور . وهذا هو السبب فى أنى لا أقول عن نفسى إنى خريج أكسفورد .

ونظر توم حوله ليرى ما إذا كنا نرى عدم تصديقه ، لكنا جميعاً كنا ننظر إلى جاتسبى .

واصل حديثه : « كانت فرصة منحوها لبعض الضباط بعد الهدنة . كان فى وسعنا أن نذهب إلى أى من جامعات إنجلترا أو فرنسا . . » .

أحسست أنى أريد أن أقف وأربت على ظهره ، فقد استولت على من جديد إحدى نوبات الثقة الكاملة التى أحسستها تجاهه من قبل .

ووقفت ديزى وهى تبتسم ابتسامة واهنة ، ومضت إلى المائدة وقالت

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

آمرة : « افتح زجاجة الويسكى يا توم وسأصنع لك قدحاً من الشراب ، وعندئذ لن تبدو لنفسك بمثل هذا الغباء . . . انظر إلى شراب النعناع »

صاح توم : « انتظرى دقيقة . أريد أن أوجه لمستر جاتسبى سؤالا آخر ؟ »

قال جاتسبى بأدب : « تفضل » .

ـ أى نوع من المشاكل تحاول أن تسببه لعائلتى ؟

أخيراً خرجا إلى الساحة المكشوفة . وشعر جاتسبى بالرضا .

نظرت ديزى فى يأس من الواحد إلى الآخر : « إنه لا يسبب أى مشاكل. إنك أنت الذى تسببها . أرجو أن تحتفظ بقليل من ضبط النفس » .

ردد توم وراءها غير مصدق : « ضبط النفس . . أعتقد أن آخر طراز هو أن تجلس وتدع مستر لا أحد من لا مكان يغازل زوجتك . حسناً ، إذا كانت هذه فكرتك فأخرجينى منها . . . إن الناس يبدأون الآن فى السخرية من حياة العائلة ونظام العائلة ، وستكون الخطوة التالية أن يطرحوا بكل شىء عبر الحائط ، ويقيموا زيجات مختلطة بين السود والبيض . . . » .

رأى نفسه ـ وهو منفعل برطانته العاطفية ـ يقف وحيداً مدافعاً عن آخر حدود المدنية .

تمتمت چوردان : « كلنا بيض هنا » .

ـ أعرف أنى لست محبوباً جداً ، فأنا لا أقيم حفلات كبيرة .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

وأعتقد أن عليك أن تحيل منزلك إلى حظيرة خنازير كى تحصل على أصدقاء . . . . فى العالم الحديث .

ورغم ما أصابنى من غضب ــ وما أصاب الجميع ــ فقد كان ثمة شىء يغرينى بالضحك كلما فتح فمه . كان الانتقال من الفجور إلى الغرور كاملا .

بدأ جاتسبى يقول : « ثمة شىء أحب أن أقوله لك أيها الصديق العجوز . . . » . لكن ديزى خمنت نيته .

قاطعته فى قنوط : « لا تفعل أرجوك . . أرجوكم دعونا جميعاً نعد إلى المنزل . لماذا لا نعود جميعاً إلى المنزل ؟ » .

وقفت قائلا : « هذه فكرة . هلم يا توم ، لا أحد يريد أن يشرب»

ــ أريد أن أعرف ما يريد مستر جاتسبى أن يقوله لى . . .

قال جاتسبى : « إن زوجتك لا تحبك . إنها لم تحبك أبداً . إنها تحبنى أنا . . . » .

صاح توم أوتوماتيكيًّا : « لا بد أنك مجنون . . » .

قفز جاتسبى على قدميه وقد ملأته الإثارة حياة .

صاح : « إنها لم تحبك أبدا . أتسمعنى ؟ إنها لم تتزوجك إلا لأنى كنت فقيراً ، وكانت قد تعبت من انتظارى . لقد كان خطأ فادحاً . لكن قلبها لم يحب أحداً غيرى . . . » .

وعند هذه النقطة حاولت وچوردان أن نذهب ، لكن توم وجاتسبى تنافسا فى الإصرار بشبات على بقائنا ــ كأنما كل منهما ليس لديه ما

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

يخفيه ، وستكون ميزة لنا أن نقاسمه عواطفه .

قال توم وصوته يسعى عبثًا لأن يتخذ نغمة أبوية : « اجلسى يا ديزى ، ماذا كان يجرى ؟ أريد أن أسمع كل شئ . . » .

قال جاتسبى : « لقد أخبرتك ماذا كان يجرى . كان يجرى منذ خمسة أعوام . . . وأنت لا تعرف» .

فاستدار توم إلى ديزى بحدة :

ــ أكنت ترين هذا الشخص طيلة خمسة أعوام . . .

قال جاتسبى : « كلا . لم تكن ترانى ، لم نكن نستطيع أن نتقابل . لكن كل منا كان يحب الآخر طيلة هذا الوقت أيها الصديق العجوز ، وأنت لا تعرف . . . » .

ــ أوه ... أهذا كل شىء . . ودق توم أصابعه السميكة سويًّا كأحد الكهنة ، وانحنى إلى الخلف فى مقعده .

انفجر قائلا : « أنت مجنون . . وأنا لا أستطيع أن أتحدث عما جرى منذ خمس سنوات لأنى لم أكن أعرف ديزى عندئذ . . . ولتحل علىّ اللعنة إذا كنت أستطيع أن أفهم كيف وصلت إلى بعد ميل منها ، ما لم تكن تحضر الخضروات إلى الباب الخلفى . لكن كل ما عدا ذلك أكذوبة لعينة . فقد أحبتنى ديزى عندما تزوجتنى ، وهى تحبنى الآن»...

ــ كلا . . . قالها جاتسبى وهو يهز رأسه نفياً .

ــ وبرغم هذا فهى تحبنى . والمشكلة هى أنه تخطر لها فى بعض الأحيان بعض الأفكار الحمقاء فلا تعرف ما تصنع . . . وأومأ برأسه

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

فى تعقل : « والأكثر من هذا أنى أحب ديزى أيضاً . ومن حين لآخر أرتكب بعض النزوات الصغيرة وأفقد عقلى ؛ لكنى أعود إليها دائماً . لقد ظل قلبى يحبها دائماً . . . » .

قالت ديزى : « أنت منفر » واستدارت نحوى . وهبط صوتها نغمة ليملأ الغرفة باحتقار مثير . . . « أتعرف لماذا غادرنا شيكاغو ؟ إنى مندهشة لأنهم لم يخبروك بقصة هذه النزوة الصغيرة » .

فسار جاتسبى ووقف إلى جوارها .

قال بحماس : « ديزى . لقد انتهى هذا كله الآن . ولم تعد له أهمية . أخبريه بالحقيقة فحسب . . . أنك لم تحبيه أبداً . . . وكل شىء سينتهى إلى الأبد » .

نظرت إليه دون أن تراه : « ماذا ... كيف كان بوسعى أن أحبه ... أهذا ممكن ؟ »

ــ أنت لم تحبيه أبداً . . . .

وترددت ، وهبطت عيناها على چوردان ثم علىّ فى نوع من الاستغاثة. كأنما أدركت أخيراً ماذا تصنع . . . وكأنما لم تكن تنوى طيلة هذا الوقت أن تصنع شيئاً على الإطلاق . لكنه قد تم الآن . وقد فات الآوان .

قالت فى تمنع ملموس : « لم أحبه أبداً » .

سأل توم فجأة : « حتى فى كابيولانى ؟» .

ــ كلا . . . .

ومن قاعة الرقص تحتنا كانت نغمات مكتومة مخنوقة تصعد نحونا فى هبات هواء ساخنة .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

ـ ولا فى ذلك اليوم الذى حملتاك فيه من بانش باول لأبقى حذاءك جافًّا ؟ . . . كان فى صوته رقة مبحوحة : « ديزى ؟» .

ـ أرجوك لا تفعل ... كان صوتها باردًا ، لكن الحقد كان قد ذهب عنه . . . وتطلعت إلى جاتسبى وقالت : « انظر يا جاتسبى . . . » ـ لكن يديها كانتا ترتعشان وهى تحاول أن تشعل بهما سيجارة . وفجأة قذفت بالسيجارة وعود الثقاب المشتعل فوق السيجارة .

صاحت بجاتسبى : « أنت تريد الكثير . . إنى أحبك الآن ـ أفلا يكفيك هذا ؟ ولا أستطيع تجنب الماضى . . . » وبدأت تنتحب عاجزة : « لقد أحببته ذات مرة . . . لكنى كنت أحبك أيضاً » .

وفتح جاتسبى عينيه وأغلقهما .

ردد : « كنت تحبيننى أيضاً ؟ » .

قال توم بوحشية : « وحتى هذا أكذوبة . بل لم تكن تعرف أنك تعيش ـ ماذا ـ ثمة أشياء بينى وبين ديزى لا يستطيع أحدنا أن ينساها».

وبدت الكلمات وكأنها تحز فى جسد جاتسبى .

قال بإصرار : « أريد أن أتحدث مع ديزى وحدنا . فإنها مستثارة تماماً الآن . . . .» .

اعترفت بلهجة بائسة : « حتى وحدنا لا أستطيع أن أقول إننى لم أحب توم أبداً . فلن يكون هذا صحيحاً . . . » .

وافقها توم : « بالطبع لن يكون » .

استدارت نحو زوجها .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

قالت : «كأنما الأمر يهمك» .

– إنه يهمنى بالطبع ، وسيزيد اهتمامى بك منذ الآن . . .

قال جاتسبى وقد مسه الرعب : « إنك لا تفهم ، لن تهتم بها بعد ذلك » .

– ألن أفعل ؟ . » . وفتح توم عينيه حتى آخرهما وضحك. لقد كان فى وسعه الآن أن يتمالك نفسه . . . « ولماذا ؟ » .

– لأن ديزى ستتركك .

– كلام فارغ .

قالت بجهد واضح : « لكنى سأفعل . . . » .

– إنها لن تتركنى . . وفجأة بدأت كلمات توم تجثم فوق جاتسبى : « لن تتركنى بالتأكيد من أجل محتال سيضطر إلى سرقة الخاتم الذى يضعه فى أصبعها» .

صاحت ديزى : « لن أستطيع احتمال ذلك . . فلنخرج أرجوكم» .

وانفجر توم قائلا : « من أنت على أى حال ؟ أنت واحد من الحفنة التى تدور مع ميير ولفشايم – هذا ما أعرفه – فقد قمت ببعض التحريات حولك– وسأواصلها غداً» . . . .

قال جاتسبى بثبات : « تستطيع أن تفعل ما يروق لك فى هذا الشأن أيها الصديق العجوز » . . .

– لقد اكتشفت ماذا كانت « مخازن أدويتك» . ثم استدار إلينا وتكلم بسرعة « إنه وهذا الو لفشايم قد اشتريا عديداً من مخازن الأدوية

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

فى الشوارع الجانبية هنا وفى شيكاغو ، وباعا الخمور من خلف (البناك). وهذه إحدى ألاعيبهما الصغيرة . لقد تبينت أنه مهرب خمور فى أول مرة رأيته فيها ، ولم أخطئ كثيراً» .

قال جاتسبى بأدب : «وماذا فى ذلك ؟ أعتقد أن صديقك والترشيز لم تمنعه كبرياؤه من الاشتراك فيه» .

– ثم تخليتم عنه ، ألم تفعلوا ؟ وتركتموه يقضى فى السجن شهراً فى نيوجيرسى . بالله ! يجب أن تسمع والتر وهو يتحدث عنك .

– لقد جاءنا مفلساً تماماً . وكم أسعده أن يلتقط بعض النقود أيها الصديق العجوز .

صاح توم : «لا تقل لى «أيها الصديق العجوز» . ولم يقل جاتسبى شيئاً . «كان فى وسع والتر أن يبلغ عن انتهاككم لقوانين المراهنات ، لكن ولفشايم أفزعه حتى خشى أن يفتح فمه» .

وعادت إلى وجه جاتسبى تلك النظرة غير المألوفة التى يمكن التعرف عليها مع ذلك .

وواصل توم حديثه ببطء «لم يكن موضوع مخازن الأدوية إلا شيئاً صغيراً . لكنكم تدبرون الآن أمراً يخشى والتر أن يخبرنى عنه» .

نظرت إلى ديزى وكانت تقلب نظرها فى رعب بين جاتسبى وبين زوجها وبين چوردان ، التى أخذت تحافظ فوق طرف ذقنها على توازن شىء خفى ولكنه يستغرقها تماماً . ثم استدرت نحو جاتسبى ، وأفزعنى التعبير المرتسم على وجهه . كان يبدو – وأنا أقول هذا بكل احتقار

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

للافتراءات التى كانو يثرثرون بها فى حديقته — كان يبدو وكأنه « قتل رجلا» . فلقد كانت هذه العبارة الغريبة هى أصدق تصوير لوجهه فى تلك اللحظة .

ثم مرت اللحظة . وبدأ يتحدث بحماس مع ديزى ، منكراً كل شىء ، مدافعاً عن اسمه فى مواجهة اتهامات لم يوجهها أحد . لكنها مع كل كلمة كانت تنكمش إلى داخلها أكثر فأكثر ، فتخلى عن المحاولة . ولم يعد هناك — والزمن ينزلق من أيدينا — سوى ذلك الأمل الميت يكافح محاولا أن يمسك بشىء لم يعد ملموساً ، مصارعاً فى شقاء ويأس من أجل الصوت الضائع عبر الغرفة . وكان الصوت يرجو مرة بعد الأخرى .

— أرجوك يا توم . لم أعد أستطيع أن أتحمل ذلك . . .

كانت عيناها الفزعتان تنبئان بأن أى نوايا كانت تخامرها ، وأى شجاعة كانت تحسها ، قد تبددت تماماً .

قال توم : « فلتذهبا أنتما الاثنان إلى منزلنا يا ديزى . فى عربة مستر جاتسبى » .

ونظرت إلى توم — منزعجة هذه المرة — لكنه أصر فى شهامة مزدرية .

— اذهبى . . ولن يضايقك . أعتقد أنه أدرك أن مغازلته الوقحة قد وصلت إلى نهايتها .

وخرجا ، دون كلمة . . دون أن يصدر حتى عن إحساسنا بالشفقة كلمة عارضة كأنها شبح .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

وبعد لحظة وقف توم ، وبدأ يلف زجاجة الويسكى – التى لم تفتح – فى المنشفة .

– هل يريد أحد شيئاً من هذا الشراب ؟ چوردان ؟ . . . نك ؟...

فلم أجب .

سأل ثانية : « نك ؟» .

– ماذا ؟ .

– أتريد شيئاً من الشراب ؟ .

– كلا . . .لقد تذكرت لتوى أن اليوم هو عيد ميلادى . . .

كنت فى الثلاثين . وأمامى يمتد طريق العَتْمَد الجديد منذراً رهيباً . وكانت الساعة السابعة حين ركبنا السيارة (الكوبى) معاً ، وبدأنا رحلتنا نحو نيو أيلاند . ، وتوم لا يتوقف عن الكلام والضحك ، لكن صوته كان بعيداً عن چوردان وعنى كأنه صوت ضجة الطوار ، أو ضجيج الطريق العلوى فوق رؤوسنا . إن للتعاطف الإنسانى حدوده ، وكنا قد اكتفينا بأن نترك كل مناقشاتهم التراجيدية تذوى مع أضواء المدينة خلفنا ... الثلاثين ... واعدة بعقد من الوحدة ، بقائمة تتناقص لأناس أعرفهم ، ورصيد يتناقص من الحماس ، وشعر يخف . لكن چوردان كانت إلى جوارى ، وهى على عكس ديزى أحكم من أن تحمل معها أحلاماً منسية من عصر إلى عصر . وإذ عبرنا الجسر المظلم سقط وجهها الشاحب بكسل على كتف معطفى ، واختفت لطمة الثلاثين القاسية تحت ضغط يدها المطمئنة .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

وهكذا سرنا نحو الموت عبر غسق بارد .

كان اليونانى الشاب — ميخائيليس — الذى يدير المقهى المجاور لأكوام الرماد هو الشاهد الرئيسى فى التحقيق — كان قد نام تحت وقع الحرارة حتى بعد الخامسة ، حين أخذ يتمشى نحو الجراج ، ووجد چورج ويلسون فى مكتبه — مريضاً حقًّا ، شاحباً بلون شعره الشاحب ، وجسده كله يرتعش . فنصحه ميخائيليس بأن يذهب إلى فراشه ، لكن ويلسون رفض ، قائلا إنه سيعطل جانباً كبيراً من عمله لو فعل . وبينما كان جاره يحاول إقناعه انبعثت فوق رأسه ضجة عنيفة .

فسَّر له ويلسون الأمر فى هدوء : « لقد أغلقت على زوجتى هناك . وستبقى هكذا حتى بعد غد ، وعندئذ سنرحل عن هذا المكان» .

ودهش ميخائيليس ، فقد ظلوا جيراناً طيلة أربع سنوات ، ولم يبد على ويلسون أنه قادر — ولو من بعيد — على مثل هذه الأقوال . فقد كان عموماً واحداً من أولئك الرجال المنهكين : وحين لم يكن يعمل كان يجلس فوق مقعد أمام الباب ، ويحدق فى الناس والعربات التى تمر عابرة الطريق . فإذا خاطبه أحد كان دائماً يضحك بطريقة مقبولة لا لون لها . لقد كان رجل زوجته لا رجل نفسه .

وهكذا حاول ميخائيليس بالطبع أن يكتشف ما حدث . لكن ويلسون رفض أن ينبس بكلمة . . . وبدلا من هذا أخذ يلقى على زائره نظرات غريبة مستريبة ، وبدأ يسأله ماذا كان يعمل فى أوقات معينة فى أيام معينة . وحين بدأ الأخير يشعر بالضيق مر أمام الباب

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

بعض العمال متجهين إلى مطعمه . وانتهز ميخائيليس الفرصة للابتعاد ، معتزماً أن يعود فيما بعد . لكنه لم يفعل . وهو يعتقد أنه قد نسى . هذا كل ما فى الأمر . وحين خرج ثانية حوالى الساعة السابعة تذكر المناقشة عندما سمع صوت مسز ويلسون عالياً مؤنباً فى الطابق السفلى من الجراج .

سمعها تصيح : « اضربنى !! القنى على الأرض واضربنى ، أيها الجبان القذر . . . ! ! »

وبعد لحظة اندفعت فى ظلمة الغسق وهى تهز يديها وتصيح ... وقبل أن يستطيع الانتقال من أمام بابه كان الأمر قد انتهى .

ولم تتوقف « عربة الموت » كما أسمتها الصحف . فقد جاءت من الظلمة التى بدأت تتجمع واهتزت بالمأساة لحظة ، ثم اختفت عند المنحنى التالى . ولم يكن ميخائيليس واثقاً حتى من لون السيارة . . . فقد قال لأول شرطى إن لونها أخضر خفيف . . . وجاءت السيارة الأخرى — المتجهة نحو نيويورك — فوقفت على بعد مائة ياردة ، وهرع سائقها حيث كانت ميرتل ويلسون — وقد خمدت حياتها بعنف — تركع على الطريق ، وتمزج دمها الغليظ القاتم بالتراب .

وكان ميخائيليس وهذا الرجل أول من وصل إليها ، لكنهما حين مزقا قميصها — وكان ما يزال رطباً من العرق — وجدا ثديها الأيسر مدلى يتأرجح كأنه خرقة . ولم تكن هناك حاجة لأن يصغيا لدقات قلبها تحته . وكان فمها مفتوحاً حتى آخره ، ومزقاً عند جانبيه ، كأنما غصت قليلا

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

وهى تسلم تلك الحيوية الهائلة التى اختزنتها طويلا .

ورأينا السيارات الثلاث أو الأربع وذلك الازدحام ونحن لا نزال بعيداً .

قال توم : « صدام . . هذا حسن ، فسيجد ويلسون بعض العمل أخيراً » .

وأبطأ ، ولكن دون أن ينتوى الوقوف ، إلى أن اقترب ، وجعلته الوجوه الساكنة العابسة لأولئك الواقفين عند باب الجراح يدوس أوتوماتيكياً على الفرامل .

قال فى شك : « سنلقى نظرة ، نظرة فحسب » .

وشعرت عندئذ بنحيب أجوف يصدر بلا توقف عن الجراح ، صوت أخذ يتشكل ونحن نغادر السيارة (الكوبى) ونسير نحو الباب فى كلمات : « أوه ، يا إلهى ! » تتكرر مرة بعد الأخرى فى أنين لاهث .

قال توم منفعلا : « ثمة مشكلة سيئة هنا » .

وسار على أطراف أصابعه ، وأخذ يتطلع من فوق دائرة الرؤوس إلى الجراح الذى لا يضيئه سوى نور أصفر فى سلة تتأرجح من أعلى . وصدر عن حلقه صوت خشن ، وبدفعة عنيفة من ذراعيه القويتين شق طريقه إلى الأمام .

وانطبقت الدائرة ثانية ، وسرت فيها تمتمة احتجاج . ومرت دقيقة قبل أن أستطيع رؤية شىء على الإطلاق . وأخل القادمون الجدد بالصفوف وفجأة وجدتنى وچوردان قد دفعنا إلى الداخل .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

كان جسد ميرتل ويلسون – ملفوفاً فى بطانية ، ثم فى بطانية أخرى كأنما تعانى من البرد فى ذلك الليل الحار – يرقد على طاولة إلى جوار الجدار ، وتوم ينحنى فوقها بلا حراك وظهره إلينا . وإلى جواره وقف شرطى ممن يركبون دراجة بخارية يكتب أسماء فى دفتر صغير وعرقه يتصبب . وفى البداية لم أستطع أن أكتشف مصدر كلمات النحيب العالى التى تتردد صاخبة فى أنحاء الجراج العارى . . . ثم رأيت ويلسون ، يقف فوق عتبة مكتبه ، يتطوح إلى الأمام وإلى الخلف ، ويقبض على أعمدة الباب بكلتا يديه ، ورجل يتحدث إليه فى صوت منخفض ، محاولا – من وقت لآخر – أن يضع يده على كتفه ، لكن ويلسون لم يكن يسمع أو يرى ، وكانت عيناه تهبطان ببطء من الضوء المتأرجح إلى المائدة المثقلة إلى جوار الحائط ، ثم ترتد ثانية إلى الضوء ، وبلا توقف يصدر عنه نداؤه العالى الرهيب :

«أوه يا إلا – هى . ! أوه يا إلا – هى . ! أوه يا إلا – هى ! أوه يا إلا – هى ! » .

وفى هذا الوقت رفع توم رأسه فجأة ، وبعد أن حدق فى الجراج حوله بعينين زجاجيتين أخذ يغمغم بعبارات غير متماسكة إلى الشرطى .

كان الشرطى يقول « م – أ – ى – و – » .

فصحح الرجل « كلا ، م – ا – ف – ر – و» .

تمتم توم بعنف : « اصغ إلى . .» .

قال الشرطى « ر – و – » .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

« ج — » .

« ج — » . ورفع رأسه حين استقرت يد توم العريضة بحدة على كتفه « ماذا تريد يا هذا؟ » .

— ماذا حدث ؟ ... هذا ما أريد أن أعرفه . . .

— صدمتها سيارة . قُتلت لتوها . . .

ردد توم محدقاً : « قتلت لتوها » .

— لقد جرت فى الشارع . وابن الكلبة لم يوقف عربته . . . . .

قال ميخائيليس : «كانت هناك سيارتان . واحدة ذاهبة والأخرى راجعة . أفهمت ؟»

سأل الشرطى بحدة : « ذاهبة إلى أين ؟ » .

— واحدة ذاهبة فى كل اتجاه . حسناً إنها ... وارتفعت يده مشيرة نحو البطاطين ، لكنها توقفت فى منتصف الطريق ، وسقطت إلى جانبه « لقد جرت خارجة إلى هناك ، واصطدمت بها فوراً تلك القادمة من نيويورك ، وكانت تسير بسرعة ثلاثين أو أربعين ميلا فى الساعة» .

سأل الضابط : « ما اسم هذا المكان ؟ »

— ليس له اسم . . .

وخطا إلى الأمام زنجى شاحب حسن الهندام .

قال : « لقد كانت سيارة صفراء . سيارة صفراء كبيرة . جديدة. »

سأله الشرطى : « هل رأيت الحادث ؟» .

— كلا ، لكن السيارة مرت بى عند أول الشارع ، وكانت تسير

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

بسرعة تزيد على الأربعين . بسرعة خمسين أو ستين ميلا .

ـ تعال هنا حتى نأخذ اسمك . انتظر أنت ، أريد أن أحصل على اسمك .

ولا بد أن بعض كلمات هذه المناقشة قد وصلت إلى ويلسون الذى كان يتأرجح عند باب المكتب ، ففجأة وجدت فكرة جديدة صوتاً بين صيحاته اللاهثة :

ـ لست فى حاجة لأن تخبرونى أي نوع من السيارات كانت . ! أنا أعرف أى نوع من السيارات كانت . ! . . .

وكنت أرقب توم ، فرأيت حزمة عضلات كتفه تتوتر تحت معطفه . وسار مسرعاً نحو ويلسون ، ووقف أمامه ، وأمسكه بعنف من أعلى ذراعيه .

قال يهدئه فى خشونة : « عليك أن تتمالك نفسك» . . .

وسقطت عينا ويلسون فوق توم : فقام على أطراف أصابعه ، ثم كاد ينهار فوق ركبتيه ، لولا أن أوقفه توم على قدميه .

قال توم وهو يهزه قليلا : « اصغ إلى ، أنا لم أصل هنا إلا منذ دقيقة واحدة من نيويورك . وقد أحضرت لك السيارة (الكوبى) التى حدثتك عنها ، أما تلك السيارة الصفراء التى كنت أقودها ظهر اليوم فليست سيارتى . . . أتسمعنى ؟ ولم أرها بعد الظهر أبداً» .

لم يكن على مقربة منهما حتى يستطيع أن يسمع ما قال سواى والزنجى . لكن الشرطى اشتم شيئاً فى نغمة الحديث ، فنظر إلينا بعينين شرستين .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

سأل : « ما كل هذا ؟» .

فأدار توم رأسه إليه ، لكنه أبقى يديه قابضتين على جسد ويلسون : « إنى صديق له . وهو يقول إنه يعرف السيارة التى ارتكبت الحادثة . . . كانت سيارة صفراء» .

وثمة باعث غامض دفع الشرطى لأن ينظر إلى توم بارتياب.

ــ وما لون سيارتك ؟

ــ إنها سيارة زرقاء ، (كوبى) .

قلت : « لقد جئنا لتونا من نيويورك» .

وأكد بعض من كانو يسيرون خلفنا بمسافة قصيرة صحة ذلك ، فاستدار الشرطى عنا .

ــ والآن اعطنى هذا الاسم ثانية صحيحاً . . .

وأنهض توم ويلسون كأنه دمية ، وحمله إلى المكتب حيث أجلسه على مقعد ثم عاد .

قال فى لهجة آمرة : « فليحضر أحد إلى هنا ويجلس معه» .

وظل يرقب الرجلين اللذين يقفان قرب ويلسون وكل منهما ينظر إلى الآخر ، ثم وهما يدخلان الغرفة على مضض . وأغلق توم الباب عليهم ، وهبط الدرجة الوحيدة ، وعيناه تتجنب المائدة . وإذ مر إلى جوارى همس : « فلنخرج» .

وفى ارتباك ، وذراعاه الآمرتان تشقان الطريق ، اندفعنا عبر الحشد الذى ما زال يتجمع ، ومررنا بطبيب ــ يحمل حقيبته فى يده ــ وكان

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

قد استدعى على عجل بأمل باهت منذ نصف ساعة .

وقاد توم السيارة ببطء حتى اجتزنا المنحنى — ثم هبطت قدمه بشدة ، واندفعت السيارة مسرعة عبر الليل . وبعد قليل سمعت انتحابة خفيضة خشنة ، ورأيت الدموع تفيض فوق وجهه .

قال وهو ينشج : « الجبان الملعون . إنه حتى لم يوقف عربته» .

طفا بيت آل بوكانان نحونا فجأة عبر الأشجار المعتمة ذات الحفيف. وتوقف توم أمام السقيفة ، ونظر إلى الطابق الثانى ، حيث كانت نافذتان تزدهران بالضياء بين عرائش الكروم .

قال : « لقد عادت ديزى » ، وإذ خرجنا من السيارة نظر إلىّ ثم قطب قليلا .

— كان يجب آن أتركك فى وست إيج يا نك . فليس هناك ما نصنعه الليلة .

كان ثمة تغير قد ألم به ، وكان يتكلم برصانة وحسم ، وعندما سرنا عبر حصى ضياء القمر نفض يده من الأمر كله ببضع عبارات سريعة .

— سأطلب سيارة أجرة بالتليفون لتأخذك إلى منزلك . ومن الأفضل أن تذهب أنت وچوردان ، أثناء الانتظار ، إلى المطبخ لتتناولا بعض العشاء . . . إذا كنتما تريدان » . وفتح الباب .

— هلما إلى الداخل .

— كلا أشكرك . لكن سيسعدنى أن تأمر بسيارة الأجرة . وسأنتظر فى الخارج .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

فوضعت چوردان يدها على ذراعى .

ــ ألن تدخل يا نك ؟

ــ كلا أشكرك . . .

كنت أشعر بالغثيان قليلا ، وكنت أريد أن أكون وحدى . لكن چوردان تمهلت لحظة أخرى .

قالت : « الساعة لا تزال التاسعة والنصف» .

اللعنة علىّ إذا ذهبت . لقد تحملت ما يكفينى منهم ليومى هذا ، وفجأة كان هذا الشعور يشمل چوردان أيضاً . ولا بد أنها رأت شيئاً من ذلك على وجهى ، إذ استدارت فجأة ، وصعدت راكضة درجات السقيفة حتى دخلت المنزل . وجلست بضع دقائق ورأسى بين يدى ، حتى سمعت صوت التليفون وهو يرفع فى الداخل ، ثم صوت الخادم وهو يستدعى سيارة أجرة . وعندئذ سرت ببطء هابطاً الممر مبتعداً عن المنزل ، وقد عزمت على الانتظار أمام البوابة .

ولم أكن قد سرت عشرين ياردة حين سمعت اسمى ، وخطا جاتسبى إلى الممر من بين شجرتين ، ولا بد أنى كنت مأخوذاً ، إذ لم أكن أستطيع أن أفكر فى شىء إلا فى لمعة حلته الوردية تحت ضوء القمر .

سألته : « ماذا تفعل ؟ » .

ــ أقف هنا فحسب أيها الصديق العجوز . . .

وبصورة ما بدا ذلك عملا دنيئاً . وكأنه سيسرق المنزل بعد لحظة .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

ولم يكن ليدهشنى أن أرى وجوهاً شريرة – وجوه رجال ولفشايم – وسط الشجيرات المظلمة خلفه .

سأل بعد لحظة : « هل رأيتم أية مشكلة فى الطريق ؟ » .

– نعم .

فتردد . . . .

– هل قتلت ؟

– نعم . . . .

– هذا ما ظننت . قلت لديزى إن هذا ما ظننته . فقد كان من الأفضل أن أصارحها بالصدمة مرة واحدة . ولقد تحملتها جيداً . . .

كان يتحدث وكأن رد فعل ديزى هو الشىء الوحيد الذى يهم .

ومضى يقول : « ذهبت إلى ويست إيج عن طريق جانبى ، وتركت السيارة فى الجراج . ولا أعتقد أن أحداً قد رآنا ، لكنى لست واثقاً بالطبع » .

كنت فى هذا الوقت أكرهه إلى حد أنى لم أجد من الضرورى أن أخبره بأنه كان على خطأ .

سألنى : « من كانت المرأة ؟ » .

– كان اسمها ويلسون وزوجها يمتلك الجراج . كيف حدث هذا بحق الشيطان ؟ . . . .

فانفجر قائلا : « حسناً . لقد حاولت أن أدير عجلة القيادة – » .

وتوقف ، وفجأة تبينت الحقيقة .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

ـ أكانت ديزى هى التى تقود ؟ .

قال بعد لحظة : « نعم . لكنى بالطبع سأقول إنى كنت أقود . فعندما غادرنا نيويورك كانت عصبية للغاية ، وظنت أن قيادة السيارة قد تهدئها . . . واندفعت هذه المرأة خارجة فى نفس الوقت الذى كنا نعبر فيه سيارة قادمة من الناحية الأخرى . حدث كل شىء فى دقيقة واحدة . ولكن بدا لى أنها أرادت أن تحدثنا ، وأنها ظنت أننا أناس تعرفهم . حسناً ، فى البداية استدارت ديزى مبتعدة عن المرأة نحو السيارة الأخرى ، ثم فقدت أعصابها واستدارت راجعة . وفى اللحظة التى لمست فيها يداى عجلة القيادة شعرتْ بالصدمة . . . ولا بد أنها قتلتها لتوها . .

ـ لقد مزقتها تماماً ـ .

فأجفل قائلا : « لا تخبرنى أيها الصديق العجوز . وعلى أى حال فقد سارت ديزى فوقها ، وحاولت أن أجعلها تقف لكنها لم تستطع ، وهكذا جذبت فرملة الطوارئ ، فسقطت فى حجرى ، وقدت أنا السيارة»

ثم قال : « ستكون على خير حال غداً . وسأنتظر أنا هنا لأرى ما إذا كان سيحاول أن يضايقها بشأن تلك الأشياء الكريهة التى حدثت بعد الظهر . لقد أغلقت عليها حجرتها ، فإذا حاول أن يتصرف معها بوحشية فستطفئ النور وتضيئه ثانية » .

قلت : « لن يلمسها ، فإنه لا يفكر فيها الآن» .

ـ أنا لا أثق به أيها الصديق العجوز .

ـ حسناً إذا كنت ترى هذا ضرورياً . وعلى أى حال يمكنك

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

أن تبقى حتى يأويا إلى فراشهما .

وخطرت لى وجهة نظر أخرى . فلنفترض أن توم قد اكتشف أن ديزى هى التى كانت تقود السيارة . قد يرى فى ذلك شيئاً — قد يظن أى شىء . ونظرت إلى المنزل . كانت هناك نافذتان أو ثلاث مضاءة فى الطابق السفلى ، والوهج الوردى ينبعث من غرفة ديزى فى الطابق الثانى .

قلت: « انتظرنى هنا ، وسأرى ما إذا كانت هناك أية أمارة اضطراب».

وسرت راجعاً فوق طرف الحشائش ، وعبرت الحصى بهدوء ، وصعدت درجات الشرفة على أطراف أصابعى . كانت ستائر حجرة الجلوس مفتوحة ، ورأيت الغرفة خالية . وعندما عبرت السقيفة التى تناولنا فيها العشاء تلك الليلة من ليالى يونية منذ ثلاثة شهور وجدت مستطيلا صغيراً من الضياء خمنت أنه نافذة غرفة الكرار . وكانت الستارة مدلاة ، لكنى وجدت شقًّا فى قاعدة النافذة .

كانت ديزى وتوم يجلسان متقابلين أمام مائدة المطبخ ، وبينهما طبق من الدجاج المحمر البارد وزجاجتان من الجعة . كان يخاطبها بحمية عبر المائدة . وفى حماسة سقطت يده فغطت يدها . وبين فترة وأخرى كانت تنظر إليه ، وتومئ برأسها موافقة .

لم يكونا سعيدين ، ولم يلمس أحد منهما الدجاج أو الجعة — بيد أنهما كذلك لم يكونا شقيين . كان فى المشهد جو من التقارب الطبيعى لا يمكنك أن تخطئه، حتى ليظن من يشاهدهما أنهما يتآمران معاً .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

وعندما ابتعدت عن السقيفة على أطراف أصابعى سمعت سيارة الأجرة تتحسس طريقها عبر الشارع المظلم نحو البيت . وكان جاتسى ينتظر حيث تركته .

سأل بقلق : « أكل شىء هادئ هناك ؟ » .

قلت متردداً : «نعم ، كل شىء هادئ. من الأفضل أن تعود إلى بيتك وتنال بعض الراحة» . فهز رأسه .

ــ أريد أن أنتظر هنا حتى تذهب ديزى إلى فراشها . أسعدت مساء أيها الصديق العجوز .

ووضع يديه فى جيبى معطفه ، واستدار بحماس يراقب المنزل ، كأنما وجودى يدنس قداسة يقظته . فسرت مبتعداً ، وتركته واقفاً هناك فى ضوء القمر . . . . يراقب لا شىء .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

الفصل الثامن

لم أستطع النوم طيلة الليل ، وثمة بوق يدوى على الدوام فى الخليج دون توقف ، وأنا أتقلب نصف مريض بين الواقع المرعب وبين أحلام وحشية مفزعة . وقرب الفجر سمعت سيارة أجرة تصعد ممر جاتسبى ، فقفزت من فراشى فوراً وبدأت أرتدى ثيابى ، شعرت أنى أريد أن أقول له شيئاً ، أن أحذره من شىء ، وأنه فى الصباح سيكون الوقت قد فات .

وعندما عبرت حديقته رأيت الباب الأمامى لا يزال مفتوحاً ، وهو يميل فوق مائدة فى البهو وقد أثقله الحزن أو النوم .

قال فى وهن : «لم يحدث شىء . لقد انتظرت . وحوالى الساعة الرابعة جاءت إلى النافذة ووقفت هناك دقيقة ثم أطفأت النور» .

ولم يبد لى منزله أبداً بالضخامة التى بدا عليها تلك الليلة ونحن نقلب الحجرات الكبيرة بحثاً عن سجائر . نحينا جانباً ستائر بدت كالسرادقات ، وتعثرنا فى مساحات لا تحصى من الجدران المظلمة بحثاً عن مفاتيح النور . وسقطت مرة فوق أصابع بيانو ضخم ، وفى كل مكان كانت هناك كميات من الغبار لا تفسير لوجودها . والحجرات عفنة كأن هواءها لم يتغير منذ أيام . ووجدت صندوق سيجار فوق مائدة غير مألوفة وبه سيجارتان جافتان قديمتان . وفتحنا نوافذ حجرة الجلوس الفرنسية وجلسنا ندخن فى الظلام .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

قلت : « يجب أن ترحل بعيداً . فمن المؤكد أنهم سيتتبعون سيارتك »

– أرحل الآن أيها الصديق العجوز ؟ .

– ارحل أسبوعاً إلى أتلانتيك سيتى أو إلى مونتريال .

ورفض أن يفكر فى الأمر . فما كان يستطيع أن يغادر ديزى حتى يعرف ماذا ستفعل . لقد كان يتعلق بأمل أخير ، وما كنت لأطيق أن أنفض عنه هذا الأمل .

وفى تلك الليلة قص على قصة شبابه الغريبة مع دان كودى – قصها على لأن « جاى جاتسبى » كان قد تحطم كالزجاج أمام خبث توم الجاف . وانتهت الأعجوبة الطويلة الخفية . وأعتقد أنه كان مستعداً لأن يعترف بأى شىء الآن دون تحفظ . لكنه كان يريد أن يتحدث عن ديزى .

كانت أول فتاة « طيبة » يعرفها . وكان قد احتك بمثل هؤلاء الناس فى صور مختلفة ، ولكن ظل بينه وبينهم دائماً سلك شائك غير ملموس . ووجدها مرغوبة مثيرة . وذهب إلى منزلها مع بعض الضباط الآخرين فى البداية ، ثم وحده بعد ذلك . وأذهله البيت . . .فلم يدخل من قبل بيتاً بمثل هذا الجمال . لكن ما كان يضفى على البيت ، طابع جمال يقطع الأنفاس ، هو أن ديزى كانت تعيش فيه . . . كان يبدو بالنسبة لها أمراً عارضاً كما تبدو له خيمته فى المعسكر . كان ثمة سر ناضج يحيط به ، إشارة إلى حجرات نوم أكثر لطفاً من سائر حجرات النوم ، ونشاطات بهيجة مشرقة تحدث فى أبهائه ، وأقاصيص لم تتعفن وترقد

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

بالفعل بين زهور اللاڤندر بل تبدو ناضرة حية تعبق بسيارات ذلك العام اللامعة ، ورقصات لم تكد زهورها تذبل . وأثاره أيضاً أن رجالاً كثيرين قد أحبوا ديزى . . . فقد زاد هذا من قيمتها فى عينيه . وكان يشعر بوجودهم فى كل أنحاء المنزل ، يملأون الجو بظلالهم ، وبصدى عواطف ما زالت ترتعش .

لكنه كان يعرف أنه دخل منزل ديزى نتيجة مصادفة هائلة . ومهما كان مستقبله مجيداً كجاى جاتسبى فقد كان فى ذلك الحين فتى مفلساً بلا ماض ، وفى أية لحظة كان يمكن لعباءة زيه العسكرى الخفية أن تنزلق من فوق كتفيه . وهكذا حاول أن يستفيد من الوقت بأقصى ما يمكنه . فأخذ كل ما يستطيع الحصول عليه فى ضراوة وبلا تحرج . . . وفى النهاية نال ديزى ذات ليلة هادئة فى أكتوبر ، نالها إذ لم يكن من حقه أن يلمس يدها .

وكان يمكن أن يحتقر نفسه ، لأنه قد نالها بالتأكيد تحت مظاهر زائفة ، ولا أعنى أنه قد ادعى لنفسه ملايين وهمية ، لكنه أعطى ديزى عن عمد شعوراً بالطمأنينة ، تركها تعتقد أنه شخص من نفس فئتها الاجتماعية . . . وأنه قادر تماماً على أن يعتنى بها . ولم يكن فى واقع الأمر قادراً على ذلك . . . فما كان وراءه وضع عائلى مريح ، وكان معرضاً أمام أية نزوة حكومية لأن يطوح به فى أى مكان فى العالم .

لكنه لم يحتقر نفسه ، ولم ينته الأمر كما تصور . ربما كان قد انتوى أن يأخذ كل ما يحصل عليه ثم يذهب . . . لكنه أدرك الآن

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

أنه قد حكم على نفسه بأن يظل يبحث عن الكأس المقدسة ، كان يعرف أن ديزى ليست فتاة عادية ، لكنه لم يدرك إلى أى حد يمكن أن تكون الفتاة « الطيبة» غير عادية . لقد غابت فى منزلها الثرى ، غابت فى حياتها الثرية المليئة ، تاركة لجاتسبى . . .لا شىء . كل ما فى الأمر أنه كان يحس بأنه قد تزوجها .

وحين التقيا ثانية بعد ذلك بيومين ، كان جاتسبى هو المتقطع الأنفاس ، كان هو الذى يشعر إلى حد ما بأنها قد تخلت عنه . كانت سقيفتها تلتمع بإشراقة نجوم دفعوا ثمنها ، وكان قش المقعد يصر فى ترف وهى تستدير نحوه ، وقبل فمها الحلو الغريب . كانت قد أصيبت بالبرد ، وأصبح صوتها أشد بحة وأكثر سحراً عن ذى قبل . وبشعور طاغ أحس جاتسبى بالشباب والغموض الذى تأسره الثروة وتحتفظ به ، بنضارة الثياب الوفيرة ، وبديزى تلتمع كالفضة سالمة معتزة تعلو فوق كل صراعات الفقراء الحامية .

ــ ولا أستطيع أن أصف لك أيها الصديق العجوز مدى الدهشة التى شعرت بها وأنا أكتشف أنى أحبها . بل لقد أملت لبعض الوقت أن تتخلى هى عنى ، لكنها لم تفعل ، فقد كانت تحبنى هى أيضًا . كانت تظن أنى أعرف الكثير لأنى كنت أعرف أشياء تختلف عما تعرفه . حسناً ، ها أنذا بعيد عن طريق مطامحى ، أزداد حباً مع كل دقيقة ، وفجأة لم أعد أبالى ، فما فائدة أن أفعل أشياء عظيمة إذا كنت أستطيع أن أقضى وقتاً أفضل محدثاً إياها عما سأفعل ؟ .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

وفى آخر أمسية قبل أن يسافر إلى الخارج جلس وديزى بين ذراعيه فترة طويلة ساكنة . كان يوما بارداً ، والنار تشتعل فى الغرفة ، وخداها يتوهجان . ومن وقت لآخر كانت تتحرك ، ويغير هو وضع ذراعه قايلا . ، وذات مرة قبل شعرها الأسود اللامع . كانت الأمسية قد أعادت لهما الهدوء فترة ، كأنما لتترك لهما ذكرى عميقة للفراق الطويل الذى يعد به الغد . وطيلة شهر الحب الذى قضياه معاً لم يحسا بمثل هذا الالتصاق أو هذا التفاهم العميق الذى أحسا به وهى تمسح شفتيها الصامتتين فى كتف معطفه ، أو وهو يلمس أطراف أصابعها برقة كأنها نائمة .

وخاض الحرب ببطولة نادرة . وكان فى رتبة النقيب حين ذهب إلى الجبهة ، وبعد معارك أرجون حصل على رتبة الرائد وقيادة كتيبة مدفعية . وبعد الهدنة حاول بجنون أن يعود إلى الوطن ، لكن بعض التعقيدات أو سوء الفهم أرسلته بدلا من ذلك إلى أكسفورد . كان قد بدأ يشعر بالقلق . . . فثمة رنة من اليأس العصبى فى خطابات ديزى . إذ لم تكن تفهم لماذا لا يستطيع العودة . وكانت تشعر بضغط العالم الخارجى ، وتريد أن تراه وتشعر بوجوده إلى جانبها ، وتطمئن إلى أنها تتصرف التصرف الصحيح .

فلقد كانت ديزى شابة ، وكان عالمها المصطنع يعبق بزهور الأوركيد ، وبالسخافات البهيجة اللطيفة ، وفرق الأوركسترا تعزف ألحان العام التى تجمع أحزان ووعود الحياة فى نغمات جديدة . وطيلة الليل كانت الساكسافونات تنوح يائسة بنغمات « لحن شارع بيل» ، ومئات الأزواج

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

من الأحذية الذهبية والفضية تثير الغبار اللامع . وفى ساعة الشاى الشاحبة كانت هناك دائماً قاعات تنبض بحمى خفيضة حلوة ، بينما تنتقل وجوه نضرة هنا وهناك كأنها بتلات زهور تلقى بها الكؤوس الحزينة فوق أرض الحجرات .

ومع إشراقة الوجود هذه بدأت ديزى تتحرك من جديد مع الزمن ، وفجأة أخذت ترتبط ثانية بعديد من المواعيد مع عديد من الرجال ، وتغنو نائمة عند الفجر وقد تشابكت حبات عقودها وشيفون رداء سهرتها مع زهور الأوركيد الذابلة فوق الأرض إلى جوار فراشها . وطيلة الوقت كان داخلها شىء يصرخ مطالباً بالحسم . كانت تريد الآن أن تشكل حياتها ، فوراً ، ولا بد أن يتم الحسم بفعل قوة قريبة من متناول يدها . . قوة الحب أو المال أو الحلول التى لا شك فى عمليتها .

وأخذت هذه القوة شكلها فى منتصف الربيع مع وصول توم بوكانان . كان فى شخصه ومركزه ضخامة مهيبة ، الأمر الذى أعجب ديزى . ولا شك أنها قد عانت بعض الصراع ، وأحست ببعض الارتياح . ووصلت الرسالة إلى جاتسبى وهو ما زال فى أكسفورد .

* * *

كان الفجر قد هبط على لونج آيلاند ، وسرنا حولنا نفتح بقية النوافذ فى الطابق السفلى ، فتملأ البيت بضياء رمادية وذهبية . وسقط ظل شجرة عبر قطرات الندى ، وبدأت طيور ضخمة تغرد بين أوراق الأشجار الخضراء . والهواء يمتلئ بحركة لطيفة لا تكاد تصبح ريحاً ،

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

واعدة بيوم جميل بارد .

واستدار إلى جاتسبى وهو واقف أمام النافذة ونظر لى بتحد : « لا أعتقد أنها أحبته أبداً . ويجب أن تذكر أيها الصديق العجوز أنها كانت مستثارة جداً بعد ظهر اليوم . فقد قال لها تلك الأشياء بطريقة أفزعتها . . . بطريقة جعلتنى أبدو محتالا رخيصاً . وكانت النتيجة أنها لم تكن تدرى ما تقوله»

وجلس فى اكتئاب .

— وبالطبع قد تكون أحبته مجرد دقيقة ، فى بداية زواجهما — وأحبتنى أكثر حتى فى ذلك الحين . ألا ترى ذلك ؟ .

وفجأة انفجر بملاحظة غريبة .

— وعلى أى حال فقد كان أمراً شخصياً محضاً .

ماذا كنت تفهم من ذلك ، إلا أن تحس بحدة تصوره للأمر ، حدة تستعصى على كل قياس .

وعاد من فرنسا ولا زال توم وديزى فى رحلة زواجهما ، وقام برحلة يائسة محتومة إلى لويزفيل بآخر ما تبقى لديه من أجره فى الجيش . وظل هناك أسبوعاً ، يسير فى الشوارع التى دقت فيها أقدامهما فى ليالى نوفمبر ، ويزور من جديد الأماكن المنزوية التى سارا فيها بسيارتها البيضاء. وتماماً كما كان منزل ديزى يبدو له دائما أكثر غموضاً وبهجة من أى منزل آخر ، فقد سيطر على صورته للمدينة — رغم أنها قد غادرتها — جمال حزين .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

وغادر المدينة وهو يشعرأنه لو أجهد نفسه أكثر فى البحث لوجدها . . . غادرها وهو يشعر أنه يتركها خلفه . وكانت المركبة حارة — وقد كان الآن معدماً — فمضى إلى الممر المكشوف وجلس فى مقعد من المقاعد التى تطوى . وانزلقت المحطة ، وتحركت أمامه ظهور مبان لا يعرفها . وفى حقول الربيع سارت دقيقة إلى جواره عربة ترولى صفراء تحمل أناساً ربما رأوا ذات مرة سحر وجهها الشاحب فى أحد الشوارع .

واستدارت العربة ، وسارت مبتعدة عن الشمس التى بدت وهى تنحدر كأنما تنشر بركاتها فوق المدينة الغائبة التى كانت ديزى تتنفس هواءها . ومد يده فى يأس كأنما يريد أن يختطف ولو قبضة هواء ، وأن يحتفظ ببقية من تلك البقعة التى جعلتها تبدو جميلة أمامه . لكن كل شىء كان يمر الآن بسرعة أمام عينيه الذاهلتين ، وأدرك أنه قد فقد هذا الجانب — الأنضر والأفضل — إلى الأبد .

كانت الساعة قد وصلت التاسعة حين انتهينا من إفطارنا وخرجنا إلى السقيفة . وكان الليل قد غير الجو تماماً ، واكتسب الهواء مذاقاً خريفيًّا . وجاء البستانى — آخر من بقى من خدم جاتسبى القدامى — إلى أسفل الدرج .

— سأجفف حوض السباحة اليوم يا مستر جاتسبى . فستبدأ الأوراق فى التساقط قريباً وتسد الأنابيب .

أجاب جاتسبى : « أجل ذلك اليوم » . واستدار نحوى معتذراً : « أتعرف أيها الصديق العزيز أنى لم أستخدم الحوض طيلة الصيف ؟» .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

ونظرت إلى ساعتى ووقفت .

ـ بقيت اثنتا عشرة دقيقة على قيام قطارى .

ولم أكن أريد أن أذهب إلى المدينة . لكن الأمر كان أكثر من ذلك . . . لم أكن أريد أن أغادر جاتسبى . فتركت هذا القطار ، ثم القطار التالى له قبل أن أستطيع الذهاب .

وأخيراً قلت : « سأتصل بك بالتليفون » .

ـ افعل أيها الصديق العجوز .

ـ سأتصل بك عند الظهر .

وهبطنا الدرجات ببطء .

ـ أعتقد أن ديزى ستتصل بى أيضاً . ونظر إلىّ بقلق كأنه يأمل أن أؤيد قوله .

ـ أعتقد هذا .

ـ حسناً ، وداعاً .

وتصافحنا ، وبدأت السير . وقبل أن أصل إلى السور تذكرت شيئاً واستدرت نحوه .

صحت عبر الحديقة : « إنهم جماعة لعينة . أنت تساوى تلك الحفنة اللعينة كلها معاً » .

ولقد سرنى دائما أنى قلت هذا . كان هو الثناء الوحيد الذى وجهته إليه ، لأنى رفضته من البداية إلى النهاية . وفى البداية أومأ لى برأسه فى أدب ، ثم أشرق وجهه بتلك الابتسامة المشعة المتعاطفة ، كأنما كنا

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

نتحدث فى نشوة مشتركة عن تلك الحقيقة طيلة الوقت ، وحلته الوردية الفخمة تقف كنقطة لون براقة فى مواجهة الدرجات البيضاء ، لكنى فكرت فى الليلة التى جئت فيها هذا البيت العتيق منذ ثلاثة شهور . كانت الحديقة والممر يمتلئان بوجوه أولئك الذين يتهامسون عن فساده . . . وهو يقف فوق هذه الدرجات يخفى حلمه الذى لا يتطرق إليه الفساد ، ويلوح لهم مودعاً .

وشكرته على كرم ضيافته . لقد كنا دائماً نشكره على ذلك — أنا والآخرون . قلت له : « وداعاً ، لقد استمتعت بالإفطار يا جاتسى » .

* * *

وهناك فى المدينة حاولت بعض الوقت أن أسجل أرقام عدد لا ينتهى من الأسهم ، ثم نمت فوق مقعدى الدوار . وقبل الظهر تماماً أيقظنى التليفون ، فقمت مفزوعاً والعرق يتصبب من جبهتى . كانت چوردان بيكر . وكثيراً ما كانت تتصل بى فى مثل هذا الوقت ، لأن حركتها الدائبة بين الفنادق والنوادى والمنازل الخاصة كانت تجعل من الصعب الاتصال بها بأية طريقة أخرى . وكان صوتها يصلنى عادة ناضراً بارداً كأنه حشائش ملاعب الجولف الخضراء جاءت سابحة إلى نافذة الحجرة . لكنه بدا هذا الصباح جافًّا قاسياً .

قالت : « لقد تركت منزل ديزى وأنا الآن فى هامبستيد ، وسأسافر إلى سوثامبتون بعد الظهر » . . . وربما كان طيباً منها أن تغادر منزل ديزى ، لكن عملها هذا ضايقنى ، وجعلتنى ملاحظتها التالية ألتفت منتبها .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

– لم تكن طيباً معى فى الليلة الماضية .

– أكان لهذا أهمية فى ذلك الحين .

لحظة سكون . ثم :

– وعلى أى حال – أريد أن أراك . . .

– وأنا الآخر أريد أن أراك . . .

– ماذا لو أننى لم أذهب إلى سوثامبتون وجئت إلى المدينة بعد الظهر؟.

– كلا – لا أظن بعد ظهر اليوم .

– حسن جداً .

– هذا مستحيل بعد ظهر اليوم . فمختلف . . .

وتحدثنا أية فترة ما . ولا أعرف من منا الذى وضع السماعة بحدة ، لكنى أعرف أن هذا لم يكن ليهمنى . فما كان فى وسعى أن أخاطبها عبر مائدة شاى هذا اليوم ولو ترتب على ذلك ألا أراها ثانية فى هذا العالم .

وطلبت منزل جاتسبى بعد ذلك ببضع دقائق ، لكن الخط كان مشغولا . وحاولت أربع مرات ، وأخيراً قالت لى عاملة سنترال حانقة إن الخط قد ترك مفتوحاً فى انتظار مكالمة خارجية من ديترويت . فأخرجت جدول مواعيدى ورسمت دائرة صغيرة حول قطار الثالثة والنصف . ثم ملت فوق مقعدى وحاولت أن أفكر . وكان ذلك عند الظهر تماماً .

حين مررت بالقطار هذا الصباح عند كوم الرماد انتقلت عن عمد إلى الجانب الآخر من العربة . وأعتقد أنه كان هناك حشد غريب

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

طيلة اليوم ، وأطفال صغار يبحثون عن البقع السوداء فى الغبار ، وبعض الرجال الثرثارين يقصون ما حدث مرة بعد الأخرى ، حتى يصبح بالنسبة لهم أنفسهم أقل فأقل واقعية ، فلا يعودون قادرين على حكايته ، وتنسى مأساة ميرتل ويلسون . والآن أريد أن أعود إلى الخلف قليلا لأحكى ما حدث فى الجراج بعد أن غادرناه فى الليلة الماضية .

كان من الصعب أن يجدوا شقيقتها كاترين . ولا بد أنها كانت قد خرقت قاعدتها فى عدم تناول شراب ، فحين وصلت كانت رأسها تدور بالشراب ، ولم تستطع أن تفهم أن عربة الإسعاف قد ذهبت فعلا إلى فلاشنج . وحين أقنعوها بذلك أغمى عليها لتوها كأنما هذا هو الجانب الذى لا يمكن تحمله من الموضوع . فأخذها شخص ما — فضولى أو رحيم — فى سيارته ، وسار بها فى إثر جسد أختها .

وحتى بعد منتصف الليل بوقت طويل ظلت جماعة من الناس تتوافد أمام الجراج بينما جورج ويلسون يتحرك ذهاباً وجيئة فوق الأريكة فى الداخل . وفتح باب الجراج لحظة، وأخذ كل من جاء إلى الداخل يقلب نظره فى أنحاء الجراج . وأخيراً قال أحد الناس إن هذا عار وأغلق الباب . وبقى ميخائيليس وبعض الرجال الآخرين معه ، كانوا فى البداية أربعة أو خمسة رجال ثم اثنين أو ثلاثة فيما بعد . وبعد فترة اضطر ميخائيليس أن يسأل آخر الرجال الانتظار خمس عشرة دقيقة أخرى حتى يذهب إلى محله ويعد قدحاً من القهوة . وبعد ذلك بقى

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

وحده مع ويلسون حتى الفجر .

وبعد الثالثة صباحاً تغيرت تمتمة ويلسون المتقطعة . . . وأصبح أكثر هدوءاً ، وبدأ يتكلم عن السيارة الصفراء . وأعلن أن لديه طريقة لاكتشاف مالك السيارة الصفراء ، ثم تمتم قائلا إن زوجته قد عادت من المدينة منذ شهرين بوجه مجروح وأنف متورم .

لكنه حين سمع نفسه يقول هذا أجفل وبدأ يصيح ثانية : « أوه ، يا إلهى ! » بصوته الباكى . وقام ميخائيليس بمحاولة نجة ليصرف أنظاره عن الموضوع .

– كم بقيتما متزوجين يا ويلسون ؟ تعال هنا ، حاول أن تجلس ساكناً دقيقة وتجيب على سؤالى . كم بقيتما متزوجين ؟ .

– اثنى عشر عاماً .

– هل أنجبتما أطفالا ؟ تعال هنا ، اجلس ساكناً – لقد سألتك سؤالا . هل أنجبتما أطفالا ؟ . . .

وظلت الخنافس القاتمة تتخبط فى الضوء المعتم ، وكلما سمع ميخائيليس صوت سيارة تقطع الطريق فى الخارج بدا له الصوت شبيهاً بصوت السيارة التى لم تتوقف منذ بضع ساعات . ولم يكن يحب أن يدخل الجراچ لأن طاولة العمل كانت ملطخة حيث كان الجسد يرقد ، فأخذ يتحرك قلقاً داخل المكتب – حتى لقد أصبح يعرف كل ما فيه عندما جاء الصباح – ويجلس من حين لآخر إلى جوار ويلسون محاولا أن يهدئه .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

– هل لك كنيسة تذهب إليها فى بعض الأحيان ؟ حتى ولم تكن قد ذهبت إلى هناك منذ فترة طويلة ؟ ربما استطعت أن أتصل بالكنيسة وأطلب من أحد الكهنة أن يحضر ليراك ؟

– لا أنتمى إلى أية كنيسة ! .

– يجب أن تكون لك كنيسة يا جورج من أجل أوقات كهذه . لا بد أنك ذهبت إلى كنيسة ذات مرة . ألم تتزوج فى كنيسة ؟ اصغ إلى يا جورج ، اصغ إلى . ألم تتزوج فى كنيسة ؟ .

– كان هذا منذ وقت طويل مضى . . . .

وقطع الجهد الذى بذله للإجابة إيقاع حركته فوق الأريكة . . . وظل صامتاً لحظة . ثم عادت إلى عينيه الذابلتين من جديد نفس النظرة نصف المدركة ، نصف الملتاثة .

قال مشيراً إلى المكتب : « انظر فى ذلك الدرج هناك» .

– أى درج ؟

– الدرج – هذا الدرج .

وفتح ميخائيليس الدرج القريب من يده . ولم يكن به شىء سوى مقود كلب غال مصنوع من الجلد ومحلى بالفضة . كان واضحاً أنه جديد .

سأله وهو يمسكه : « هذا ؟» .

فحملق ويلسون وأومأ برأسه .

– وجدته بعد ظهر أمس . وحاولت أن تقص على قصته لكنى

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

علمت أنه شيء غريب . . . .

– أتعنى أن زوجتك قد اشترته ؟ .

– لقد كان ملفوفاً فى ورق سلوفان فوق مكتبها . . . .

ولم ير ميخائيليس فى ذلك شيئاً غريباً ، وقدم ويلسون عشرات الأسباب التى قد تفسر شراء زوجته لمقود الكلب . لكن من الواضح أن ويلسون كان قد سمع نفس هذه التفسيرات من قبل – من ميرتيل - لأنه بدأ يقول : « أوه ، يا إلهى ! » ثانية فى همس . . فتوقف مواسيه عن ذكر عدد آخر من التفسيرات . قال ويلسون : « ثم قتلها . » وتدلى فمه مفتوحاً فجأة .

– من فعل ذلك ؟

– عندى طريقة لمعرفته .

قال صديقه : « أنت فظيع يا جورج . لقد آلمك هذا الأمر حتى لم تعد تعرف ما تقول . من الأفضل أن تحاول الجلوس فى هدوء حتى الصباح » .

– لقد قتلها .

– لقد كانت حادثة يا جورج .

فهز ويلسون رأسه نفيا . وضاقت عيناه واتسع فمه قليلا مع شبح « هم . . » متعالية .

قال بحسم : « إنى أعرف . أنا واحد من الناس الطيبين الذين لا يضمرون شراً لأحد . لكنى حين أصمم على معرفة شيء فلا بد

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

أن أعرفه . لقد قتلها الرجل الذى كان بالعربة . لقد جرت لتتحدث إليه لكنه لم يتوقف» .

كان ميخائيليس قد رأى هذا أيضاً ، وإنما لم يخطر له أن يعلق عليه أية دلالة خاصة . وكان يعتقد أن مسز ويلسون كانت تجرى من زوجها ولم تكن تحاول أن توقف سيارة معينة .

ـ كيف يمكن أن تكون كذلك ؟ .

قال ويلسون كأنه يجيب على السؤال : « إنها عميقة . . . أه ـ ٥ ـ ٥ ـ » .

وبدأ يتحرك ثانية ، ووقف ويلسون يلوى المقود فى يده .

ـ ربما كان لك صديق أستطيع أن أتصل به بالتليفون يا جورج ؟

كان هذا أملا بعيداً ـ لقد كان شبه واثق من أن ويلسون ليس له صديق ، فهو لم يكن يكفى حتى زوجته . وأسعده بعد ذلك بقليل أن يلحظ تغيراً فى الغرفة ، ضوءاً يسرع عند النافذة ، وأدرك أن الفجر لم يعد بعيداً . وحوالى الساعة الخامسة كانت الدنيا مضيئة بما يكفى لإطفاء النور .

واستدارت عينا ويلسون الملتهبتان نحو أكوام الرماد ، حيث أخذت سحابات رمادية صغيرة تتخذ أشكالا غريبة ، وتفر هنا وهناك أمام رياح الفجر الواهنة .

تمتم بعد لحظة صمت طويلة : « لقد تحدثت إليها . قلت لها : إنها قد تستطيع أن تستغفلنى ، لكنها لن تستطيع أن تستغفل الرب . وأخذتها إلى النافذة . . . ووقف بجهد ، وسار نحو النافذة الخلفية ، وانحنى

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

نحوها وضغط وجهه إليها : وقلت : « الله يعرف ماذا كنت تفعلين ، كل ما كنت تفعلين . قد تستغفلينني لكنك لن تستطيعي أن تستغفلي الرب» .

كان ميخائيليس يقف وراءه . ورأى مذهولا أنه كان ينظر إلى عيني الدكتور ت . ج . أكلبورج ، التي انبعثت لتوها — شاحبة هائلة — من تحت رداء الليل .

ردد ويلسون : « الله يرى كل شيء » .

فأكد له ميخائيليس : « هذا إعلان» . وجعله أمر ما يستدير عن النافذة ويدور ببصره إلى داخل الغرفة . لكن ويلسون ظل واقفاً هناك فترة طويلة ، ووجهه ملتصق بزجاج النافذة ، وهو يومئ برأسه في ضوء الفجر .

وعند الساعة السادسة كان ميخائيليس منهكاً تماماً ، وأحس بالارتياح لصوت سيارة تقف في الخارج . كان أحد المشاهدين في الليلة الماضية ، وكان قد وعد بأن يعود ثانية ، ولهذا طها إفطاراً لثلاثة أكله هو والرجل الآخر . كان ويلسون قد أصبح الآن أكثر هدوءا ، فذهب ميخائيليس لينام ، وحين استيقظ بعد بضع ساعات وأسرع عائداً إلى الجراج ، كان ويلسون قد اختفى .

وقد استطعنا فيما بعد أن نقتفي أثر تحركاته — وكان يسير على قدميه طيلة الوقت — حتى ميناء روزفلت ثم إلى تل جاد حيث اشترى شطيرة لم يأكلها وقدحاً من القهوة . ولا بد أنه كان منهكاً يسير ببطء لأنه لم يصل

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

إلى تل جاد إلا عند الظهر . وعند هذا الحد لم تكن ثمة صعوبة فى تتبع حركاته . . . فقد كان هناك أطفال رأوا رجلا « يتصرف كأنه مجنون» ، وسائقو عربات كان يحدق فيهم تحديقاً غريباً من جانب الطريق . ثم اختفى عن الأنظار ثلاث ساعات . واعتقدت الشرطة . . . بسبب ما قاله لميخائيليس من أن « لديه طريقة للمعرفة» — أنه قد أمضى هذا الوقت ذاهباً من جراچ إلى جراچ يسأل عن سيارة صفراء . ولكن من ناحية أخرى لم يقل أى عامل فى جراچ أنه رآه يقترب ، وربما كانت لديه طريقة أسهل وأضمن لمعرفة ما كان يريد أن يعرفه . وعند الساعة الثانية والنصف كان قد وصل ويست ايج حيث سأل أحد الناس عن الطريق إلى منزل جاتسبى . وإذن فى ذلك الحين كان قد عرف اسم جاتسبى .

* * *

وفى الساعة الثانية ارتدى جاتسبى رداء استحمامه ، وأوصى الخادم بأن يخبره فوراً عند حوض السباحة إذا اتصل به أى إنسان تليفونيا . وتوقف عند الجراچ ليأخذ حشية مضغوطة كثيراً ما تسلى بها ضيوفه أثناء الصيف ، وساعده السائق فى نفخها . وأعطى تعليماته بألا تخرج السيارة المكشوفة بأى حال — وكان هذا غريباً لأن حاجزها الأمامى كان فى حاجة إلى إصلاح .

ورفع جاتسبى الحشية على كتفه وسار نحو حوض السباحة . وتوقف مرة وحركها قليلا ، وسأله السائق ما إذا كان فى حاجة إلى مساعدة

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

لكنه هز رأسه واختفى بعد لحظة بين الأشجار الصفراء .

ولم تصل أية رسالة تليفونية ، ومع هذا ظل الخادم ينتظرها دون أن ينام حتى الساعة الرابعة . . . حتى بعد أن لم يعد هناك أحد ينقلها إليه . وأعتقد أن جاتسبي نفسه لم يكن يؤمن بأن هذه الرسالة ستأتى ، وربما لم يعد الأمر يعنيه . وإذا كان هذا صحيحاً فلا بد أنه قد أحس حينئذ بأنه فقد عالمه الدافئ القديم ، وأنه قد دفع ثمناً غالياً إذ عاش أكثر مما يجب مع حلم وحيد . ولا بد أنه قد تطلع إلى سماء غير مألوفة عبر أوراق شجر مخيفة ، وأنه قد ارتعش وهو يكتشف روعة شيء كالوردة ، ونضارة ضوء الشمس فوق العشب الذى لم يكد يظهر . إن عالماً جديداً يحيط به ، عالماً مادياً وإن لم يكن حقيقيا ، تتحرك فيه أشباح بائسة تتنفس الأحلام كما تتنفس الهواء . . . كذلك الشبح الأغبر الغريب الذى ينزلق نحوه خلال الأشجار الغائمة .

وقد سمع السائق — وهو أحد صنائع ولفشايم — صوت الطلقات . وفيما بعد لم يستطع أن يقول إلا أنه لم يعلق عليها أية أهمية . وقد اتجهت من المحطة إلى منزل جاتسبي رأساً ، وكان اندفاعى القلق فوق الدرجات الأمامية أول ما نبه أى إنسان . لكنى أعتقد تماماً أنهم قد عرفوا فى تلك اللحظة . ودون أن ننبس بكلمة واحدة هرعنا نحن الأربعة — أنا والسائق والخادم والبستانى — نحو حوض السباحة .

كانت ثمة حركة خافتة لا تكاد تحس داخل المياه ، إذ تنساب المياه الجديدة وتشق طريقها من ناحية نحو البالوعة فى الناحية الأخرى .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

وفى تموجات صغيرة لا تكاد تكون ظلا للأمواج أخذت الحشية المثقلة تتحرك دون انتظام عبر الحوض . وكانت هبة صغيرة من الريح ، تجعد بالكاد سطح الماء ، كافية لتغيير مجراها العارض بحملها العارض . وأدارتها ببطء لمسة عنقود من أوراق الشجر ، لتتبع — كأنها فلك فى مداره — دائرة حمراء رفيعة فى المياه .

وفيما بعد ، ونحن نسير بجاتسبى نحو المنزل ، رأى البستانى جسد ويلسون ملقى على الحشائش . . واكتملت المأساة .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

الفصل التاسع

بعد عامين لا زلت أذكر بقية ذلك اليوم ، والليلة التالية ، واليوم التالى ، كحلقات لا تنتهى من رجال الشرطة والمصورين والصحفيين يدخلون ويخرجون من باب جاتسبى الأمامى . وحبل يمتد عبر البوابة الرئيسية وإلى جواره شرطى يبعد الفضوليين ، وسرعان ما اكتشف الصبية الصغار أنهم يستطيعون الدخول عن طريق فناء منزلى ، فكانت هناك دائماً مجموعات منهم تقف إلى جوار حوض السباحة مفتوحى الأفواه . وتفوه شخص رزين السلوك — ربما كان مخبراً — بعبارة « مجنون » وهو ينحنى على جسد ويلسون بعد ظهر ذلك اليوم ، وكانت رنة صوته الجازمة المسئولة هى مفتاح تقارير الصحف فى الصباح التالى .

كانت معظم هذه التقارير شيئاً كالكابوس . . . رهيبة تفصيلية وغير صحيحة . وحين ألقت شهادة ميخائيليديس فى التحقيق الضوء على شكوك ويلسون فى زوجته اعتقدت أن القصة كلها سرعان ما ستتحول إلى فضيحة صارخة . . . لكن كاترين التى كانت تستطيع أن تقول شيئاً لم تنبس بكلمة . ولقد كشفت فى ذلك عن قدر كبير من قوة الشخصية . . . فنظرت إلى المحقق بعينين ثابتتين من تحت حاجبيها المرسومين وأقسمت أن شقيقتها لم تر جاتسبى أبداً ، أن شقيقتها كانت سعيدة تماماً مع زوجها ، أن شقيقتها لم ترتكب إثماً أيًّا كان . حتى

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

لقد اقتنعت هى نفسها بذلك فأخذت تبكى فى منديلها ، وكأنما مجرد الاسترابة فيه أمر لا تستطيع احتماله . وهكذا انتهوا بويلسون إلى مجرد رجل « أذهله الحزن» حتى تبقى القضية فى أبسط حالاتها . وقد بقيت كذلك .

لكن هذا الجانب بأسره يبدو بعيداً وغير هام . لقد وجدت نفسى أقف إلى جوار جاتسبى ، ووحيداً . فمنذ اللحظة التى أبلغت فيها بالتليفون أنباء الكارثة إلى قرية ويست إيج ، كان كل شىء عنه ، وكل مسألة عملية ، يرجع فيها إلىّ . وفى البداية كنت أشعر بالدهشة والارتباك ، ثم إذ ظل هو راقداً فى منزله ، لا يتحرك ولا يتنفس ولا ينطق ، ساعة بعد أخرى ، بدأت أشعر بأنى مسئول عنه ، فما من أحد آخر كان يهتم بالأمر . . .وأعنى يهتم به ذلك الاهتمام الشخصى الحاد الذى يستحقه كل إنسان عند نهايته .

اتصلت بديزى بعد أن وجدناه بنصف ساعة ، اتصلت بها غريزيًّا ودون تردد . لكنها كانت قد خرجت هى وتوم منذ الصباح الباكر حاملين معهما بعض الأمتعة .

ــ ألم يتركا عنواناً ؟ . . .

ــ كلا .

ــ ألم يقولا متى سيرجعان ؟

ــ كلا .

ــ ألديك فكرة عن مكانهما ؟ كيف أستطيع الاتصال بهما ؟

ــ لا أعرف ولا أستطيع أن أقول . . .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

كنت أريد أن أحضر له بعض الناس . كنت أريد أن أذهب إلى الحجرة التى يرقد فيها وأطمئنه : « سآتى لك ببعض الناس يا جاتسى فلا تقلق . ثق بى وسآتيك ببعض الناس . . . .

ولم يكن اسم مير ولفشايم موجوداً فى دفتر التليفونات . فأعطانى الخادم عنوان مكتبه فى برودواى ، واتصلت بالاستعلامات ، ولكن حين جاءنى الرقم كانت الساعة قد جاوزت الخامسة بكثير ، ولم يرد أحد على التليفون .

ــ ألا يمكن أن نتصل بهم ثانية . . .

ــ لقد اتصلت بهم ثلاث مرات . . .

ــ إنه أمر هام للغاية .

ــ آسف ، لكنى أخشى ألا يكون هناك أحد .

وعدت إلى قاعة الجلوس ، وظننت لحظة أن كل هؤلاء ضيوف ، كل أولئك الرجال الرسميين الذين ملأوا الغرفة فجأة . بيد أنهم كانوا يجذبون الغطاء وينظرون إليه بعيون جامدة ، فيظل احتجاجه يرن فى ذهنى .

ــ انظر أيها الصديق العجوز ، لا بد أن تأتينى ببعض الناس . يجب أن تحاول جاهداً فأنا لا أستطيع أن أتحمل هذا وحدى . . .

وبدأ أحدهم يوجه لى بعض الأسئلة ، لكنى ابتعدت عنه وصعدت الدرجات أنظر فى عجل فى الأدراج غير المغلقة من مكتبه . . . فلم يكن قد قال لى أن والديه ماتا . لكن شيئاً لم يكن هناك ، سوى صورة دان كودى ــ رمز عنف طال نسيانه ــ تحدق من فوق الجدار .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

وفى اليوم التالى أرسلت الخادم إلى نيويورك برسالة إلى وانشا أسأله بعض المعلومات ، وأحثه على الحضور بالقطار التالى . وقد بدا لى طلبى هذا فى غير محله وأنا أكتبه ، كنت واثقاً أنه سيجىء عند قراءة الصحف ، تماماً كما كنت واثقاً أن برقية ستصل من ديزى قبل الظهر . . . لكن البرقية لم تأت ، ولا وصل ولفشايم ، لم يصل سوى المزيد من رجال الشرطة والمصورين والصحفيين . وحين عاد الخادم برد ولفشايم بدأت أحس نوعاً من التحدى ، من التضامن المزدرى بينى وبين جاتسبى فى مواجهتهم جميعاً .

عزيزى المستر كاراواى . كانت هذه واحدة من أكبر صدمات حياتى حتى لا أكاد أصدق أنها قد حدثت على الإطلاق . إن مثل هذا العمل المجنون الذى فعله هذا الرجل يجب أن يدفعنا جميعاً إلى التفكير . لا أستطيع الحضور الآن لأنى مرتبط بعمل هام جداً ولا يمكن أن أزج باسمى فى هذا الأمر الآن . إذا كان هناك ما يمكن أن أؤديه فيما بعد فدعنى أعرف برسالة مع إدجار . إنى لا أكاد أعرف أين أنا حين أسمع شيئاً كهذا ، وأنا مذهول تماماً .

المخلص

ميير ولفشايم

ثم ملاحظة عاجلة بعد ذلك :

دعنى أعرف عن الجنازة . . إلخ . . لا أعرف شيئاً على الإطلاق عن عائلته .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

وحين دق جرس التليفون بعد ظهر ذلك اليوم وقال عامل المسافات الطويلة إنها مكالمة من شيكاغو ظننت أنها ديزى أخيراً . لكن الصوت جاء صوت رجل ، رفيع جداً وبعيد .

— سلاجل يتحدث . . .

— نعم ؟ كان الاسم غير مألوف .

— خبر رهيب ، أليس كذلك ؟ هل تلقيت برقيتى . . .

— لم تصل أى برقيات . .

قال بسرعة : « إن بارك الصغير فى مأزق . لقد اكتشفوه عندما ناولته الأسهم من فوق البناك . وكانوا قد تلقوا نشرة دورية من نيويورك بها أرقام هذه الأوراق قبل ذلك بخمس دقائق . ماذا تعرف عن هذا الأمر ، هيه ؟ لا تستطيع أن تتنبأ فى مثل هذه المدن الريفية . ».

قاطعته بأنفاس لاهثة : « هالو . . انظر هنا . . . أنا لست جاتسبى . إن جاتسبى قد مات» . . .

حدث وصمت طويل عند الطرف الآخر ، تبعته صيحة .. ثم دقة سريعة ، إذ تقطع المكالمة .

وأعتقد أننا كنا فى اليوم الثالث حين جاءت برقية بتوقيع هنرى س . جاتز من إحدى مدن منيسوتا . ولم تكن تقول سوى أن مرسلها قادم لتوه وأن نؤجل الجنازة حتى يحضر .

كان والد جاتسبى . رجلاً عجوزاً رزيناً ، عاجزاً مشتتاً ، مكوماً فى معطف طويل فضفاض ، وكانت عيناه تطرف باستمرار فى انفعال ،

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

وحين أخذت حقيبته ومظلته من يده بدأ يجذب لحيته البيضاء الخفيفة بلا توقف حتى لقد وجدت صعوبة فى خلع معطفه . كان على حافة الانهيار ، فأخذته إلى حجرة الموسيقى ، وجعلته يجلس ريثما أرسلت لإحضار شىء يأكله . لكنه رفض أن يأكل ، وأخذ كوب اللبن ينسكب من يده المرتعشة .

قال : « قرأت الخبر فى صحيفة شيكاغو ، كان كل شىء وارداً فى صحيفة شيكاغو فبدأت رحلتى فوراً . . » .

ــ لم أكن أعرف كيف أتصل بك . . . .

وأخذت عيناه تتحركان حول الغرفة دون أن ترى شيئاً .

قال : « لقد كان رجلا مجنوناً . لا بد أنه كان مجنوناً . »

قلت مشجعاً : « ألا تحب أن أحضر لك بعض القهوة ؟ »

ــ لا أريد شيئاً . أنا بخير حال الآن يا مستر . . .

ــ كاراواى .

ــ حسناً ، أنا بخير حال الآن . أين وضعوا چيمى ؟ .

فأخذته إلى قاعة الجلوس ، حيث يرقد ابنه ، وتركته هناك . وكان بعض الصبية قد صعدوا إلى أعلى الدرجات وأخذوا ينظرون إلى القاعة . وحين قلت لهم من الذى جاء ابتعدوا على مضض .

وبعد فترة قصيرة فتح مستر جاتز الباب وخرج ، وفمه مفتوح ، ووجهه متورد قليلا ، وعيناه تفيضان بدموع متقطعة غير منتظمة . كان قد وصل إلى سن لم يعد الموت فيها يسبب له دهشة كبيرة ، وحين

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

تطلع حوله الآن للمرة الأولى ورأى ارتفاع وروعة البهو ، والحجرات الكبيرة التى تخرج منه إلى حجرات أخرى ، بدأ حزنه يمتزج برهبة وفخر . وساعدته على الوصول إلى حجرة جاتسبى فى الطابق الأعلى ، وبينما خلع جاكتته وصديره أخبرته أن كل الإجراءات قد أجلت حتى يحضر .

— فلم أكن أعرف ماذا ستريد يا مستر جاتسبى . . .

— اسمى جاتز .

— . . . يا مستر جاتز . وظننت أنك قد تأخذ جسده إلى الغرب..

فهز رأسه .

— لقد كان چيمى يحب الشرق دائماً . لقد ارتفع إلى مركزه فى الشرق . أكنت صديقاً لولدى يا مستر . . .

— كنا صديقين حميمين .

— كان أمامه مستقبل باهر كما تعرف . لم يكن سوى شاب صغير . . لكن كان لديه الكثير من قوة الذهن هنا . . .

ولمس رأسه منفعلا ، فأومأت برأسى .

— ولو أنه عاش لأصبح رجلا عظيما . رجلا مثل چيمس ج — هيل ، ولكان قد ساعد فى بناء البلاد . . .

قلت قلقاً : هذا صحيح . . .

فأخذ يعبث فى أطراف الغطاء الموشاة ، محاولا أن يبعده عن الفراش ورقد متصلباً . . . وبعد لحظة كان قد نام .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

وفى تلك الليلة اتصل بنا شخص واضح الفزع ، وأصر على أن يعرف من أنا قبل أن يقول اسمه .

قلت : « كاراواى » .

فبدا عليه الارتياح « أوه . . أنا كليبسبرينجر »

وأحسست بدورى بالارتياح ، فها هو ذا صديق آخر سيقف على قبر جاتسبى . ولم أكن أريد أن يظهر خبر الجنازة فى الصحف ، حتى لا أجتذب حشداً من المتطفلين ، ولهذا حاولت أن أتصل بنفسى تليفونيا بعدد من الناس . وكان من الصعب أن أجدهم .

قلت : « الجنازة غداً . فى الساعة الثالثة . هنا فى المنزل . وأحب أن تخبر كل من قد يهمه الأمر » .

فانفجر قائلا فى عجلة : « أوه ، سأفعل ، وإن لم يكن من المحتمل بالطبع أن أرى أحداً ، ولكن إذا قابلت أحداً فسأفعل . . . » .

وجعلتنى لهجته أشعر بالريبة .

ــ بالطبع ستحضر أنت نفسك .

ــ حسناً ، سأحاول بالتأكيد . وما اتصلت بشأنه هو . . .

قاطعته : « انتظر دقيقة ، ماذا تقول عن حضورك ؟ » .

ــ حسناً ، الواقع أن ــ حقيقة الأمر أننى أقيم مع بعض الناس هنا فى جرينيتش ، وهم ينتظرون أن أكون معهم غداً ، فالواقع أن هناك رحلة أو شىء من هذا القبيل . وبالطبع سأبذل جهدى لأتخلص منهم .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

فصدرت عنى همهمة « هيه » لم أستطع أن أكبحها ، ولا بد أنه سمعنى ، فقد مضى يتحدث فى عصبية .

ـ إن ما اتصلت بشأنه هو زوج من الأحذية تركته هناك . أفتكون مشقة كبيرة لو أحضره لى الخادم . فهو حذاء تنس أشعر بدونه بالعجز . وعنوانى هو طرف ب . ف ـ» .

ولم أسمع بقية الاسم لأنى وضعت السماعة .

وبعد هذا شعرت بالخجل لحاتسبى . . . قال أحد السادة الذين اتصلت بهم أنه لقى ما يستحقه . بيد أن هذا كان خطئى أنا ، فقد كان واحداً من أولئك الذين اعتادوا أن يهاجموا جاتسبى بمرارة شديدة ، بعد أن يستمدوا شجاعتهم من خمور جاتسبى . وما كان يجب أن أتصل به .

وفى صباح يوم الجنازة ذهبت إلى نيويورك لأرى ميير ويلفشايم فلم يكن يبدو أنى أستطيع الاتصال به بطريقة أخرى . وكان على الباب الذى دفعته بناء على نصيحة عامل المصعد عبارة « شركة الصليب المعقوف القابضة » وفى البداية لم يكن يبدو أن ثمة أحداً بالداخل . ولكن بعد أن صحت « هالو » عدة مرات عبثاً ، انبعثت مناقشة من خلف الحاجز ، ثم ظهرت يهودية جميلة أمام أحد الأبواب الداخلية راحت تدقق فىّ النظر بعينين سوداوين عدوانيتين .

قالت : « لا أحد هنا . وقد سافر مستر ولفشايم إلى شيكاغو» .

كان واضحاً أن الجزء الأول من الجملة غير صحيح ، فقد بدأ

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

شخص فى الداخل يصفر لحن « الإكليل » فى نغمات نشاز .

ــ أرجوك قولى له إن كاراواى يريد أن يراه .

ــ لا أستطيع أن أعيده من شيكاغو . أم ترانى أستطيع ؟ .

وفى هذه اللحظة ارتفع من الجانب الآخر للباب صوت ــ هو بالتأكيد صوت ويلفشايم ــ منادياً .

ــ ستيلاّ . .

قالت بسرعة : « اترك اسمك على المكتب وسأعطيه له حالما يعود » .

ــ لكنى أعرف أنه هنا . . .

فخطت نحوى خطوة وبدأت تحرك يداها صاعدة هابطة فوق ردفيها باشمئزاز .

قالت مؤنبة : « أنتم أيها الشبان تظنون أن فى وسعكم الدخول بالقوة فى أى وقت ، وإن هذا ليمرضنى ويتعبنى ، حين أقول إنه فى شيكاغو فهو فى شيكاغو » .

فذكرت اسم جاتسبى .

فعادت تنظر إلىّ من جديد وقالت : « أوه هل تسمح . . ما اسمك ؟ » .

واختفت ، وبعد لحظة كان ميير ولفشايم يقف برزانة أمام الباب مادًّا كلتا يديه . وجذبنى إلى مكتبه ، قائلا فى صوت عميق إنه وقت حزين لنا جميعاً . وقدم لى سيجاراً .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

قال : « إن ذاكرتى لتعود بى إلى وقت أن قابلته أول مرة . كان رائداً شاباً خرج لتوه من الجيش تغطيه النياشين التى حصل عليها أثناء الحرب . كان مفلساً تماماً ، حتى لقد ظل يرتدى زيه العسكرى إذ لم يكن يستطيع أن يشترى بعض الثياب المدنية . وكانت أول مرة رأيته فيها حين جاء إلى حوض سباحة وينجرينز يسأل عن عمل . ولم يكن قد أكل شيئاً منذ يومين فقلت : « تعال وتناول الغداء معى » . . وأكل من الطعام ما تزيد قيمته عن أربعة دولارات فى نصف ساعة » .

سألته : « أأنت الذى دفعته إلى العمل ؟ » .

ــ دفعته ! . لقد صنعته .

ــ أوه

ــ لقد رفعته من لا شىء ، من البالوعة تماماً . لقد رأيت للوهلة الأولى أنه شاب حسن المظهر مهذب ، وحين أخبرنى أنه ذهب إلى أجسفورد عرفت أنى أستطيع أن أحسن استخدامه ، فدفعته إلى الانضمام إلى العصبة الأمريكية حيث برز هناك . ومن اللحظة الأولى قدم خدمة لأحد زبائنى فى ألبانى . لقد كنا دائماً بهذا الشكل فى كل شىء . . . وضم أصبعين سميكتين . . « معاً دائماً » .

وتساءلت ما إذا كانت هذه الشركة قد شملت كذلك عملية مراهنات البيسبول عام ١٩١٩ .

قلت بعد لحظة : « وهو الآن ميت . وقد كنت أقرب أصدقائه ؛ ولهذا أعرف أنك تريد أن تحضر جنازته بعد ظهر اليوم » .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

ـ لكم أحب أن أحضر . .

ـ حسناً ، تعال إذن .

فارتعشت شعيرات أنفه قليلا ، وإذ هز رأسه بالنفى امتلأت عيناه بالدموع .

قال : « لا أستطيع أن أفعل ـ لا أستطيع أن أزج باسمى فى هذا الموضوع » .

ـ ليس من شىء تزج باسمك فيه ، فقد انتهى الموضوع الآن .

ـ حين يقتل رجل لا أحب أن يزج باسمى بأى شكل . إنى أبقى بعيداً ، فى شبابى كان الأمر مختلفاً ، فلو مات أحد أصدقائى ـ أيا كانت الطريقة ـ لالتصقت به حتى النهاية . قد تعتقد أن هذا قول عاطفى ، لكنى أعنيه تماماً . . . حتى النهاية ، النهاية المريرة .

ورأيت أن لديه سبباً يجعله مصمما على عدم الحضور ، فوقفت .

سألنى فجأة : « أأنت خريج كلية ؟» .

وظننت لحظة أنه سيعرض على « علاكة» ، لكنه لم يزد عن أن يومئ برأسه ويصافحنى .

قال : « فلنتعلم أن نظهر صداقتنا للرجل وهو ما زال حيًّا وليس بعد وفاته . فقاعدتى بعدها هى أن أترك الأمور وشأنها» .

وحين غادرت مكتبه كانت السماء قد أظلمت ، فعدت إلى ويست إيج تحت الرذاذ ، وبعد أن غيرت ملابسى ذهبت إلى المنزل المجاور ، ووجدت مستر جاتز يسير فى البهو ذهاباً وجيئة . كان اعتزازه بابنه

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

وبممتلكات ابنه يتزايد على الدوام ، وكان يريد الآن أن يريني شيئاً .

ــ لقد أرسل لى جيمى هذه الصورة . . . وأخرج حافظته بأصابع مرتعشة : « انظر هنا » .

كانت صورة للمنزل مطوية من جوانبها ومتسخة من أثر الأيدى الكثيرة التى تبادلتها . وأخذ يشير إلى كل تفصيلاتها بحماس ، « انظر هنا » ، ثم يبحث فى عينى عن الإعجاب . كان قد عرضها على الكثيرين حتى أنى أعتقد أنها أصبحت لديه أكثر واقعية من المنزل نفسه .

ــ أرسلها جيمى لى . أعتقد أنها صورة جميلة جدا . إنها واضحة للغاية . .

ــ حسن جدا . هل رأيته قريباً .

ــ جاء لزيارتى منذ عامين ، واشترى لى المنزل الذى أعيش فيه الآن . لقد كان بالطبع مفلساً حين هرب من المنزل . لكنى أرى الآن أنه كان على حق . كان يعرف أن أمامه مستقبلا لامعاً . ومنذ أن أحرز النجاح كان كريماً للغاية معى .

وأبعد الصورة على مضض ، بعد أن أبقاها دقيقة أخرى أمام عينى ثم أعاد الحافظة ، وأخرج من جيبه نسخة ممزقة من كتاب يسمى « هو بالونج كاسيدى » .

ــ انظر هنا ، هذا كتاب كان لديه وهو ما زال طفلا . وسيوضح لك . .

وفتح الكتاب عند الغلاف الأخير ، وأداره حتى أستطيع أن أرى . وعلى الورقة الأخيرة طبعت كلمة « خطة » ، وتاريخ ١٢ سبتمبر ١٩٠٦ . وتحتها .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

الاستيقاظ	٦ —	صباحاً
تمارين الدمبل والتسلق . .	٦,١٥ — ٦,٣٠	»
دراسة الكهرباء ..إلخ. . .	٧,١٥ — ٨,١٥	»
عمل	٨,٣٠ — ٤,٣٠	مساء
بيسبول ورياضة . . .	٤,٣٠ — ٥,	»
ممارسة الخطابة وكيفية تحقيق التوازن	٥ — ٦,٥٥	»
دراسة الاختراعات المطلوبة . .	٧ — ٩	»

قرارات عامة

لا تضييع للوقت عند شافترز أو (اسم لا يمكن تمييزه) .

إبطال التدخين ومضغ اللبان .

حمام يوم بعد يوم .

قراءة أحد الكتب الثقافية أو المجلات مرة فى الأسبوع .

ادخار ٥ دولارات (ثم شطب) ٣ دولارات أسبوعياً .

معاملة أفضل لوالدى .

قال الرجل العجوز : « عثرت على هذا الكتاب مصادفة . إنه يعطيك صورة أوضح . أليس كذلك» .

ــ لقد كان مقيضاً لجيمى أن يمضى إلى الأمام . كانت لديه دائماً قرارات كهذه أو شىء من هذا القبيل . ألاحظت ما يقوله عن تثقيف ذهنه ؟ لقد كان لهذا رائعاً دائماً . قال لى مرة إنى آكل كالخنزير فضربته من أجل ذلك .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

وبدا ممانعاً فى طى الكتاب ، وأخذ يقرأ كل فقرة بصوت عال ، ثم ينظر لى بحماس ، وأعتقد أنه كاد يتوقع منى أن أنسخ صورة من هذه القائمة لاستخدامى الخاص .

وقبل الثالثة بقليل جاء قسيس لوثرى من فلاشنج ، وبدأت أنظر إلى النافذة لا إراديًّا باحثاً عن سيارات أخرى ، وكذلك فعل والد جاتسبى . وإذ مر الوقت ودخل الخدم ووقفوا ينتظرون فى البهو ، بدأ القلق يغشى عينيه ، وأخذ يتحدث عن المطر بطريقة قلقة مرتبكة . ونظر الكاهن بضع مرات إلى ساعته ، فأخذته جانباً وطلبت منه أن ينتظر نصف ساعة أخرى . ولم يكن ثمة جدوى . فإن أحداً لم يحضر .

وحوالى الساعة الخامسة وصل موكبنا بسياراته الثلاث إلى المدافن ووقف تحت الأمطار الكثيفة إلى جوار البوابة . . . فى البداية سيارة قاتمة السواد مبتلة ، ثم أنا ومستر جاتز والكاهن فى سيارة ليموزين ، وبعد ذلك بقليل أربعة أو خمسة خدم وساعى بريد فى ويست إيج يركبون سيارة جاتسبى الستيشن واجن ، وكلهم مبتلون حتى عظامهم . وعندما عبرنا البوابة إلى داخل المدفن ، سمعت سيارة تقف ، ثم صوت شخص يخوض فى أثرنا فوق الأرض . فنظرت حولى ، كان الرجل ذو عينى البومة الذى وجدته ذات ليلة منذ ثلاثة شهور مذهولا أمام كتب جاتسبى فى المكتبة .

لم أكن قد رأيته أبداً منذ ذلك الحين . ولا أعرف كيف عرف بشأنه الجنازة ، بل ولا أعرف حتى اسمه . وكان المطر يصب فوق

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

نظارته السميكة ، فخلعها ومسحها حتى يستطيع أن يرى القماش الذى يغطى قبر جاتسبي .

وحاولت أن أفكر فى جاتسبي . لكنه كان قد مضى بعيداً ، ولم يعد فى وسعى إلا أن أذكر — دون مرارة — أن ديزى لم ترسل رسالة أو زهوراً . وسمعت فى غير وضوح صوت امرئ يتمتم : « مبارك هو الميت الذى تسقط فوقه الأمطار» ثم قال ذو عينى البومة « آمين» فى صوت طيب .

واندفعنا بسرعة نحو سياراتنا عبر المطر . وعند البوابة خاطبنى عينا البومة .

قال : « لم أستطع أن أصل إلى المنزل» .

— كما لم يستطع أى شخص آخر .

قال منزعجاً « ماذا ! . يا إلهى ! . لقد كانوا يذهبون إلى هناك بالمئات» . وخلع نظارته ومسحها من الخارج والداخل .

قال : « ابن الكلبة المسكين ! !» .

* * *

ثمة ذكرى ظلت حية معى ، هى ذكرى عودتى من الغرب فى ليالى أعياد الميلاد وأنا طالب فى المدرسة الإعدادية ، ثم فى الكلية فيما بعد . ففى أمسيات ديسمبر كان أولئك الذين مضوا إلى أبعد من شيكاغو يتجمعون فى الساعة السادسة عند محطة الاتحاد القديمة المعتمة ، ليودعوا على عجل أصدقاء لهم من شيكاغو ، انغمسوا فى مسرات إجازاتهم . ولا زلت أذكر معاطف فراء الفتيات وهن يعدن من عند هذه الصديقة

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

أو تلك ، وثرثرة الأنفاس المتجمدة ، والأيدى التى تلوح حين نلمح أحد معارفنا القدماء، ومسابقات الدعوات « أأنت ذاهب عند أوردواى؟ هيرس ؟ شولتز ؟» ، والتذاكر الخضراء الطويلة التى نقبض عليها بشدة فى أيدينا ذات القفازات ، وأخيراً عربات سكك حديد شيكاغو وميلووكى وسان بول الصفراء تقف فوق القضبان إلى جوار البوابة بهيجة كعيد الميلاد نفسه .

وحين كنا نندفع فى ليالى الشتاء ، ويمتد أمامنا الجليد الحقيقى ، جليدنا ، ويلتمع فى مواجهة النوافذ ، وتتحرك أنوار محطات ويكونسين الصغيرة الخافتة، كانت تهبط على الجو فجأة لحظة حادة عنيفة ، كنا ننتزع منها أنفاساً عميقة ونحن نسير عائدين من حفلات العشاء خلال القاعات الباردة ، مدركين دون كلمات ، تطابقنا مع هذه البلاد مدة ساعة واحدة غريبة ، قبل أن نذوب فيها من جديد فلا يعود من الممكن تمييزنا .

هذا هو الغرب الأوسط عندى . . . إنه ليس القمح ولا البرارى ولا المدن الضائعة ، بل هو قطارات شبابى العائدة المثيرة ، وأنوار الشارع وأجراس مركبات الجليد فى الظلمة المتجمدة ، وظلال الأكاليل المقدسة تلقيها النوافذ المضاءة فوق الجليد . فأنا جزء من هذا كله ، رزين قليلا كأيام شتائه الطويل ، متسامح قليلا لتربيتى فى بيت كاراواى ، فى مدينة ما زالت البيوت فيها تسمى عبر الأجيال باسم الأسرة . وها أنا أرى الآن أن قصتى هذه قد كانت قصة من قصص الغرب ، فعلى

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

أى حال . . . كان توم وجاتسبى وديزى وچوردان وأنا ، كلنا من أبناء الغرب ، وربما كانت لدينا جميعاً نقيصة مشتركة جعلتنا خفية غير متقبلين لحياة الشرق .

فحتى حين كان الشرق يبدو لى مثيراً إلى أقصى حد ، حتى عندما كنت أرى تفوقه على المدن المملولة المتسعة المتورمة وراء الأوهيو ، بتساؤلاتها التى لا تنتهى ، والتى لا تعنى سوى الأطفال والعجزة . . . حتى عندئذ كان يبدو لى فيه دائماً شىء مشوه . ولا تزال ويست إيج — بشكل خاص — تظهر فى أحلامى المرعبة ، فأراها كمشهد ليلى بريشة « الجريكو » : مائة منزل — تقليدية وهائلة فى نفس الوقت — تنحنى تحت سماء كئيبة معلقة وقمر معتم . وفى مقدمة اللوحة أربعة رجال جادون فى ملابس السهرة يسيرون على طول الممشى الجانبى وهم يحملون نقالة ترقد فوقها امرأة سكرى فى رداء سهرة أبيض ، ويدها المعلقة فرق جانب النقالة تشع باردة بالمجوهرات . وفى رصانة يدخل الرجال منزلا ... المنزل الخاطئ . لكن أحداً لا يعرف اسم المرأة ، وأحداً لا يهتم .

وبعد وفاة جاتسبى أصبح الشرق مليئاً أمامى بمثل هذه الأشباح ، ومشوهاً حتى لا تستطيع عيناى تصحيحه ، وهكذا حين امتلأ الهواء بدخان أوراق الأشجار المتساقطة الأزرق ، وهبت الريح تجفف الغسيل المبتل فوق الحبال قررت أن أعود إلى موطنى .

وكان ثمة شىء واحد يجب أن أصنعه قبل أن أرحل ، شىء غريب وغير سار ، وربما كان من الأفضل أن أدعه وشأنه . لكنى أردت

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

أن أترك الأشياء فى نظام ، وألا أركن إلى هذا البحر الخيِّر اللامبالى باكتساح نفاياتى بعيداً . فرأيت چوردان بيكر ، وتحدثنا كثيراً عما حدث لنا معاً ، وعما حدث لى بعد ذلك ، ورقدت تصغى إلى هادئة تماماً فوق مقعد كبير .

كانت ترتدى لبـــاس الجولف ، وأذكر أنى تخيلت أنهـــا تبدو كصورة جميلة ، وذقنها مرفوع قليلا فى رشاقة ، وشعرها بلون أوراق الخريف ، ووجهها يكتسى بنفس الصبغة البرونزية التى تكسو قفازاً بدون أصابع فوق ركبتها . وحين انتهيت أخبرتنى دون تعليق أنها مخطوبة لرجل آخر . وارتبت فى هذا ، وإن كان هناك كثيرون تستطيع الزواج بهم بهزة من رأسها ، ولكنى تظاهرت بالدهشة . وتساءلت لحظة بينى وبين نفسى عما إذا كنت أرتكب خطأ ، ثم فكرت فى الأمر كله ثانية بسرعة ، ونهضت لأقول لها وداعاً .

وفجأة قالت چوردان : « ورغم هذا فقد تخليت عنى ، تخليت عنى فى التليفون . وأنت لم تعد تهمنى الآن ، لكنها كانت تجربة جديدة بالنسبة لى ، وشعرت فترة بالدوار » .

وتصافحنا .

وأضافت : « أوه ، وهل تذكر محادثة جرت بيننا حول قيادة السيارات ؟ » .

— ماذا . . . ليس بالدقة .

— لقد قلت إن السائق الردىء يظل فى أمان حتى يلتقى بسائق ردىء

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

آخر ؟ حسناً ، لقد التقيت بسائق ردىء آخر ؟ أعنى أنه كان إهمالا من جانبى أن أقوم بمثل هذا التخمين الخاطئ ، فلقد اعتقدت أنك شخص أمين صريح . اعتقدت أن هذا هو مصدر اعتزازك الخفى .

قلت : « إنى فى الثلاثين . أى أنى كبرت خمس سنين عن أن أكذب على نفس فأسمى ذلك شرفاً . . . .

فلم تجب . واستدرت مبتعداً ، غاضباً ، نصف محب لها ، وآسفاً لدرجة هائلة .

وذات يوم من أكتوبر فى ساعة متأخرة بعد الظهر رأيت توم بوكانان ، كان يسير أمامى فى الشارع الخامس بطريقته اليقظة العدوانية ، وقد ابتعدت يداه عن جسمه قليلا وكأنما لتدفع أى تطفل ، ورأسه تتحرك بحدة هنا وهناك مع حركات عينيه غير المستقرتين . وعندما أبطأت خطواتى لأتجنب اللحاق به توقف وأخذ يحدق مقطباً فى نوافذ محل مجوهرات . وفجأة رآنى وسار عائداً مادًّا يده إلى الأمام .

ــ ما الخبر يا نك ؟ ألا تريد مصافحتى؟

ــ نعم . فأنت تعرف رأيى فيك .

قال بسرعة : « إنك مجنون يا نك ، مجنون وحق الجحيم . ولا أعرف ما جرى لك » .

سألته : « توم ، ماذا قلت لويلسون بعد ظهر ذلك اليوم ؟» .

فحدق فى دون أن ينبس بكلمة ، وعرفت أن تخمينى عن تلك الساعات الضائعة كان صحيحاً ، وبدأت أستدير عنه ، لكنه خطا

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

خـــلفى خطوة ، وقبض على ذراعى .

قال : « أخبرته الحقيقة ، لقد جاء إلى بابنا ونحن نستعد للرحيل ، وحين أرسلت أقول له إننا لسنا بالداخل حاول أن يشق طريقه بالقوة نحو الطابق الأعلى . وكان من الجنون بحيث كان يمكن أن يقتلنى لو لم أقل له من هو مالك السيارة . كانت يده تقبض على غدارة فى جيبه طيلة الوقت الذى قضاه بالمنزل» . ثم انفجر فى تحد « ماذا لو كنت قد أخبرته ؟ لقد كان هذا هو مصير ذلك الشخص ، لقد كان يلقى الغبار فى عينيك كما ألقاه فى عينى ديزى ، لكنه كان شخصاً قاسياً ، لقد سار فوق ميرتل كما لو كان يسير فوق كلب ، وحتى لم يوقف سيارته» .

لم يكن هناك ما يمكن أن أقوله ، سوى شىء واحد لم أتفوه به ، هو أن هذا لم يكن صحيحاً .

ـ وإذا كنت تظن أنى لم ألق نصيبى من الآلام . . . أنظر هنا ، حين ذهبت لأسلم تلك الشقة ورأيت صندوق بسكويت الكلاب اللعين قابعاً هناك فوق الصوان ، جلست وأخذت أبكى كالطفل ، بحق الإله لقد كان شيئاً رهيباً . . .

لم أكن أستطيع أن أغفر له أو أن أحبه ، لكنى رأيت أن ما فعله كان مبرراً تماماً من وجهة نظره . كان الأمر كله مهملا ومشوشاً . لقد كانوا أناساً مهملين ، توم وديزى . . . كانوا يحطمون الأشياء والمخلوقات ثم يستديرون إلى أموالهم ، أو إلى إهمالهم العريض ، أو إلى ذلك الشىء

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

الذى يبقيهم معاً أيًّا كان ، ويدعون الآخرين ينظفون القاذورات التى خلفوها . . . .

وصافحته . فقد بدا من الحماقة ألا أفعل ، إذ شرت فجأة وكأنى أخاطب طفلا . ثم دخل محل المجوهرات ليشترى عقدا من اللؤلؤ — أو ربما مجرد زوج من أزرار القمصان — نافضاً يده إلى الأبد من تعقيداتى الريفية .

وكان منزل جاتسبى ما زال خالياً حين رحلت . . . وقد نمت حشائش حديقته بطول حشائش حديقتى . وما كان أحد سائقى سيارات الأجرة ليأخذ أحد عملائه عند البوابة الأمامية دون أن يتوقف دقيقة ويشير إلى الداخل ، ربما كان هو نفس السائق الذى قاد ديزى وجاتسبى إلى ويست إيج ليلة الحادث ، وربما كان قد خلق قصة عن هذا الأمر من وضعه هو . لم أكن أريد أن أسمعها ، فتجنبته وأنا أغادر القطار .

وقضيت أمسيات أيام السبت فى نيويورك ، لأن حفلاته اللامعة التى تعمى الأبصار ظلت حية معى حتى ظللت أسمع الموسيقى والضحكات خافتة لا تتوقف ، وهى تنبعث من حديقته ، والسيارات صاعدة هابطة فى ممره ، وذلت ليلة سمعت سيارة حقيقية هناك ، ورأيت أضواءها تتوقف أمام الدرجات الأمامية . لكنى لم أبحث الأمر . وربما كان ضيفاً أخيراً ظل بعيداً فى أحد أطراف الأرض ، ولم يعرف أن الحفل قد انتهى .

وفى الليلة الأخيرة ، وبعد أن حزمت حقائبى وبعت سيارتى إلى

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

تاجر الخضروات ، ذهبت وألقيت نظرة أخيرة على ذلك المنزل ، ذلك الفشل الهائل غير المتماسك . وفوق الدرجات البيضاء ظهرت بوضوح فى ضوء القمر كلمة بذيئة خطها أحد الصبية بقطعة من الحجر ، فمسحتها وأنا أجر حذائى وأحك به الأحجار . ثم تجولت حتى الشاطئ ، وتمددت فوق الرمال .

كانت أغلب أماكن الصيف قد أغلقت الآن ، ولم يكن هناك ضوء إلا الوهج المعتم المتحرك لأحد الزوارق عبر الخليج ، وإذ أخذ القمر يرتفع ، بدأت المنازل تذوى ، حتى ظهرت أمامى بالتدريج هذه الجزيرة القديمة التى ازدهرت ذات مرة أمام عيون البحارة الهولنديين .. صدراً ناضراً أخضر للعالم الجديد . إن أشجارها المختفية ، تلك الأشجار التى مهدت الطريق لمنزل جاتسبى ، قد وشوشت ذات مرة هامسة بآخر وأعظم الأحلام البشرية جميعاً : ولا بد أن الإنسان قد وقف لحظة قصيرة مسحورة وقد توقفت أنفاسه أمام هذه القارة ، مسوقاً إلى تأملات جمالية ما كان ليفهمها أو ليرغب فيها ، وهو يقف وجهاً لوجه لآخر مرة فى تاريخه أمام شىء يضارع قدرته على الدهشة .

وإذ جلست هناك أتأمل العالم القديم المجهول ، فكرت فى دهشة جاتسبى حين رأى لأول مرة ذلك الضوء الأخضر عند نهاية رصيف ديزى ، لقد سار طريقاً طويلا حتى يصل إلى هذه الحديقة الزرقاء ، ولا بد أن حلمه قد بدا له عندئذ قريباً حتى لا يكاد يعجز عن الإمساك به . فهو لم يكن يعلم أن ذلك الحلم قد أصبح خلفه ، فى مكان

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

ما هناك خلفه فى العتمة خارج المدينة ، حيث تنبسط فى ظلمة الليل حقول الجمهورية السوداء .

لقد آمن جاتسبى بالضوء الأخضر ، بالمستقبل الصاخب الذى يتناقص أمامنا عاماً بعد عام . ولقد أفلت منا هذا المستقبل فى ذلك الحين ، لكن هذا ليس بالشىء المهم . . . فغداً سنجرى أسرع ، وسنمد أذرعتنا إلى مدى أبعد . . . وذات صباح جميل . . . .

وهكذا نسير ، وقواربنا تواجه التيار ، لتحملنا دائماً إلى الخلف نحو الماضى .

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

تم إيداع هذا المصنف بدار الكتب والوثائق القومية
تحت رقم ١٩٧١/٢٦٨٢

مطابع دار المعارف بمصر
سنة ١٩٧١

** معرفتي **

www.liilas.com/vb3

me3refaty.blogspot.com

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *

جاتسبى العظيم

لم يعلم أحد على وجه التحقيق من هو « جاتسبى » . . وقال بعضهم إنه كان جاسوساً ألمانيًّا . وقال بعض آخر إنه ينتسب إلى إحدى الأسر المالكة فى أوربا قبل الحرب العالمية الثانية .

ولكن كل من عرفه — على الرغم من هذا التخبط — استغل كرمه إلى أقصى حدود الاستغلال . فالواقع أن كرمه كان خياليًّا مغرياً . وكان « جاتسبى » يولم الولائم الفاخرة فى قصره بجزيرة « لونج إيلاند » ، وأغرب ما كان يحدث أن قلة قليلة من المدعوين كانت تتعرف على مضيفهم !! لقد أشاع عن نفسه أنه رجل بلا ماض ولا وطن ولا تاريخ ، وقد خلق هذه الواجهة لاليترك ذلك أثره فى العالم المحيط به أو فى زوجته ، ولكن ليؤثر فى فتاة أحبها بعمق ، وكان مرغماً على تركها ، حقًّا لقد بادلته الحب ، ولكنها تزوجت غيره . . وبرغم ذلك استمر يحلم بها حتى لاقى حتفه . . لقد أبدع « سكوت فيتزجيرالد » فى تصوير هذا الحب العظيم عن طريق سرد قصة حياة « جاتسبى العظيم » .

وعندما ظهرت القصة لأول مرة عام ١٩٢٥ كتب « إليوت » الأديب الكبير لمؤلفها يقول : « لم أقرأ من قبل قصة أخاذة مثل هذه القصة . . . » .

١/١٥٢٤٥

www.liilas.com/vb3 * me3refaty *